بسم الله الرحمن الرحيم

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٣٩٤

المملكة العربية السعودية

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

٠٠٢٢٨١ ر

٣٩٤

UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

الدولة العامرية في الأندلس

دراسة سياسية وحضارية

(٣٦٨ - ٣٩٩هـ / ٩٧٨ - ١٠٠٩م)

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

• إعداد الطالب : علي أحمد عبد الله القوطاني

• إشراف الأستاذ الدكتور :

أحمد السيد دراج

١٤٠١ سنة هـ

١٩٨١ سنة م

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة)

الحمد لله الذى تم بنعمته الصالحات . والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد /

لقد أسترعى أنتباهى أن الدراسات الأندلسيه بشقيها التاريخى والأدبى لم تنشط الا على يد المستشرقين فى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى ، أما الكتاب والمؤرخون العرب ، المشارقه والمغاربه على السواء فأنهم لم يولوا هذه الدراسات أهميتها الا فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى / العشرين الميلادى .

فمن المستشرقين الذين أسهموا فى أذكاء هذه الدراسات ، راينهارت دوزى ، وفراسيسكو كوادبرا ، وليفى بروفنسال ، ومجموعة أخرى من المستشرقين الأسبان مثل أنجل جنثالث ، وماسديه ، ولافونتى .

أما عن الكتاب والمؤرخين العرب المحدثين ، فقد كان عبد الحميد العبادى من أوائل المؤرخين العرب الذين أهتموا بالدراسات الأندلسيه ، ثم شكيب أرسلان ، ثم جاءت مجموعات أخرى مثل حسين مؤنس ، وأحمد مختار العبادى ، والسيد عبد العزيز سالم ، ولطفى عبد البديع ، ومحمود على مكى ، وعبد الرحمن الحجى ، أما محمد عبد الله عنان فقد أوقف حياته وجهده كله للدراسات الأندلسيه ، ومازال يعكف منذ ربع قرن على تتبع الدراسات الأندلسيه والكشف عن ذخائرها القيمه .

ولتعلقى بالدراسات الأندلسيه تراءى لى أن هناك حقبة زمنيه لم تحظ بنصيب وافر من الدراسه سواء على المستوى التاريخى أو الحضارى ، هذه الحقبه الزمنيه هى الدوله العامريه التى أسسها المنصور بن أبى عامر فى قلب الخلافه الأمويه (٣٦٨ - ٣٩٩ هـ / ٩٧٨ - ١٠٠٩ م) . وقد دفعنى ذلك الى أن أجعل دراسة الدولة العامريه من الناحيتين السياسيه والحضاريه ، موضوعا لرسالتى لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الأسلامى .

فقد بدا لى ان هذا الموضوع جدير بالبحث والدراسة ، ذلك ان الدولة العامرية لم تنل نصيبا وافرا من الدراسة والتحقيق رغم اهميتها فى التاريخ الاندلسى عموما ، كما لم تكن — فيما اعتقد — موضوعا مستهدفا للدراسات العليا . ومما اعطى هذا الموضوع اهميته التاريخية البالغة ما تمخض عن قيام هذه الدولة من استقرار سياسى شامل فى الاندلس ، ومن توطيد أركان السلطة المركزية للدولة العامرية التى كانت تحكم الاندلس باسم الخلافة الأموية ، ومن اذكاء حركة الجهاد ضد الممالك الأسبانية النصرانية على يد المنصور بن ابى عامر وابنه عبد الملك اللذين كانت غزواتهما العديده ضد هذه الممالك هى شغلهما الشاغل .

وقد واجهتنى أثناء كتابتى لهذا البحث بعض الصعاب المتمثلة فى جمع الماده التاريخية لهذه الدولة . فمعظم ما كتب فى أكثر المصادر الاندلسية عن الدولة العامرية لا يعد كونه تكرارا ونقلا عن بعضها البعض ، الا اننا نستدرك هنا فنقول : انه كتبت حقيقة عدة مصنفات عن هذه الدولة تناولت بالشرح والاسهاب ظروف قيامها وتطورها ، بيد انها فقدت - ويؤسف لفقدها - مثل كتاب المآثر العامرية الذى الفه حسين بن عاصم والكتاب الذى الفه عبد الرحمن بن محمد بن معمر فى تاريخ الدولة العامرية .

على ان ما يشعر المرء بالغبطة انه تهيأ لبعض المؤرخين الاندلسيين ، أمثال ابن الأبار صاحب كتاب الحلة السيراء ، وابن الخطيب صاحب كتاب اعمال الاعلام ، وابن سعيد صاحب كتاب المغرب فى حلى المغرب ، وابن عذارى صاحب كتاب البيان المغرب ، والمقرى صاحب كتاب نفح الطيب ، وغيرهم الاطلاع على بعض من صفحات هذه المصنفات والنقل منها .

ومن الصعاب التى واجهتها ايضا هى انه كان من الصعب ، بل من غير المقبول منهجيا ، دراسة تاريخ الدولة العامرية دون التطرق لدراسة أوضاع الممالك والامارات النصرانية المجاورة لها ، وذلك للعلاقات التاريخية المتشابكة بينهما وبين هذه الممالك والامارات والتى تمثلت فى غزوات المنصور وابنه عبد الملك لها ، وفى عهود السلم التى عقدت بين المنصور وابنه من جهة وملوك وأمراء هذه الممالك والامارات النصرانية من جهة أخرى .

لذا قمت بدراسة أوضاع هذه الممالك النصرانية الأسبانية الأمر الذى حقق للبحث وحدته الموضوعية . وقد عانيت جهدا كبيرا فى ابراز تلك العلاقات واهميتها فى تاريخ الدولة العامرية ، ذلك ان معظم المصادر الاندلسية قد أفردت للجانب العلمى والحضارى للدولة العامرية الجزء الأكبر من اهتماماتها ، فى حين انها ضنّت علينا الاسهاب والتفصيل عن الجانب السياسى والعسكرى لهذه الدولة . الامر الذى أجهدنى غاية الجهد فى ابراز الجانبين السياسى والعسكرى لهذه الدولة وبخاصة ما يتعلق بالممالك والامارات الأسبانية النصرانية .

بقى على ان أشير - الى ان هذه الدراسة المتخصصة عن الدولة العامرية تكاد تكون موضوعا جديدا فى الدراسات الأكاديمية . والواقع انه فيما عدا ابن حيان الذى أرخ للدولة العامرية فى كتابه " أخبار الدولة العامرية " السالف الذكر، لم يصدر حتى الآن أى مصنف تاريخى عن هذه الدولة اذ ان مجمل ما كتب عنها عبارة عن نقولات للمؤرخين الأندلسيين بصورة أساسية عن بعضهم البعض .

اما بالنسبة للكتاب والمؤرخين المحدثين ، فلم يتصدّ للحديث عن هذه الدولة الا نفر قليل منهم ، ومع ذلك فلم يفردوا مؤلفات خاصة لدراستها ككل ، وانما اهتموا بدراسة شخصية المنصور بن ابى عامر فحسب . ومن هؤلاء على ادهم الذى ألف كتيبا أسماه ((منصور الأندلس)) وهو عبارة عن دراسة أدبية لشخصية المنصور بن ابى عامر . ومن المحدثين ايضا محمد عبد الله عنان الذى أفرد جانبا يسيرا لهذه الدولة فى موسوعته التاريخية ((دولة الاسلام فى الاندلس/ العصر الأول - القسم الثانى)) .

بيد انه يتضح من خلال هذا ان ما كتب عن الدولة العامرية حتى الآن لا ينهض بحقها بأى حال من الأحوال ، وذلك رغم اهميتها فى تاريخ الأندلس عموما . ومما يبعث على الاستغراب ان لا تنال هذه الدولة حقها من البحث والدراسة رغم الدور الذى مارسته سياسيا وعسكريا فى تاريخ أسبانيا المسلمة والمسيحية على السواء .

ومن هنا أحسب أنى قد وفقت فى أختيار هذا الموضوع وتقديمه للباحثين المهتمين بالدراسات الأندلسيه كى يتاح لهم التعرف على فترة مضيئة فى التاريخ الأندلسى .

وفيما يتعلق بخطة البحث فقد رتبته على النحو التالى : تمهيد ، وأربعة أبواب ، وخاتمه . فقد رأيت أنه من الأصوب من الناحيه المنهجيه أن يسبق حديثى عن الدولة العامريه تمهيد تاريخى يوضح الوضع السياسى فى الدولة الأمويه فى أعقاب وفاة الحكم المستنصر . ولذا فقد قسمته الى نقطتين ، الأولى تحت عنوان : تولى هشام المؤيد بالله الخلافه الأمويه ، وأثر ذلك على الوضع السياسى فى الدولة . والثانية : عن الوضع السياسى فى الدولة الأموية بعد تولى هشام المؤيد بالله الخلافة وهو طفل صغير لا يستطيع القيام بمهام الخلافة . وقد ركزت حديثى فى هذا التمهيد عن النتائج التى تمخضت عن تولى هشام المؤيد بالله الخلافه ، والتى تمثلت فى ظهور مراكز قوى فى الدولة الأمويه تريد الأستئثار بالسلطه لنفسها .

أما الباب الأول فقد عنونته بالعنوان التالى : ظهور محمد بن أبى عامر وأستبداده بالسلطه دون الخليفه هشام المؤيد بالله وقسمته الى ثلاث نقاط : الأولى وعنوانها : محمد بن أبى عامر ووصوله الى منصب الحاجب وتلقبه بالمنصور وبالملك الكريم . وفى هذه النقطه تحدثت عن نسبه ونشأته وعلاقته بالسيده صبح أم الخليفة هشام ، وكذلك تدرجه فى مناصب الدولة وتلقبه بالمنصور وبالملك الكريم ، وأستبداده بالسلطه . أما النقطة الثانيه وموضوعها : جهود المنصور بن أبى عامر للأحتفاظ بالسلطه ، فقد بسطت الحديث فيها عن طرد الصقالبه من قصر الخليفه هشام وتصفيتهم من مراتب الدولة ، ثم أعفاء الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى من منصبه وسجنه حتى وفاته ، والحجر على الخليفه هشام المؤيد بالله ، وأحباط جهود السيده صبح فى أستعادة السلطة لأبنها

هشام المؤيد بالله ، وأخيرا قضاؤه على بقية مراكز القوى التي كانت تنافسه في الزعامة ، وذلك بقتل غالب قائد الثغر الأعلى الأندلسي وقتل القائد جعفر بن علي بن حمدون وأبي الأحوص معن بن عبد العزيز ، والقضاء على مؤامرة أبنه عبد الله وشريكه عبد الرحمن أبن مطرف التجيبي حاكم سرقسطه والتي أنتهت بمقتلهما . وأما النقطه الثالثه فقد خصصتها للحديث عن / أستقرار أحوال الدولة العامرية في عهد المنصور وركزت الحديث فيها على وصيته لأبنه عبد الملك قبل مماته على ضرورة الأبقاء على الخلافة الأموية ، وأيضاح العوامل التي دعت المنصور الى الحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله وأستبداده بالسلطة دونه .

أما الباب الثاني فقد عالجت فيه الأحوال الداخلية للأندلس في عهد عبد الملك وعبد الرحمن ولدي المنصور بن أبي عامر .وفي هذا الباب تحدثت عن نقطتين : الأولى / عن الأحوال الداخلية في عهد عبد الملك بن المنصور ، وفيها تكلمت عن تولية عبد الملك الحجابة بعد وفاة أبيه المنصور ، وأستقرار أحوال الأندلس في عهده ،وأحباطه للمؤامرة التي دبرها ضده وزيره عيسى بن سعيد القطاع . والنقطة الثانية / عن الأحوال الداخلية للأندلس في عهد عبد الرحمن بن المنصور (الملقب بشنجول) الذي خلف أخاه عبد الملك في الحجابة ، وفيها تناولت الأحداث التي تمخضت عن أرغامه للخليفة هشام المؤيد بالله بتوليته العهد من بعده ، ثم أسناده الحجابة لأبنه عبد العزيز ، وما ترتب على هذا من أستنكار العامه والخاصة في الأندلس وعلى رأسهم بنو أميه ، الأمر الذي أدى الى قيام محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر بالأستيلاء على قرطبه وتوليته الخلافة ، وقيامه بتدمير وخراب مدينة الزاهرة عاصمة الدوله العامريه ، ومقتل عبد الرحمن بن المنصور ،وبذلك تكون الدولة العامريه قد زالت .

وجعلت العلاقات الخارجية للدولة العامرية في عهد المنصور وفي عهد ولديه عبد الملك وعبد الرحمن موضوعا للباب الثالث . ويتفرع هذا الباب الى نقطتين أولهما : العلاقات بين الاندلس والمغرب الأقصى ، وفيها اعطيت نظرة عامة عن علاقة المغرب بالأندلس قبل عهد المنصور ثم في عهد المنصور ، وعن المعارك الحربية التي خاضها جيش المنصور ضد خصومه السياسيين في المغرب ، أمثال بلكين الصنهاجي ، والحسن بن كنون الادريسي ، وابي البهار الصنهاجي ، وزيرى بن عطية وأخيرا علاقات ابني المنصور عبد الملك وعبد الرحمن مع زعماء المغرب .

اما النقطة الثانية لهذا الباب فهي التي ركزت فيها على العلاقات بين الدولة العامرية وبين الممالك والامارات الأسبانية النصرانية . وقد اقتضى الأمر ان أبسط الحديث عن أحوال هذه الممالك والامارات وعلاقاتها بالأندلس قبل وأثناء قيام الدولة العامرية ، وعن الغزوات التي شنها المنصور بن ابي عامر وابنه عبد الملك على هذه الممالك والامارات ، وهي مملكة ليون ، ومملكة نبره وأمارة قشتاله ، وامارة برشلونة ، وما تمخض عنها من نتائج حربية في عهد المنصور وفي عهد ابنه عبد الملك . واخيرا تحدثت عن العلاقات الدبلوماسية والسفارات النصرانية التي وفدت على بلاط الدولة العامرية في عهدي المنصور وابنه عبد الملك .

اما الباب الرابع فقد خصصته برمته للجانب الحضاري في الدولة العامرية واخترت له عنوانا هو : أهم مظاهر التطور السياسي والحضاري في الدولة العامرية . وقد تضمن هذا الباب سبع نقاط . الأولى تحدثت فيها عن العامريين والخلافة الأموية وأشرت خلالها الى المدى الذي وصلت اليه الخلافة الأموية في عهد عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر من نفوذ وقوة ، ثم عرجت بعد ذلك على ما أصابها من وهن وضعف بعد ان تولى هشام المؤيد بالله الخلافة وما تبع ذلك من استئثار المنصور بالسلطة وتفكيره في نقل الخلافة لنفسه وعدوله عن ذلك .

أما النقطة الثانية فقد أفردتها للحديث عن الحجابة والجيش والأسطول فعن الحجابه تحدثت عن تطورها والمدى الذى وصلت اليه فى عهد الحاجب المنصور بن أبى عامر ، وعن الجيش تحدثت عن التنظيمات العسكريه التى أدخلها المنصور على الجيش الأندلسى وأعتماده على البربر خاصة كما تحدثت عن أهتمامه بتقوية الأسطول .

وكانت النقطة الثالثة عن الوزارة فى عهد الدولة العامرية والتنظيمات التى أدخلت عليها فى عهد المنصور بن أبى عامر ، كما خصصت النقطة الرابعة للحديث عن القضاء والخطط المتصله به ، كالحسبة ، والمدينة ،والسوق ، والشرطه . وذكرت فى النقطة الخامسه أهم أوجه الرخاء الأقتصادى والأزدهار الأجتماعى التى نعمت بها الأندلس فى عهد المنصور بن أبى عامر وفى عهد أبنه عبد الملك المظفر .

وأما النقطة السادسة فقد أستأثرت فيها بالحديث عن الحياة العلمية والأدبية فى الدولة العامريه وفيها وضحت مدى ما تحقق للحياة العلمية والأدبية من أزدهار فى عهد عبد الرحمن الناصر وأبنه الحكم المستنصر ، وهو الأزدهار الذى تابعته فى عهد المنصور بن أبى عامر وفى عهد أبنه عبد الملك . ومن خلال هذا العرض تناولت الترجمة لمجموعة من الفقهاء والأدباء والشعراء والعلماء الذين زخرت بهم هذه الفتره الخصبه من التاريخ الأندلسى ، كما لم يفتنى الحديث عن المناظرات الشعرية التى كانت تعقد فى مجالس المنصور .

وفى النقطة السابعة ، وهى الأخيرة تناولت بالدراسة أعمال المنصور العمرانية كبناء مدينة الزاهرة التى أصبحت عاصمة لدولته ،وكذلك الأصلاحات التى تمت فى عهده كتوسعة المسجد الجامع بقرطبه ، وبناء قنطره على نهر الوادى الكبير فى قرطبه وأخرى على نهر شنيل فى مدينة أستجة وغير ذلك من الأعمال العمرانية كأصلاح الطرق وأقامة المنازل على الطرق المؤدية الى الجزيرة الخضراء والمؤديه الى الثغور الأندلسيه .

وأخيرا أوضحت فى الخاتمه أهم النتائج التى توصلت اليها من خلال هذه الدراسة .

بحث فى أهم مصادر ومراجع الرسالة

أن أول ما يجب على الباحث عمله هو أن يحصر المصادر والمراجع التى تساعده فى كتابة بحثه أيا كان التخصص . وقد قدر لى أن أطلع على معظم المصادر والمراجع التى تحدثت عن الدولة العامرية سواء كانت أندلسية ومغربية أم مشرقية أم معربة .

وفى الحقيقة أنى قد أعتمدت أعتمادا كبيرا على جملة من المصادر الأندلسية بدرجة أساسية . ويأتى فى مقدمة هذه المصادر : كتاب : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، لابن عذارى المراكشى (ت ٦٩٥ هـ) . وهذا الكتاب من ثلاثة أجزاء ، حقق الجزئين الأول والثانى منهما ونشرهما كلا من / ج . س كولان وليفى بروفنسال . ثم قام بروفنسال بتحقيق الجزء الثالث ، وقام أحسان عباس أخيرا فى عام ١٩٦٠م بتحقيق قطعة أخرى من كتاب البيان المغرب وهى تختص بعهد المرابطين . والكتاب مهم جدا لبحثى بما توفرت فيه من مادة تاريخية غزيرة أضاءت لى طريق البحث . غير أنه مما يعيب أسلوب أبن عذارى هو أنه كان ناقلا أكثر منه ناقدا ، وقد أنتهج فى كتابه طريقة الحوليات .

أما المصدر الثانى بحسب الأهمية لبحثى فهو كتاب : أعمال الأعلام (تاريخ أسبانيا الأسلامية) للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤ م) . وهذا الكتاب حققه وعلق عليه ونشره ليفى بروفنسال تحت عنوان (تاريخ أسبانيا الأسلامية) ، وقد طبع طبعه ثانيه عام ١٩٥٦ م . ولسان الدين أبن الخطيب مؤرخ وأديب أندلسى عاش فى عصر الدولة النصرية ، وكان من أبرز وزرائها وقد أستفدت من هذا المصدر كثيرا لاسيما الأطلاع على بعض تفاصيل قيام الدولة العامرية وزوالها . وكان لهذا المصدر الفضل فى الأطلاع على الوصية السياسية التى تركها المنصور بن أبى عامر لأبنه عبد الملك بشأن الخلافة والخليفة هشام المؤيد بالله .

أما المصدر الثالث من حيث الأهميه للبحث أيضا فهو كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) . وينقسم هذا الكتاب الى أربعة أقسام على حسب الاقاليم الجغرافيه والاندلسيه ، وكل قسم يتناول أقليما من الاقاليم من الناحية التاريخيه والسياسيه والاجتماعيه والادبيه . وكتاب ابن بسام هذا يعد من ضمن كتب الأدب ، أذ أنه يعتبر كتابا أدبيا في معظمه ، غير أنه يميل أحيانا الى سرد وقائع تاريخيه مهمه ضمن حديثه عن الحياة الأدبيه التي يؤرخ لها ، كما يتضح ذلك في القسم الرابع من كتابه المتعلق بالطارئين الى الاندلس ومن هاجر اليها من شعراء الشام والعراق . وكان هذا الكتاب ملائما لبحثي وخاصة فيما يتعلق بالناحية الأدبية التاريخيه . ويعيب أسلوبه أنه كان يميل الى أستخدام السجع الكثير والمحسنات البديعيه ، أما بالنسبه لمادته التاريخيه فأنه كان يتبع الترتيب الزمني للأحداث .

أما المصدر الرابع فهو كتاب : الحلة السيراء . لابن الابار القضاعي (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) ، وهو كتاب يتناول أخبار المغرب والاندلس في صورة تراجم منذ الفتح الأسلامي الى منتصف القرن السابع الهجري ، وما يتضمن ذلك من أدب وشعر وتاريخ على أمتداد هذه الفترة . وقد قام بنشره وتحقيقه أولا المستشرق الهولندي رانيهارت دوزي ، ثم حققه وعلق على حواشيه ونشره في طبعة عربية من جزئين حسين مؤنس في عام ١٩٦٣ م عن مخطوط وجده في مكتبة الأسكوريال بمدريد تحت رقم ١٦٥٤ ، وهي مكتوبه بخط مغربي . والكتاب ذو أهمية كبيرة لبحثي ، فقد أستخرجت منه العديد من تراجم الرجال في عصر الدولة العامرية من وزراء وقواد وعلماء وشعراء وأدباء . ويتضح من ثنايا الكتاب أن المؤرخ كان واسع الاطلاع بتاريخ المسلمين الأدبي والعلمي في الاندلس . ولابن الابار مجموعة من المصنفات ، مثل كتاب أعتاب الكتاب ، والتكملة لكتاب الصله ، اللذين أستفدت منهما في بعض المواطن .

أما خامس المصادر الاندلسيه أهمية لبحثي فهو كتاب / نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب .

لأبي العباس أحمد التلمساني المعروف بالمقري (ت ١٠٤١ هـ) . وهذا الكتاب عبارة عن موسوعة كبيرة للمجتمع الأندلسي تحدث فيها عن الحياة التاريخيه والأدبية والأجتماعية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الوجود الأسلامي في الأندلس ، مع الأشارة الى حياة وسيرة الوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب الذى الف موسوعته هذه من أجله لأعجابه الشديد به . والكتاب يعتبر مصدرا تاريخيا متأخرا ، فقد ألف في القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى ، وقد حقق أكثر من مره ، الا أنني أعتمدت على تحقيق أحسان عباس لهذا الكتاب في طبعته عام ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م والتي جاءت في أثني عشر جزءا . وقد أستفدت كثيرا من هذا الكتاب وبالخصوص في جزئيه الأول والثالث اللذين ركز فيها المؤلف على أخبار المنصور بن أبي عامر وأبنه عبد الملك ومسألة تخلص المنصور من مناوئيه السياسيين كأبي جعفر بن عثمان المصحفي والقائد غالب الناصري .ومما يؤخذ على أسلوب المقري ، هو أنه يكثر من الأستطراد وتجزئة الأحداث التاريخيه .

وسادس هذه المصادر من حيث الأهميه هو كتاب العذرى (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥ م) وعنوانه " نصوص عن الأندلس" مأخوذ من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك . وقد عني بتحقيقه الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، وطبع بعناية معهد الدراسات الأسلاميه بمدريد عام ١٩٦٥ م .

هذه هي أهم المصادر الرئيسيه التي صحبتها أثناء أعداد الرسالة . وهناك مصادر تاريخيه أخرى تعتبر في المرتبة الثانيه في الأهمية لتلك المصادر الرئيسيه السالفة الذكر . فمن هذه المصادر كتاب المغرب في حلى المغرب لأبن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٧٤ م) ، وهذا الكتاب يتضمن تراجم لشخصيات بارزة في كل من الأندلس والمغرب ومصر . وقد تتابع على تأليفه ستة أشخاص بالوراثه في مائة وخمس عشرة سنه من العصر الأموى حتى نهاية عصر الموحدين . وقد حقق شوقي ضيف القسم الخاص بالأندلس تحت عنوان : وشي الطرس في حلى جزيرة الأندلس . من جزئين . وأهميته محدودة في بحث الرسالة .

ومنهـا كتاب الاكتفاء فـي أخبـار الخلفـاء لابـن الكردبـوس (المتوفـى فـي آواخـر القـرن السادس الهجـرى) وهـو كتاب أستعـرض فيـه المؤلف الأحـداث السياسيـه فـي الأندلس منذ الفتح العربـي حـتى نهايـة عصـر الموحدين . وقـد حققـه أحمـد مختـار العبـادى ونشـره فـي مجلـة معهـد الدراسـات الاسلاميـه المصريـه بمدريـد .

ومـن المصـادر التاريخيـه الرديفـه لبحثـي كتاب مشرقـي وهـو الكامـل فـي التاريخ . لعـز الديـن بـن الاثير (ت ٦٣٠هـ) ويقـع في تسعة أجـزاء طبعـة بيروت سنـة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦ م . وقـد أستفدت من الجزئين الثامـن والتاسـع بصفـة خاصـه وذلك لعلاقتهمـا بموضـوع رسالتي .

وفيمـا يتعلـق بكتب التراجـم والطبقـات فقـد رجعت لكتاب جذوة المقتبس فـي ذكـر ولاة الأندلس للحميـدى (ت ٤٨٨ هـ) الذى تناول في أيجـاز الحديث عـن ولاة الأندلس ورواة الحديث والأدبـاء . وكتاب الصلـة لابـن بشكوال ، وقد نهـج فيـه نهج الحميـدى فـي الترجمـة لتاريخ أئمـة الأندلس وعلمائهـا وفقائهـا وأدبائهـا ثـم كتاب بغيـة الملتمس فـي تاريخ رجـال أهـل الأندلس للضبي (ت ٥٩٩ هـ) ويترجم لرجـال الأدب والفقهـاء والولاة الاندلسيين .

أمـا كتب الجغرافيـا الاندلسيـه فقـد أعتمدت فـي تحقيـق أسماء بعض المدن المغربيـه علـى كتاب المغـرب فـي ذكـر بلاد أفريقيـة والمغـرب . لأبـي عبد اللـه البكـرى (ت ٤٨٧هـ) ، وهـو جـزء من كتـاب المسالك والممالك . وقـد حققـه عبد الرحمـن علـى الحجـى . وعلـى كتاب صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الـروض المعطـار فـي خـبر الأقطـار للحمـيرى (تـوفـى فـي آواخـر القـرن الثامـن الهجـرى) ، وقد نشـره وعلـق عليه ليفـي بروفنسـال . كمـا أستفدت من كتاب صبـح الأعشـى فـي صناعـة الأنشاء . للقلقشندى (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م) ولا سيما الجـزء الخامس الذى يتحدث فيـه عن الأندلس وعن أهـم مدنه .

أما المراجع العربيه التي أقتبست منها معلومات مهمه عن الدولة العامرية فمتعددة . وتأتي موسوعة محمد عبد الله عنان (دولة الأسلام في الأندلس / الخلافة الأموية والدولة العامرية) في المرتبة الأولى من تلك المراجع التي أعتمدت عليها كثيرا . وقد يسرت كتب محمد عبد الله عنان مهمة البحث لكل باحث في التاريخ الأندلسي منذ الفتح العربي لأسبانيا وحتى زوال الموجود الأسلامي عنها وقد كان كتاب دولة الأسلام في الأندلس (الخلافة الأموية والدولة العامرية) الذي يعتبر جزءا من تلك الموسوعه سندا لي في معظم أبواب الرسالة ، وقد عولت عليه فيما صعب وأشكل علي من أمر . كما أستفدت كذلك من بعض كتبه الأخرى مثل كتاب تراجم أسلاميه شرقيه وأندلسيه .

والمرجع الثاني بحسب الأهمية لبحثي هو كتاب في تاريخ المغرب والأندلس لأحمد مختار العبادي . وهذا الكتاب عبارة عن محاضرات القاها أحمد العبادي لطلبته في جامعات ، الأسكندريه ، وعين شمس ، والرباط ، وبيروت العربيه . وأفادني هذا الكتاب كثيرا وخاصة فيما يتعلق بالدولة العامرية وقد رجعت اليه كثيرا وبخاصة في جهاد المنصور ضد الممالك النصرانيه في شمال أسبانيا وعلاقته الدبلوماسيه مع هذه الممالك ، أضافة الى ما قام به المنصور من أعداد الجيوش لدخول المغرب ، وكذلك أشارته لأعمال المنصور الأداريه والعمرانيه .

والمرجع الرئيسي الثالث لبحثي هو كتاب تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبه للسيد عبد العزيز سالم . وقد أستفدت منه فيما يخص تاريخ الدولة العامريه . ومن المهم هنا أن أشير الى أني قد أعتمدت كثيرا على كتابة الآخر (قرطبه حاضرة الخلافة الأموية) ولا سيما تحديثي عن المنشآت العمرانيه في عصر الدولة العامريه .

أما عن المراجع التي تأتي في المرتبه التاليه من حيث الأهميه للبحث فأهمها كتاب تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والأجتماعي لعلي محمد محمود ، والذي يتحدث المؤلف من خلاله عن أهم التطورات السياسيه والعمرانيه والأجتماعيه التي شهدتها أسبانيا المسلمه . وكتاب منصور الأندلس لعلي أدهم

وهو كتاب صغير الحجم صدر ضمن سلسلة أعلام الأسلام ، يتحدث فيه عن شخصية المنصور بن أبي عامر .

وفيما يتعلق بالمراجع التي أهتمت بالتاريخ للأدب الأندلسي وللحياة العلمية عموما ، يأتي كتاب الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه لمصطفى الشكعه . وكتاب الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة لأحمد هيكل ، وكتاب تاريخ الأدب الأندلسي لأحسان عباس ، وكتاب الأسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي ، وكذلك كتاب في الأدب الأندلسي لجودت الركابي وكتاب الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق . فجميع هذه المراجع أرخت في شيء من التوسع للأدب الأندلسي ، وقد أستفدت منها جميعا فائدة كبرى في التعرف على الحياة العلمية والأدبية في عهد المنصور بي أبي عامر وأبنه عبد الملك المظفر .

أما عن المراجع الجغرافية فقد أستعنت بكتاب الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية لشكيب أرسلان . ويقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء . وقد أستعنت بالجزئين الأول والثاني من هذا الكتاب في تحقيقات أسماء بعض المدن الأندلسية وكذلك في التعريف بالمباني والمساجد في الأندلس . ومهما تجدر الأشارة اليه أن هذا الكتاب مزود بصور فوتغرافية لبعض القصور والمباني في بعض المدن الأندلسية ، وكذلك بعض الخرائط التاريخية للمدن الأندلسية كمدينة قرطبة .

وعلى رأس الكتب المعربة التي أستفدت منها في هذا البحث كتاب المستشرق لين بول الذي ترجمه المرحوم علي الجارم بعنوان قصة العرب في أسبانيا ، وكذلك كتاب المستشرق ليفي بروفنسال عن الحضارة العربية في أسبانيا ، الذي ترجمه الى اللغة العربية ذوقان قرقوط .

ومن الرسائل الجامعية التي أعانتني كثيرا في معالجة غزوات المنصور بن أبي عامر وولده عبد الملك ضد الممالك والأمارات الأسبانية النصرانية رسالة رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس والممالك الأسبانية النصرانية منذ عصر الأمارة حتى القرن الخامس الهجري ، والتي تقدم بها الى كلية الآداب - جامعة القاهرة - للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب عام ١٩٨١م .

وقد أستفدت من بعض [illegible]

كما أستفدت من بعض البحوث التى نشرت فى بعض الدوريات . مثل البحث الذى نشره أحمد مختار العبادى فى مجلة معهد الدراسات الأسلامية المصرية بمدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ - ٢ عام ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م بعنوان سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس .

والبحث الذى نشر فى مجلة المعهد المصرى للدراسات الأسلامية بمدريد ، العدد الأول ، السنة الأولى ، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م بعنوان : الأبنية الأسبانية الأسلامية . لليو بولد و توريس بلباس ، وهو بحث يتضمن الحديث عن المساجد والحمامات والخانات والمنازل الأندلسية .

وكذلك أتيح لى الأطلاع على المقال الذى نشره شوقى ضيف فى مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) المجلد الثالث عشر الجزء الثانى ، ديسمبر عام ١٩٥٤م ، بعنوان نقط العروس فى تواريخ الخلفاء لأبن حزم .

ومن المقالات التى كتبت عن المنصور بن أبى عامر ، ما نشر فى مجلة تطوان التى تصدر فى المغرب الأقصى ، العدد الثالث سنة ١٩٥٥م بعنوان المنصور بن أبى عامر ، بقلم محمود يوسف .

وأما بالنسبه للمراجع الأجنبيه فقد أستفدت من الكتب الآتيه :

* DOZY: A HISTORY OF THE MOSLEMS IN SPAIN, LONDON 1972.

* JAN READ: THE MOORS IN SPAIN AND PORTUGAL, LONDON 1974.

* ENCYCLOPEDIE DE I'ISLAM.

* MILES,G.G.: THE COINAGE OF THE UMAYYADS OF SPAIN,NEW YORK,1950.

*LAVOIX,H: CATALOGUE DES MONNAIES MUSULMANES DE LA BIBLIOTHEQUE - NATIONALE,ESPAGNE ET AFRIQUE,PARIS 1891.

* ANWAR G. CHEJNE: MUSLIM SPAIN.ITS HISTORY AND CULTURE,MINNESOTA 1974.

* LEVI-PROVENCAL: L'ESPAGNE MUSULMANE,T.111,PARIS..

وأخيرا لا يسعني ألا أن أقدم خالص الشكر وجزيل الامتنان لأستاذي الدكتور أحمد السيد دراج الذي لم يضن علي بالنصح والارشاد والتوجيه ، أضافة الى ما بذله من جهد كبير معي أثناء أشرافه على هذه الرسالة ، فله خاصة ولكل من أسهم في مساعدتي الشكر والامتنان .

والله أسأل أن يوفقنا الى سواء السبيل .

تمهيـــــــــــــــــــــــد

- تولـــى هشام المؤيد بالله الخلافة وأثر ذلك على الوضع السياسى فى الدوله .
- الوضـــع السياسى فى الدولة الأمويـــه بعد تولى هشام المؤيد بالله الخلافه .

تمهيـــــد :

ظلت الدولة الأموية فى الاندلس متماسكة حتى خلافة الحكم المستنصر وظل الامراء والخلفاء الأمويون يديرون هم أنفسهم شئون الدولة الأموية فى الاندلس وذلك على الصعيد السياسى والادارى والحربى الى ان جاءت خلافة الحكم المستنصر الذى اعطى معظم وقته لكسب العلم والمعرفه ، وقد بلغت الثقافة فى عهده ذروة ازدهارها .

فاشتغال الحكم المستنصر بالعلم والمعرفه جعله لا يعطى الجانب الأكبر من اهتمامه لشئون الخلافة الأندلسية ، الأمر الذى أتاح الفرصة لبعض رجال الدولة للترقى الى المناصب الهامة وادارة شئون البلاد . وقد برز من هؤلاء الرجال الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى ، ومحمد بن ابى عامر ، والقائد غالب قائد الثغر الأعلى فى الاندلس ، والسيدة صبح زوجة الحكم المستنصر والتى كانت لها مكانة عالية لديه ، وهى المكانة التى ظهر أثرها فى تولية ابنها هشام ولاية العهد والخلافة من بعد ابيه الذى تخطى بذلك أخوته الثلاثة : عبد العزيز والاصبغ ، والمغيرة ، وكانوا كلهم قد بلغوا سن الرشد وصاروا قادرين على القيام بمهمة الخلافة بعكس هشام ابن اخيهم الحكم المستنصر الذى كان لا يزال طفلا لا يتجاوز الثانية عشر من عمره وقت ان تولى الخلافة بعد موت ابيه .

وبتولى هشام المؤيد الخلافة لم يعد للأمويين فى الخلافة سوى الاسم فقط ، كما فقدت الخلافة رسمها وهيبتها . فقد اصبحت امه السيدة صبح وصية عليه كما أدى ذلك الى استئثار كبار رجال الدولة الذين سبق ان أشرت اليهم بالسلطة وبخاصة بعد مقتل المغيرة عم هشام الذى كان الصقالبة بقصر الخلافة قد رشحوه لتولى الخلافة بعد موت الحكم المستنصر .

وقد ظهرت فى الأفق الخلافات الشخصية بين هؤلاء الرجال الثلاثة وأخذ كل منهم يتربص بالآخر . وانتهى أمر ذلك الصراع بفوز محمد بن ابى عامر بادارة شئون الدولة وذلك بموالاة السيدة صبح أم الخليفة هشام والوصية عليه ، والتى كانت ترى انه هو الشخص القادر على حماية عرش الخلافة لابنها ، فضلا

عن أعجاب السيده صبح به وأعجاب أهل الأندلس أيضا بمقدرته السياسيه والحربية غير أن محمد بن أبي عامر مالبث أن أستأثر بالسلطه بعد أن جمعها في يده ثم حجر على الخليفة هشام وأصبح الآمر والناهي في الدولة الأمويه ، كما سنفصل ذلك فيما بعد .

لقد تولى الحكم المستنصر الخلافة الأمويه وهو في الثامنه والأربعين من عمره ، ولم يكن قد رزق بولد ، وكان ذلك يثير قلقه ، فكان يتشوق أن يرزقه الله ولدا في كبره ليتولى من بعده الخلافة . وقد منّ الله عليه بأبن في سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢م من السيده صبح البشكنسية التي كان الحكم يسميها " جعفر" وسماه عبد الرحمن . وقد عهد الحكم الى محمد بن أبي عامر بتربية أبنه هذا ، كما أمر بصرف مرتب شهري له مقداره خمسة عشر دينارا . الا أن هذا الولد لم يعش طويلا فقد توفاه الله طفلا (١) وبعد ثلاث سنوات من مولد عبد الرحمن ، ولدت السيده صبح ولدا آخر سمي بهشام ، وقد أستبشر الحكم المستنصر بهذا المولود وهو بمجلسه والحاجب جعفر المصحفي عنده . وقد قال الحاجب جعفر بهذه المناسبه أبياتا من الشعر يهنيء فيها الحكم بولده هشام ، الذي كني بأبي الوليد ، ولقب بالمؤيد بالله (٢) .

وتولى الأشراف على تربيته أيضا محمد بن أبي عامر ، وذلك من يوم الأربعاء الرابع من شهر رمضان سنة ٣٥٩هـ . ومنذ هذه اللحظه بدأ محمد بن أبي عامر يتدرج في مناصب الدولة الى أن أستبد بالسلطه في خلافة هشام المؤيد بالله (٣) ، كما كان من مؤدبي هشام بن الحكم عند بلوغه الثامنة من عمره الفقيه أحمد بن محمد بن يوسف القسطلي ، والعلامة النحوي أبو بكر الزبيدي الأشبيلي ، والفقيه يحيى بن عبد الله بن يحيى ، وأبو علي القالي (٤) ، الذي وصف هشام بن الحكم بقوله " كان هشام في صباه

---

(١) : محمد عبد الله عنان : دولة الأسلام في الأندلس / الخلافة الأموية والدولة العامرية ع ١ ، ق ٢ ، ص ٥٠٢ - ٥٠٣

(٢) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ - ٢٥٣

— عنان : المرجع السابق ع١ ق ٢ ، ص ٥٠٢ - ٥٠٣

(٣) : أبن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ، ٣٥١

— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٢ .

— عنان : تراجم أسلاميه ، ص ٢٠١

(٤) : أبو علي القالي ، هو صاحب كتاب الأمالي الذي وفد من بغداد على الخليفه الناصر والد الحكم المستنصر ، وهو من أهل العلم ، وقد أستفاد الحكم المستنصر من علمه .

في غاية الحذق والذكاء " الا أن الحكم بسبب أنشغاله بجمع الكتب وتجليد ها أعطى الفرصه لكبار رجال الدولة لزيادة نفوذ هم ، كما أخذت زوجات الحكم يفرضن نفوذ هن عليه وعلى رجال دولته ، كما أصبح للسيدة صبح أم هشام بعد وفاة الحكم المستنصر أكبر نفوذ في الدولة . وقد ترتب على ذلك أن أهمل هشام وأصبح مثلا في الضعة والهوان نتيجة لأنشغال أبيه الحكم بالعلم والمعرفة ، فترك أبنه والخليفة من بعده بدون عناية توءهله لمناصب هامة في الخلافة (١) .

والسيدة صبح بشكنسية مسيحية الأصل من بلاد نبرة (نافار) وأسمها صبح هو المقابل العربي لأسمها الأسباني " أورورا " والذى أصبحت تعرف به بعد زواجها من الحكم المستنصر في سنة ٣٥٠ هـ / ٩٧٦م . هذا ولا تعرف الرواية الأسلامية شيئا عن حياتها الأولى قبل زواجها من الحكم المستنصر ، وأنما تكتفي بوصفها بالجارية والحظية . ومنذ ولادتها عبد الرحمن ثم هشام ولدى الحكم المستنصر أصبحت تستأثر بنفوذ كبير لديه ، وقد كانت تملي عليه أسماء الأشخاص الذين يديرون أعمالها ، والذين يتولون المناصب الكبيرة في الدولة . ورغم أن الرواية الأسلامية تطلق عليها أسم السيده صبح أم هشام المؤيد ، الا أن التواريخ الأفرنجية تطلق عليها أسم " السلطانه صبح " نظرا لما كانت تتمتع به من مركز يشبه مركز الملكه في بلاطات الأفرنج ٢١) وقد كان الحكم يستأنس برأيها في معظم أمور الدولة ، كما كان لها الأثر الأكبر في أخذ البيعة لأبنها هشام بولاية العهد وتولي الخلافة بعد موت أبيه الحكم المستنصر (٣) .

وكان الحكم يعاني من مرض الفالج الذى أقعده في مجلسه بقصر الخلافة . وعند شعوره بقرب موته رغب أن يأخذ لأبنه هشام وكان لا يزال طفلا ولاية العهد أذ أنه

---

(١) : على محمد حموده : تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والأجتماعي ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦
- عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٠٢ - ٥٠٣

(٢) : عبد الرحمن الحجي : أندلسيات ، ص ٧٨ - ٧٩
- أبراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ص ٣٣٠

(٣) : على محمد حموده ، ص ٢٢٣ - عنان : المرجع السابق ، ص ٥٢١

المرجع السابق

كان يخشى أن يتولى الخلافة من بعده أخوه المغيرة ، وكانت السيدة صبح أم هشام تشاطر زوجها الحكم هذه الأمنية ، بل كانت الدافع القوى فى قرار الخليفة الحكم بأخذ بيعة العهد لابنه هشام فى أثناء حياته . فدعى الحكم كبار أعيان الدولة وأطلعهم على قراره فى تنصيب ابنه هشام لولاية العهد (١) . فما كان من رجال الدولة الا أن أرضوا الحكم ووافقوه على تحقيق تلك الرغبة . فعقدت البيعة لهشام بولاية العهد وتقليده الخلافة بعد أبيه الحكم المستنصر (٢) وذلك فى مجلس قصر الخلافة بقرطبة فى بداية شهر جمادى الثانية سنة ٣٦٥هـ / ٥ فبراير سنة ٩٧٦م ونفذت كتب البيعة الى سائر أقاليم الأندلس ، وقد تولى ذلك محمد بن أبى عامر وكان آنذاك صاحب الشرطة وناظر المواريث ، وميسور الكاتب مولى السيدة صبح . ودعى لهشام فى الخطبة بالمساجد ، كما نقش أسمه فى السكه ، وبذلك أطمأن الحكم المستنصر على مستقبل أبنه هشام ومصير الخلافة من بعده (٣) .

ويأخذ المؤرخون على الحكم المستنصر أختياره لولده الطفل هشام لولاية العهد . ويعبر عن ذلك أبن حيان بقوله أن الحكم على ما وصف به من رجاحة : كان ممن

(١) : على محمد حموده المرجع السابق ، ص ٢٢٣

(٢) : يقول أبن بسام فى الذخيرة (القسم الرابع / المجلد الاول ، ص ٤١) أن السبب فى ذلك أن رجلا يتكلم في الحدثان قال : لا يزال ملك بني أميه فى الأندلس فى أقبال ودوام ما توارثه الأبناء عن الآباء ، فأذا نقل الى الأخوة وتوارثوه بينهم فقد أدبر وأنصرف . وقد طبق الحكم ذلك بالبيعة لابنه هشام من بعده .
** DOZY:A HISTORY OF THE MOSLEMS IN SPAIN.PP.467-468.

(٣) : أبن عذارى البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٤٩
ـ أنيس النصولى : الدولة الأموية فى قرطبة جـ ١ ، ص ١٢٧

أستهواهم حب الولد ، وأفرط فيه ، وخالف الحزم في توريثه الملك بعده في سن الصبا ، دون مشيخة الأخوة ، وفتيان العشيرة ، ومن يكمل للأمامة ، بلا محابلة ، وفرط هوى ، ووهلة أنتقد ها الناس على الحكم ، وعدوها الحانية على دولته ، وقد كان يعيبها على ولد العباس قبله ، فأتاها وهو مختار ولا مرد لأمر الله (١) .

وبعد ملازمة الحكم سريره في قصره مريضا عديم الحركة ، كان يقوم بتدبير شئون الخلافة حاجبه جعفر بن عثمان المصحفي ويساعده في ذلك محمد بن أبي عامر . فلما أشتد المرض على الحكم وأصبح موته متوقعا بين الحين والآخر ، أشار محمد بن أبي عامر على الحاجب جعفر بأستركاب ولي العهد هشام في الجيش أرهابا لأهل قرطبه ، فعمل الحاجب جعفر بمشورة محمد بن أبي عامر ، وركب هشام في أستعراض مع الجيش في موكب عظيم يطوف شوارع العاصمه قرطبه بمعية بعض أعيان الدولة وفي مقدمتهم محمد بن أبي عامر ، وكان ذلك في بداية شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ. وقد أمر هشام ولي العهد في ذلك اليوم بأسقاط ضريبة الزيتون والمأخوذه في الزيت بقرطبه والتي كان الناس بقرطبه يشكون منها ، وقد نسبت هذه المأثورة الى محمد أبن أبي عامر (٢) .

ولما أشتد المرض على الخليفة الحكم المستنصر وأنتقل من قصره في الزاهرة بناءا على نصيحة أطبائه وذلك لشدة برد الجبل عليه ، وأستقر في قصره بقرطبه ، أخذ المرض يشتد عليه يوما بعد يوم ، ولا يكاد يستفيق منه ، مما الزمه الفراش . ثم مالبث أن توفي في اليوم الثالث من شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦م (٣) .

---

(١) : أبن بسام : الذخيرة ، قـ ٤ ، م ١ ، ص ٤٠ (نقلا عن أبن حيان)

(٢) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٢
ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٢٦

(٣) : أبن بسام : نفس المصدر ، قـ ٤ ، م ١ ، ص ٤١
ـ أبن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ١٨٦ - ١٨٧
ـ أبن دحيه : المطرب من أشعار أهل المغرب ، ص ١٢
ـ أحمد العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣٨

تولى هشام المؤيد بالله الخلافة وأثر ذلك على الوضع السياسى فى الدولة

وبعد تدنى صحة الحكم المستنصر على هذا النحو السابق ذكره ،أصبح الذين يترددون عليه فى الدخول هما خادماه الصقلبيان ،فائق ،وجوذر اللذان كانا أول من علما بموته ،وقررا كتمان خبر موته ،كما قاما بضبط القصر بالحراسة حتى لا يتمكن أحد من الدخول على الحكم المستنصر وهو على فراش موته . وجلسا للتشاور بينهما ،ثم عزما على تولية الخلافة للمغيرة بن عبد الرحمن الناصر ــ أخ الحكم المستنصر ــ وذلك لتوفر الشروط المطلوبه فيه ، وأيضا خشية من أن يتولى هشام بن الحكم الخلافة وهو صغير فى السن فيكون غير قادر على تحمل أعباء مسئولية الخلافة بعد أبيه (١) . كما أتفقا على أن يقر المغيرة بولاية العهد لهشام من بعده ،والذى سيكون قد كبر فى السن وأصبح على كفاية عالية بأدارة شئون الدولة فيما بعد . وبذلك يضمن فائق وجوذر السلطة فى أيديهما بتولى مرشحهما المغيرة الخلافة بعد الحكم . وقد قال جوذر لفائق : (ينبغى أن نحضر جعفر بن عثمان الحاجب فنضرب عنقه ،فبذلك يتم أمرنا ،فقال له فائق : سبحان الله ياأخى تشير بقتل كاتب مولانا وشيخ من مشيختنا دون ذنب ،ولعله لا يخالفنا فيما نريده ،مع أفتتاح الأمر بسفك الدم) . فبعثا فى طلب جعفر ،فحضر اليهما ونعيا اليه موت الحكم المستنصر ،وأخبراه بما قرراه فى جعل الخلافة للمغيرة ،فلم يكن لدى الحاجب جعفر فى هذا الوقت سوى أجابتهما بالموافقة على قرارهما ،فقال لهما : " هذا والله أسد رأى وأوفق عمل ،والأمر أمركما ،وأنا وغيرى فيه تبع لكما ،فأعزما على ما أردتما ،وأستعينا بمشورة المشيخة فهى للخلافة ،وأنا أسير الى الباب فاضبطه بنفسى وأنفذ أمركما الى بما شئتما " . فخرج جعفر من القصر وضبط بابه وفى قرارة نفسه أحباط مخطط الصقلبيين فائق وجوذر (٢) .

---

(١) : على أدهم : منصور الأندلس ،ص ٤٦ - ٤٨
* DOZY: Op.CIT.,PP.469-471.

(٢) : أبن بسام : الذخيرة ،قـ ٤ ،م ١ ،ص ٤٠- ٤١
ــ أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٥٩ - ٢٦٠
ــ عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥١٧- ٥١٨

ثم دعى الحاجب جعفر كبار رجال الدولة وأصحابه ، مثل زياد بن أفلح مولى الحكم ، ومحمد بن أبى عامر ، وبطانته من الجند من بنى بززال ، مما شد أزره لكثرة هذا الجمع ، فنعى اليهم موت الخليفه الحكم المستنصر ، وأطلعهم على مؤامرة الصقالبة وعلى رأسهم جؤذر وفائق فى نكث البيعة لهشام ، وأسناد الخلافة الى المغيرة ، وأخذ جعفر يحث أصحابه على قبول قرار الصقلبيين فائق وجؤذر ، ويقول لأصحابه : " أن حبسنا الدولة على هشام أمنّا على أنفسنا ، وصارت الدنيا فى أيدينا ، وأن أنقلبت الى المغيرة أستبدل بنا وطلب شفاء أحقاده " ! (١) .

وبعد أن أنتهى الحاجب جعفر من كلمته ، ظهرت الخلافات فى وجهات النظر عمن يخلف الحكم المستنصر ، فقد برز فريقان فى المنافسه فيمن يستحق الخلافة . الفريق الأول ويتزعمه الصقالبة بقيادة فائق وجؤذر وعدد من العسكريين وبعض الاعيان فى الدولة الذين يرون أن المغيرة أحق بالخلافة لما له من رجاحة وقدرة على تدبير شئون الخلافة ، على عكس هشام الذى يرون فيه أنه غير مؤهل لمثل هذه المسئولية لصغر سنه . والفريق الثانى بقيادة معظم رجال الدولة ، ومنهم الحاجب جعفر المصحفى ، ومحمد بن أبى عامر ، والسيدة صبح أم هشام الذين كانوا يديرون السلطة خلال فترة مرض الحكم ، والذين رأوا أن يتولى هشام بن الحكم الخلافة ، وذلك تنفيذا لوصية البيعة فى حياة الحكم المستنصر والتى أقرها الجميع ، وهم من المشاركين فى وضعها . وهذا الفريق الثانى أيد خلافة هشام ليضمن بذلك بقاءه فى السلطة والتوسع فيها لصغر سن هشام ، وبالفعل فقد ثبتوا فى مناصبهم بعد تولى هشام الخلافة . وقد أجمع الحاجب جعفر المصحفى ومحمد بن أبى عامر ومؤيد وهم على قتل المغيرة ومبايعة هشام على الخلافة (٢) .

---

(١) : أبن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٠
— عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤
(٢) : أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠
— أبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠

وبعد أتفاق القوم على قتل المغيرة ، أخذ كل منهم يأمل من الآخر أن يقوم بهذه المهمه ، فبادرهم محمد بن أبى عامر فقال : ياقوم أخاف فساد أمركم ، ونحن نتبع هذا الرئيس - وأشار الى الحاجب جعفر - فينبغى ألا تختلفوا عليه ، وأنا أتحمل ذلك عنكم أن أنفذنى ، فخففوا عليكم . فأعجب منه الحاجب جعفر والحاضرون ، وقالوا له أنت أحق بذلك لخاصتك بالخليفة هشام ومحلك من الدولة (١)

وقام الحاجب جعفر بتجهيز ممن يثق به من الجند لهذه المهمه مع محمد أبن أبى عامر ، فجهز معه بدر القائد مولى عبد الرحمن الناصر فى مائة غلام من جند الخليفه . وقد أحاط الجند دار المغيرة بن عبد الرحمن الناصر من جميع جهاته ، ثم أقتحم محمد بن أبى عامر الدار ، فوجد المغيرة جالسا مطمئنا على غير أستعداد لتلك الأحداث ، فنعى اليه محمد بن أبى عامر موت أخيه الحكم المستنصر وقرار رجال الدولة بجلوس أبنه هشام للخلافة بعد أبيه . فحزن المغيرة على موت أخيه الحكم ، وبارك خلافة أبن أخيه هشام ، ثم قال لمحمد بن أبى عامر : أعلمهم أنى سامع ومطيع وواف ببيعتى ، وتواثقوا منى كيف شئتم . وأخذ يناشده ويطلب منه مراجعة رجال الدولة فى حقن دمه ، فرق له محمد بن أبى عامر ، وكتب الى جعفر المصحفى يصف حال المغيرة وصدقه . فأجاب جعفر يلوم محمد بن أبى عامر فى التأخير فى قتله ، فقال له : أذا لم تنفذ الأمر فسنبعث بشخص آخر يقوم بهذه المهمه . فغضب محمد بن أبى عامر لجواب المصحفى ، وأطلع المغيرة على ذلك الجواب ، وأدخل عليه الجند فقتلوه خنقا فى مجلسه بداره ، وعلقوا جسده فى مخدع يتصل بمجلسه كهيئة المختنق من تلقاء نفسه ، وذلك على مشهد من أهل بيته ، وأشاعوا أن المغيرة خنق نفسه لما أكره بالركوب الى أبن أخيه هشام لمبايعته بالخلافة ، وأمر محمد بن أبى عامر بدفنه فى مجلسه بداره . وكان سنه يوم قتل سبعة وعشرين سنه (٢) .

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٦١

* DOZY: Op.CIT., PP. 469-471.

(٢) : أبن بسام المصدر السابق ، قـ ٤ ، م ١ ، ص ٤١

- السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٢٤

ووصل نبأ مقتل المغيرة الى خادمي القصر فائق وجوذر ، فأصابتهما دهشة وغضب ، وعاتب جوذر فائق وقال : قد نصحت لك فلم تسمع مني . ويقصد جوذر بذلك ما أشار به عليه بقتل الحاجب جعفر المصحفي . ثم ذهب فائق وجوذر الى جعفر لتهنئته بقراره البيعة لهشام ، وأعتذرا لما بدر منهما في جعل الخلافة للمغيرة ، وقالا له : أن الجزع أذهلنا عما أرشدك الله اليه ، فجزاك الله عن أبن مولانا خيرا ، وعن دولتنا وعن المسلمين . فأظهر لهما جعفر الأستحسان بهذه التهنئة ، ولكن في قرارة نفسه كان يخفي لهما ولكافة الصقالبة كرها شديدا لما أتفقوا عليه من عزم في تولية المغيرة الخلافة ، ولأستبدادهم في الدولة . وقد تركهم جعفر الى حين آخر وذلك ليتفرغ لأمر البيعة لهشام (١) .

وبعد مقتل المغيرة بن عبد الرحمن الناصر منافس هشام في الخلافة ، تحققت أمنية الحكم المستنصر في بقاء الخلافة لأبنه هشام . فقد قام الحاجب جعفر المصحفي ، ومحمد بن أبي عامر ، والقائد غالب ، وكبار رجال الدولة ، وأجلسوا هشاما على كرسي الخلافة ، وهو في سن الصغر . ودعي لحضور حفل بيعة الخلافة لهشام كبار أعيان الدولة من وزراء وعلماء وفقهاء ورجال القصر في قرطبه . وكان مما حضر من العلماء والقضاة من كان لهم القول المسموع (٢) ، أمثال قاضي الجماعة أبي بكر بن يحيى بن محمد بن زرب ، والقاضي أبي المطرف عبد الرحمن بن عيسى بن فطيس قاضي القضاة بقرطبه . وقد أجلس هشام للخلافة صبيحة يوم الأثنين الرابع من شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ - / أكتوبر سنة

---

(١) : أبن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢

(٢) : لقد شغل أسماء الذين بايعوا لهشام بالخلافة عشر صفحات في كتاب أبن الخطيب (أعمال الاعلام ، قـ ٢ ، ص ٨ ٤ - ٥٣) وهي مئات الاسماء للوزراء والعلماء والقضاة والاكابر من مختلف الطبقات ، ومنهم أيضا من كان قد بايع له بولاية العهد في حياة أبيه الحكم المستنصر .

٩٧٦م ،ولقب بالمؤيد بالله (١) .

ويصف لنا أبن الخطيب حالة الخلافة الأندلسية ،وأحوال الأندلس عند تولي هشام الخلافة بقوله : " بويع ولى عهده (أى الحكم) هشام الملقب بالمؤيد بالله والخلافة قد بلغت المنتهى ، وأدركت الجنى ،وبلغ طورها ،وأنتهى دورها ،فكانت كمامة ثم زهرة بسامة ،ثم ثمرة بهية ،ثم فاكهة شهية . وكان بكرسي العامرية مجلاها ،ثم تلاها ما تلاها ،وأرخص الحطوط من أعلاها ،فكان المال قد ضاقت عنه خزائنه ،والمصر قد عظمت مزاياه ومزاينه ،والملك تعود بالله أن لا يصيبه عائنة الذى يعانيه ،والمباني قد بلغت السماء سموا ،وزاحمت الكواكب علوا ،والبلاد قد بلغ فيها الى أقاصى الأهتمام ،وفرغت بناتها من لبنات التمام ،والآثار الصالحة قد تخلدت ،والمآثر الواضحة قد تعددت ، والأذهان في بسطة الأسلام قد تبلدت ،ورسم الخلافة قد أمحى ،والدولة المروانية قد بركت وسط المرعى ،والدعوة قد أنتشرت في المغرب الأقصى "(٢) .

وقد أختلف المؤرخون فى تحديد سن هشام وقت بيعته بالخلافة ،فأبن حزم يقول : ولى المؤيد بالله ولم يستكمل عمره أحدى عشر سنه (٣) . وأبن عذارى يقول ولى الخلافة وهو أبن أحدى عشر سنه وثمانية أشهر (٤) . وأبن الاثير يقول ولى هشام المؤيد بالله الخلافة وله عشر سنين (٥) . ويقول فيليب حتى ولى هشام الخلافة وله من العمر أثنتا عشرة سنة (٦) . غير أن هذه الروايات وأن أختلفت فى تحديد سنه على وجه اليقين وقت توليه

(١) : أبراهيم بيضون : المرجع السابق ،ص ٣٢٩

* JAN READ:THE MOORS IN SPAIN AND PORTUGAL.P.87.

(٢) : أبن الخطيب : أعمال الأعلام ،قـ ٢ ،ص ٤٣ - ٤٤

(٣) : أبن حزم : نقط العروس فى تاريخ الخلفاء ،ص ٦٣

(٤) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٥٣ ، ٢٥٤

(٥) : أبن الأثير : الكامل فى التاريخ المجلد الثامن ،ص ٦٧٧

(٦) : فيليب حتى : تاريخ العرب جـ ٢ ،ص ٦٣٣

الخلافة الا انهـــا تجمع علـــى عدم تجاوزه سن الثانية عشرة وقتذاك . وكان ممن شهد البيعة في المجلس من أبناء الاعمـــام الامويين وأبنائهـــم وكبار رجال قريش . و هـــذا وقد منحـــت السيدة صبح أم هشام حق الوصاية على ابنها . ونقش على خاتمـــه " هشام بن الحكم يعتصم" . وبذلك اصبح للسيدة صبح حق الاشراف على شئون الدولة من خلال اصدار الاوامر الى الحاجب والـــوزراء . (١)

الوضع السياسي في الدولة الاموية بعد تولي هشام المؤيد بالله الخلافة :

وبعد تولي هشام الخلافة في الاندلس على هذا النحو ، ظهر على المســـرح السياســـي للدولة ثلاث شخصيـــات لهـــا قوتهـــا ومكانتهـــا فـــي الدولـــة وهـــي الحاجـــب جعفـر المصحفـــي ، ومحمد بن ابي عامـــر ، والسيدة صبح اضافـــة الى القائـــد غالب الذي كان بعيـــدا عن حاضـــرة قرطبـــة ، الا انـــه كانت لـه قوتـــه ومكانته في عاصمـــة الخلافـــة وذلك لما كـان يتمتـــع بـــه من مهـــارة فـــي القيادة العسكرية ولنجاحـــه فـــي صد هجـــوم نصارى الاسبان علـــى حدود الدولة الاموية . وقـــد بدأ كل واحد من هؤلاء الثلاثة يكشف أوراقـه ، فالحاجب جعفـر يريد التخلص من الصقالبـــة خدم القصـــر الخلافي وعلى رأسهم فائـــق وجؤذر وذلك لسبب قرارهـــم تنصيب المغيرة للخلافة ، ممـــا كان سينتج عنه فقـــدان الحاجب لمنصبـــه في الدولة الاموية . ومحمد بن ابي عامر يرغب في تحسين مركزه وتقويـــة نفوذه في الدولة ليسهـــل عليه طموحاتـــه البعيدة . وأما السيدة صبح الوصية فكانت تعمل من خلال وصيتهـــا على ابنهـــا هشـــام على الاستمرار في فرض سلطانهـــا في الدولة . وقد تم لهؤلاء الثلاثة الاستئثـــار بالسلطة وتدعيم نفوذهـــم في الدولة . وأما القائد غالب فقـــد كان يراقـــب الاحداث عن بعد ، وهو في مكانه بالثغر الاعلى مرابطا على حـــــــدود الـــدولـــة الاموي ـــــة . ولكـــن هـــذه السياســـة التي أملتها الظروف الموقته التي

---

(١) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٢٠

- DOZY: OP.cit., PP. 469-476.

صاحبت تولى هشام الخلافة لم تستمر ، لا سيما ان الحاجب جعفر المصحفى شعر بمنافسة محمد بن ابى عامر له فى الدولة ، نظرا لما كان يتمتع به من تأييد السيدة صبح أم هشام التى كانت ترى فيه الشخص الذى يمكن الاعتماد عليه فى حماية عرش ابنها ،، وكان محمد بن ابى عامر بدوره يرى فيها اداة سهلة يستطيع ان يخضعها لارادته ، فأكد محمد بن ابى عامر للسيدة صبح استعداده لحماية عرش الخليفة هشام المؤيد بالله ، والعمل على استتباب الأمن فى البلاد فى ظل خلافة هشام المؤيد بالله .(١)

---

(١) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ١١٥ - ١١٦
- ابن الاثير : الكامل فى التاريخ، المجلد الثامن ، ص ٦٧٨
- عنان : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ -

البـــــاب الاوّل

ظهـور محمد بن أبى عامر وأستبد اد ه بالسلطـــه د ون الخليفـــة هشام المؤيد بالله

ـــ محمد بن أبى عامر ووصوله الي منصب الحاجب وتلقبه بالمنصور وبالملك الكريم .

ـــ جهود المنصـــور بن أبى عامر فـــى الاحتفـــــــــاظ بالسلطـــــه .

ـــ أستقـــرار أحـــوال الد ولـــة فى عهـــد المنصـــور بن أبى عامـــر .

ـــ موت المنصـــــور بن أبـــــى عامـــــــــــــر .

ـــ رأى المؤرخـــــين فـــى المنصـــور بن أبـــى عامـــــــر .

محمد بن أبي عامر ووصوله الى منصب الحاجب وتلقبه بالمنصور وبالملك الكريم

نسبه ونشأته :-

هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر محمد بن الوليد يزيد بن عبد الملك أبن عامر المعافرى ، من رجال معافر اليمنية أحدى قبائل حمير (١) . وكان جده عبد الملك من أوائل الداخلين فى الأندلس مع طارق بن زياد ، ونزل معه الجزيرة الخضراء فى بداية الفتح العربى للأندلس ، وأظهر شجاعة وبسالة فى المعارك الحربية فيها كوفيء عنها بأقطاعات فى بلدة طرش (Torox) التى تقع على وادى آره فى شمال شرق الجزيرة الخضراء ، فساد أهلها (٢) .

وقد عظمت فى بني عامر النباهة والوجاهة ، وجاور بعضهم الخلفاء فى قرطبه ، وكان أحدهم أبو عامر محمد بن الوليد الذى ساد بعده ولده عامر وتقدم عند الخلفاء ، وولى الأعمال فى الدولة الى أن مات بقرطبه ، وباسمه نقش محمد بن أبى عامر السكة ورقم الأعلام . وكان عبد الملك المكنى بأبى حفص والد محمد أبن أبى عامر من أهل الدين والزهد فى الدنيا والعزوف عن السلطان ، سمع الحديث ، وأدى فريضة الحج ، ومات فى مدينة طرابلس الغرب بلبيبيا وهو عائد من الحج . وقد أصهر التميميين المعروفين ببنى برطال ، فتزوج بريهة بنت يحيى أبن زكريا ، فولدت له محمد بن أبى عامر سنة ٣٢٨ هـ بقرية طرش ، وأخاه يحيى .

وكانت أم عبد الله والد محمد بن أبى عامر بنت يحيى بن أسحاق وزير الخليفه الناصر لدين الله وطبيبه الخاص . (٣)

---

(١) : المراكشى : المعجب ، ص ٧٢
(٢) : أبن خلدون : العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣١٨ - ٣١٩
(٣) : أبن بسام : الذخيرة ، قـ ٤ ، م ١ ، ص ٣٩ - ٤٠
ـ أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤٢
-DOZY:Op.cit.,PP.458-459.

وقال فيه الشاعر أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج المعروف بالقسطلي قصيدة فيها :

تلاقت عليه من تميم ويعرب شموس تلألأ في العلا وبدور

من الحميريين الذين أكفهم سحائب تهمي بالندى وبحور(١)

ورحل محمد بن أبي عامر الى قرطبه وهو شاب في مقتبل عمره ، وألتحق بجامعتها ، وكان حسن النشأة ، ظاهر النجابة ، طالبا للعلم ، وكانت له همة يحدث بها نفسه بأدراك معالي الأمور . وكان محبا لقراءة التاريخ لما فيه من سير الذين بلغوا من مراتب المجد رفعة وهم من أسر بسيطة في قومهم . وكان زملاؤه الطلاب يلقبونه بالمعتوه ويهزؤن به بما كان يصرح لهم به من أن المستقبل سيشهد أبراز مواهبه ، ولما كان يظهره من أعتداد بنفسه .

وهذان المثلان اللذان ننقلهما عن المصادر يتضح لنا مدى أعتزازه بنفسه وتطلعه الى حكم الأندلس . فأولهما ما يرويه لنا أبن الخطيب من أنه بينما كان محمد بن أبي عامر مع بعض زملائه من الطلبه منهم أبن عمه عمر بن عسقلاجه ، والكاتب أبن المارعزى ، ورجل آخر يعرف بأبن الحسن من جهة مالقه ، وموسى بن عزرون ، يتنزهون في أحدى حدائق قرطبه يتبادلون الحديث ، ويتكلمون عن المستقبل ـ كما هو شأن الطلبه في كل زمان ـ قال لهم : " لابد لي أن أملك الأندلس ، وأقود العسكر ، وينفذ حكمي فيها " . فضحكوا منه ، وقال لهم : " تمنوا علي " فقال له أبن عمه عمر عسقلاجه أن توليني المدينة ، وقال أبن الحسن توليني القضاء بجهتي وهي قضاة كورة رية وهي مالقة وأعمالها فأنه ليعجبني هذا التين الذى يجنى منها . وقال أبن المارعزى : توليني حسبة السوق فأني أحب هذا الأسفنج الموجود في الأسواق . وقال موسى بن عزرون : أذا أفضى اليك الأمر ياصاحبي فأمر أن يطاف بي في قرطبه على حمار ووجهي الى الذَنَبْ وأنا مطلى بالعسل ليتجمع على الذباب

---

(١) : الضبي : بغية الملتمس ، ص ١١٧

ـ المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٠٦

والنحـــل . فلما تولـــى محمد بن أبى عامـــر مقاليد السلطة فى الأنْدلس حقق لهـــم ذلك ما عدى موسى بن عزرون الذى قال : أغرمنى أنا مالا عظيما أجحفنى وأفتقرنى لقبح مـــا كنت جئت بـــه (١) .

ثم أتم محمد بن أبى عامـــر دراسته بجامعـــة قرطبـــه ،وسلك القضاء فى بدايـــة حياته مقتديـــا نهج أهلـــه ،فقرأ اللغـــة والأدب علـــى معلمـــه أبى على القالـــى ،وأبى بكـــر بن القوطيـــة ،وقرأ الحديث عن أبى بكـــر بن معاوية القرشى (٢) .

ويروى لنا عبد الواحد المراكشـــى هذا المثل الثانى نقلا عن أبن حزم قـــــال : أخبرنى أبو عبد اللـــه محمد بن أسحـــــاق التميمـــى ،قال : كان محمد بن أبى عامـــــر نازلا عندى فى حجرة فوق بيتى ،فدخلت عليـــه فى بعض الليالـــى فى آخـــر الليل فوجدتـــه قاعدا على الحال التى تركته عليهـــا أول الليـــل حين فصلت عنه ،فقلت له : ما أراك نمـــت الليلـــة ،قال لا . قلت فما أسهرك ؟ قال : فكرة ؟ عجيبة ! قلت : فى ماذا تفكر؟ قال : فكرت أذا أفضـــى الى الأمـــر ومات محمد بن بشـــير القاضـــى ـــ قاضى قرطبة ـــ بمن أستبد له ومن الذى يقوم مقامـــه ،فجُلت الأنْدلس كلها بخاطرى ،فلم أجد الا رجلا واحدا . قلـــت : لعلـــه محمد بن السليم ؟ قال : هو واللـــه هـــو ، لشد ما أتفـــق خاطرى وخاطرك (٣) .

هذه الروايات العجيبة التى تحكى عن محمد بن أبى عامر فى بداية حياته توضح لنـــا مدى تتطلعـــه ورؤيتـــــه لمستقبـــل حياته .

---

(١) : أبن الخطيب : أعمال الأعلام ،قـ ٢ ،ص ٧٧- ٧٨
ـــ على أدهـــم : منصور الأندلس ،ص ١١ - ١٣
-DOZY:Op.cit.,PP.458-459.

(٢) : أبن الخطيب : نفس المصدر ،قـ٢ ،ص ٧٨٧٧
ـــ أنيس النصولى : الدولة الأموية فى قرطبة ،جـ ١ ،ص ١٢٣- ١٢٤
ـــ لين بول : قصة العرب فى أسبانيا ،ص ١٤٢

(٣) : المراكشى : نفس المصدر ص ٧٢- ٧٣ (نقلا عن الحميدى) .
ـــ محمد على حمودة : تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ،ص ٢٢٨

علاقته بالسيده صبح زوجة الخليفه الحكم المستنصر :-

قام محمد بن أبي عامر بعد أن أكمل دراسته بأفتتاح دكان صغير بالقرب من مدخل قصر الخليفه ، وذلك لكتابة الرسائل لخدم القصر وأصحاب الحاجات لدى الخليفة . وكان بارعا في صياغة الرسائل لما يتمتع به من ثقافة أدبية رفيعة(١) .

وبلغ خبره السيده صبح زوجة الحكم المستنصر وذلك عن طريق خدم القصر وغلمانه . وكانت هي في حاجة الى مثل محمد بن أبي عامر ليدير أملاكها . فطلبت من الحكم المستنصر تعيينه لذلك الغرض . فعين محمد بن أبي عامر في هذه الوظيفة وأظهر كفاءة ممتازة في عمله ، مما جعل السيدة صبح تشيد بأعجابها به ، ودفعها ذلك الى مساعدته في تدرجه في المناصب العالية في الدولة . وقد أزداد أعجابها به لما كان يقدمه لها من خدمات وتحف في سبيل الفوز برضائها عنه . ويذكر أنه وقت أن كان ناظرا للخزانة العامة صنع لها قصرا مصغرا من الفضة بديع الصنع والزخرف ،أنفق عليه أموالا كثيرة ،وحمله على رؤوس الرجال من داره الى قصرها وقد شهده جمع كبير من أهل قرطبه حين حمل من دار محمد بن أبي عامر الى القصر فنال منظره أعجابهم ،ولبثوا وقتا يتحدثون عنه(٢) .

وكانت هذه العناية من محمد بن أبي عامر تقع من قلب السيدة صبح أحسن موقع ويزيدها أعجابا به ومؤازرة له . وكان الحكم المستنصر يشهد هذا السحر الذي ينفثه محمد بن أبي عامر الى حظيته صبح والى نساء قصره ويعجب له .ويروى أنه

---

(١) : أبراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ، ص ٣٣١
ـ فليب حتي : تاريخ العرب ، جـ ٢ ، ص ٦٣٣

(٢) : محمود يوسف : مقال بعنوان : المنصور بن أبي عامر . مجلة تطوان ، العدد الثالث ، ص ١٦٣ - ١٦٤ ، المغرب ، ١٩٥٥م
-DOZY:Op.cit.,PP.461-462.
-JAN READ:Op.cit.,PP 86-87.

قال يوما لبعض ثقاته : مالذى استلطف به هذا الفتى حرمنا حتى يملك قلوبهن ، مع اجتماع زخرفة الدنيا عندهن ، حتى صرن لا يصفن الا هدايا ه ، ولا يرضين الا بما أتاه . وكان الحكم لشدة نظره فى الحدثان يتخيل فى محمد بن ابى عامر أكثر الصفات المجتمعة فى النسب والبلد ، فيقول لخاصته : أما تنظرون الى صفرة كفيه . فيقولون له : أرح نفسك منه . فيقول لهم الحكم : لوكانت به شجة لكانت تكملة صفاته . وقضى الله ان تكون لمحمد بن ابى عامر شجة يوم ضربه غالب قائد الثغر الأعلى الاندلسى أثناء القتال بينهما بعد موت الحكم . (١)

وقد ارتاب الحكم فيما كان ينفقه محمد بن ابى عامر من أموال وثاب له رأى فى نكبته وسعى لديه بعض خصوم محمد بن ابى عامر ، فاتهمه الحكم بتبديد أموال العامه التى عين للنظر عليها فى شراء التحف والانفاق على أصدقائه . وأمره الحكم ان يقدم حساب الخزينة التى فى عهدته وذلك ليتحقق من سلامتها . وكان محمد بن ابى عامر يشعر بعجز كبير فى الخزانة لما يصرفه من أموال منها لحسابه الخاص ، فما كان منه ان ذهب الى صديقه الوزير ابن حدير الذى كان وافر الجاه والثراء ، فساعده وأمده بماله ليتدارك هذا العجز . فتقدم محمد ابن ابى عامر الى الخليفة الحكم سليم العهد برىء الذمة ، فزالت شكوك الخليفة عنه ، وازدادت صلته به . واستمر محمد بن ابى عامر متمتعا بنفوذه فى الدولة ، ويندب لعظام المهام . (٢)

بل وازداد حرصه على كسب عطف السيدة صبح وعلى جمع الأصحاب والانصار بحسن معاملته وكرمه مع من يتعامل معه من الناس . وكانت السيدة صبح بدورها تعمل على وصوله الى أرفع المناصب فى الدولة ، وذلك لمواهبه ولعطفها عليه . (٣)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٧

(٢) : احمد العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٤٣

(٣) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٢٣

فكان اعجابهـا الشديد بمقدرته وتوفيقه فى المهام التى كانت تسند اليه يضاعف من ثقتها به ، ويعميها عن ادراك الغاية التى كان يسعى الى تحقيقها ، وهى الوصول الى قمة الحكم فى الاندلس . وكان هو يرى فى السيدة صبح ملاذ حمايته ورعايته لدى الخليفة الحكم الذى كان وجوده يحد كثيرا من اطماعه ومشاريعه ، والتى لم تظهر الا بعد وفاته .(١)

تدرجه فى مناصب الدولة :-

وكما ذكرنا فان كل منصب كان يتدرج فيه محمد بن ابى عامر انما كان بمساندة السيدة صبح . ويذكر ان اتصال محمد بن ابى عامر بخدمة الحكم كان عن طريق الحاجب جعفر المصحفى عند ما طلب منه الحكم تعيين وكيل لولده الصغير عبد الرحمن ، فقد ذكر له الحاجب جعفر محمد بن ابى عامر ووصفه للسيدة صبح وذلك ضمن جماعة مرشحين لذلك المنصب ، فاختارت محمد بن ابى عامر ، فعينه الحكم لخدمتها وخدمة ابنها عبد الرحمن فى يوم السبت التاسع من شهر ربيع الأول سنة ٣٥٦ هـ براتب شهرى وقدره خمسة عشر دينارا ، وكان محمد بن ابى عامر فى السابعة والعشرين من عمره اثناء تعيينه فى الخدمة . وبعد موت عبد الرحمن بن الحكم خصص مرة اخرى لخدمة السيدة صبح للنظر فى اموالها وضياعها ، ثم ترقى الى النظر على الخزانة العامة . وفى السابع من شهر محرم سنة ٣٥٨ هـ تولى خطة المواريث ، وبعد ما قضاء كورة ريه . وفى الثانى عشر من شهر ذى الحجه سنة ٣٥٨ هـ عين قاضيا على كورة أشبيلية ولبلة وأعمالها ، ثم عين فى الرابع من شهر رمضان سنة ٣٥٩ هـ وكيلا لهشام بن الحكم . وكان محمد بن ابى عامر فى الواحدة والثلاثين من عمره حين عين فى هذا المنصب ، فزادت مكانته لدى السيدة صبح التى كان لها اليد الطولى فى تدرجه

(١) : عنان : تراجم اسلامية ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٧ - ٢٠٨

فى كل هذه المناصب (١) .

وقد كون محمد بن أبى عامر من خلال تدرجه فى هذه المناصب علاقات جيدة مع الناس ، فتزاحموا على بابه ، وأنساهم همومهم ومتاعبهم من أصحاب السلطان ، وذلك بقضاء حاجاتهم وكرم لقائه لهم ، وسهولة مقابلته وحسن أخلاقه ، فكبر جاهه فى أعينهم . كما أبتنى له دارا بالرصافة ، وأتخذ له كبار الكتاب ، وكانت مائدته موضوعة لمن يدخل داره وكانت همته ترنو على الدوام الى طلب المعالى ، كما كان لا يفارق الحاجب جعفر المصحفى الرجل الأول فى دولة الحكم المستنصر ، والذى كان يصانعه .

وعن طريق صحبته وملازمته للحاجب جعفر ظل يواصل أرتقاء المناصب ، وظل نجمه فى سطوع . ففى يوم السبت الرابع عشر من شهر شوال سنة ٣٥٩هـ عين للنظر فى أمانة دار السكة (٢) أضافة الى وكالة هشام .

1-DOZY:P,cit.,PP .461-462.

(٢) : أبن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، ٢٥١
ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٢٥
ـ على أدهم : منصور الاندلس ، ص ٢٩
-GEORGE C.MILES:THE COINAGE OF THE UMAYYADS OF SPAIN,NEW YORK,1950., PP.68-69,P.323, 329,332.

(منذ سنة ٣٥٦ هـ وحتى سنة ٣٦٧ هـ كان يسك أسمه " عامر " على وجه الدينار مع أسم الحاجب جعفر ، حاجب الخليفة الحكم المستنصر . وبعد أن تولى الحجابة أبتداء من ١٣ شعبان سنة ٣٦٧ هـ سك أسمه على وجه الدينار بصفته حاجبا . أنظر الدنانير التى تحمل أسمه " عامر" بحكم توليه أمانة دار السكة والتى ترجع الى سنوات ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦٠هـ)
ـ وأنظر أيضا فى هذا الصدد :
-HENRI LAVOIX:CATALOGUE DES MONNAIES MUSULMANES DE LA BIBLIOTHEQUE, NATIONALE.PARIS 1891,P.58,64-65.

وفى الثالث عشر من شهر ذى القعده سنة ٣٦٠ هـ أنتدبه الحكم لأستقبال كبار بنى خزر وأمراء زناته وعلى رأسهم على بن حمدون ، والقادمين من العدوة المغربية . وفى سنة ٣٦١ هـ عينه الحكم المستنصر للأشراف على الشرطة الوسطى (١) .

وفى أوائل شهر شوال سنة ٣٦٢ هـ بعثه الحكم المستنصر الى العدوة المغربية ضمن الجيش المرسل اليها وقدوده بأحمال الأموال والحلى وذلك لتوزيعها على كبار أعيان قبائل البربر والموالين للخلافة الأموية فى الأندلس ، فقام بهذه المهمه على أحسن ما يرام ، وأستمال أهلها ، وعين قاضى القضاة فيها ، فأصلح العدوة وطوعها فى ظل الخلافة الأموية . وفى بداية شهر جمادى الثانية سنة ٣٦٥هـ عين لتنظيم بيعة العهد لهشام بن الحكم ، وقبل موت الحكم عين للنظر فى الحشم " الخاص" (٢) . وبعد موت الحكم أسندت اليه مهمة قتل أخيه المغيرة بن عبد الرحمن والذى كان مرشحا للخلافة من بعده ،

---

(١) : يرجع الفضل للأمير عبد الرحمن الأوسط فى أدخاله خطة الشرطة فى نطاق النظام القضائى كخطة مستقله ذات سلطات خاصة ، وكذلك بفصلها عن ولاية السوق . وقد جعل الشرطة قسمين ، شرطة كبرى وشرطة صغرى : أما الشرطة الكبرى فقد كانت ولايتها على الخاصة . والشرطة الصغرى كانت ولايتها على العامة (أنظر أبن حيان : المقتبس ، تحقيق د / محمود مكى ، ص ٢٨٦ — أبن خلدون : المقدمه ، ص ١٨٥ — ١٨٦ ، ٢١٠) . وفى عهد عبد الرحمن الناصر وعلى وجه التحديد سنة ٣١٧هـ ظهرت شرطة ثالثه أطلق عليها أسم الشرطة الوسطى . وبذلك أصبح فى عصر الخلافة ثلاثة أنواع من الشرطة ، ويروى ليفى بروفنسال أن الشرطة الوسطى كانت مختصة بأفراد الطبقة المتوسطة من التجار وصغار الموظفين الذين كانوا يعملون فى الدواوين . (أنظر أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٠٢

-LEVI-PROVENCAL:L'ESPAGNE MUSULMANE,T.111,PP. 156-157.)

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ص ٤٩٦ — ٤٩٧ ، ٥٢٢

ثم قام بمهام أخذ البيعة لهشام بالخلافة فى الأندلس . وبعد موت الحكم دخلت نصارى الأسبان الأراضى الأسلامية للأندلس مستغلة موت الخليفة ، فبعثه الحاجب جعفر المصحفى على رأس الجيس الأسلامى لصدهم ، فتمكن من الأنتصار عليهم وهزيمتهم ، وعاد الى قرطبه بعد هذه المعركه وأصبح فى أعداد الوزراء فى دولة هشام بن الحكم (١) .

وقد أنتقل الى منصب الوزارة فى اليوم السادس من خلافة هشام فى شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ ، ثم خصصه الخليفة هشام ليكون رسولا بينه وبين الحاجب جعفر المصحفى فى تدبير شئون الدولة . وبعد عودته منتصرا من غزوته الثالثة سنة ٣٦٧ هـ ، رفعه الخليفة هشام المؤيد بالله الى خطة الوزارتين أسوة بغالب قائد الثغر الأعلى ، ورفع راتبه الى ثمانين دينارا فى الشهر ، وهو راتب الحجابة فى ذلك العصر . ثم أصدر الخليفة هشام المؤيد بالله بعد ذلك قرارا بمشاركته الحجابة مع الحاجب جعفر المصحفى . وفى شهر شعبان سنة ٣٦٩ هـ عين محمد بن أبى عامر حاجبا للخليفة هشام المؤيد بالله بدلا من الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى الذى أودعه محمد بن أبى عامر فى السجن حيث مات فيه (٢) .

تلقبه بالمنصور وبالملك الكريم وأستبداده بالسلطة :-

وكان لمساندة السيدة صبح لمحمد بن أبى عامر أثرها فى تقوية نفوذه فى الدولة . فقد قام بطرد الصقالبة من قصر الخليفة ، وتمكن من القضاء على أقوى منافسيه السياسيين فى الدولة ، وكان بدهائه يقتل بعضهم بسلاح بعض . ونتيجة لهذه السياسه قضى على أقوى منافسيه ومعارضيه ، أمثال الحاجب جعفر المصحفى وغالب قائد الثغر الأعلى الأندلسى ويعلى بن حمدون ، وأبنه عبد الله ، وعبد الرحمن بن مطرف التجيبى صاحب سرقسطه ، ثم حجر على الخليفة هشام المؤيد بالله فى قصره ، وتنكر فى النهاية الى السيدة صبح التى

---

(١) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٩٩

(٢) : أبن الخطيب : أعمال الأعلام ، قـ ٢ ، ص ٥٩ — ٦٠
— عنان : المرجع السابق ، ص ٥٢٩
— محمد لبيب البتنونى : رحلة الأندلس ، ص ٦٩

ساعدته في وضع يده على الدولة الأموية .

وبالاضافة الى ذلك فقد أدت الانتصارات التي أحرزها على التحالف المسيحي في معركة وادي دويرة الأوسط الى رفعة شأنه وتمكينه من جعل الدولة في قبضة يده ، فانفرد بالسلطة في الأندلس ، وتسمى في عام ٣٧١ هـ / ٩٨١ م بالحاجب المنصور ، ودعى له على منابر المساجد . وأستيفاء لرسوم الملوك ، كانت الكتب تنفذ عنه : " من الحاجب المنصور بن أبي عامر محمد بن أبي عامر الى فلان " ، وجرى في ذلك مجرى المتغلبين على سلطان بني العباس في المشرق من أمراء الديلم (١) .

وأخذ الوزراء وكبار أعيان الدولة بتقبيل يده ، ثم تبعهم على ذلك وجوه بني أمية ، فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم من رجال الدولة يقبلون يده ، ويتكلمون أحسن الكلام عند مخاطبته ، وأذا دخل على مجلسهم أبن من أبناء المنصور ، قاموا اليه وقبلوا يده .

وبذلك تساوى المنصور بن أبي عامر مع الخليفة هشام في هذه المراتب ، ولم يجعل فرقا بينه وبين الخليفة هشام الا في الأسم فقط وفي تصدير الكتب عنه . وبلغ في الجلالة وغاية المجد ما بلغه الخلفاء في الدولة (٢) . وأصبح الرجل القوى والحاكم المطلق في دولة الخلافة الأموية في الأندلس التي أخذت تتخلى عن ثوبها الأموى بأستثناء لقب الخلافة الذى لم يعد يسمع الا في الخطبة كل يوم جمعه في المسجد الجامع بقرطبه . وقد أرتبطت الدولة بكامل أجهزتها بالمنصور الذى أفضى على نفسه الألقاب الملكية ، ونقش أسمه على الطرز ، ودعى له على منابر مساجد الأندلس . وأستيفاء لأستقلاليته بالدولة قام ببناء مدينة الزاهرة سنة ٣٦٨ هـ وجعلها عاصمة ملكه ، وأنتقل اليها في سنة ٣٧٠ هـ ، ونقل اليها أيضا خزائن الأموال والأسلحة وأدارات الحكومة وحاشيته ووزراءه ، متخذا سمة الملك فيها (٣) .

1- JAN READ: Op.cit., P.88.

(٢) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩- ٢٨٠، ٢٩٤

(٣) : السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة في الأندلس ، جـ ١ ، ص ٢٥٩ — ٢٦٠

فجلس على كرسى الملك ، وأمر أن يحيى تحية الملوك ، وجعل له حرسا خاصا من البربر و الصقالبة . وتلقب بالمنصور ، ثم قلد الحجابة لابنه عبد الملك سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م ، وكان عبد الملك فى الثانية عشر من عمرة ، ونفذت الكتب عنه باسم " المنصور بن أبى عامر وفقه الله " كما تسمى أيضا فى سنة ٣٨٦ هـ " بالملك الكريم " (١) .

وكانت هذه دلائل واضحة على حقيقة الغاية التى يسعى اليها المنصور بن أبى عامر ، وهى أن ينسخ الخلافة الأموية حكما كما نسخها سلطانا ، وأن ينشىء دولة عامرية تتمتع بمراسيم الملك والخلافة ، فقد حجب الخليفة هشام فى قصره ومنعه من الظهور على الناس وأمر بالا ينفذ له أمر ، وجمع السلطة كلها فى قبضة يده .

وقد تمتعت البلاد فى عهده بالأمن والاستقرار ، ولم يضطرب عليه شىء طوال فترة حياته فى الحكم ، وذلك لقوة شخصيته وحسن سياسته فى أدارة الدوله . كما قام بأسقاط منافسيه من رجال الحكم من سائر الطبقات ، وقام بأبدالهم رجالا من أصطناعه سدوا مكانهم وأعانوه على أمره فى تقوية سلطانه (٢) .

وموجز القول فقد أصبح المنصور بن أبى عامر الحاكم الفعلى فى الأندلس بفضل مهارته السياسيه والعسكرية ، ونجاحه فى أصلاح أحوال البلاد الداخلية وكثرة غزواته فى بلاد النصارى ، وأنتصاراته فيها ، مما قوى مركزه وسلطانه فى الأندلس . أضافة الى أن المنصور قد سيطر على الخليفة هشام وأمه السيدة صبح ، فتاريخ الأندلس فى هذه الفتره (٣٦٨ — ٣٩٩ هـ / ٩٧٨ — ١٠٠٩ م) هو تاريخ أسرة ليست من بيت ملك ، ولكنها أستطاعت أن تستبد بالحكم وتتصرف فى شئون الدولة تصرفا كاملا ، فتلك هى الأسرة العامرية ، والتى يطلق عليها الدولة العامرية ، الممثلة فى الحاجب المنصور بن أبى عامر وولديه عبد الملك المظفر ،

---

(١) : أبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣

(٢) : أبن بسام : الذخيرة قـ ٤ ، م ١ ، ص ٤٣-٤٤
— محمد على حموده : تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والأجتماعى ، ص ٢٢٨
— عنان : تراجم أسلاميه ، ص ٢٠٩

وعبد الرحمن الملقب بشنجول (١).

وكان المنصور بن أبي عامر يعتزم أن يتخذ سمة الخلافة ،ولذلك جمع للمشورة فى ذلك الأمر قوما من خواصه ،منهم أبن حزم ،وأبن عياش ،وأبن فطيس من الوزراء ،ومن الفقهاء محمد بن يبقى بن زرب ،وأبو عمر بن المكوى والأصيلى . فأما أبن عياش وأبن فطيس فقد وافقاه على قراره ،وأما أبن حزم فقد قال للمنصور معارضا لهذه الفكرة بقوله : أنى أخاف من هذا تحريك ساكن ،والأمور كلها بيدك ومثلك لا ينافس فى هذا المعنى . أما الفقهاء فقد تردد رأيهم بين الاعتراض والموافقة ،فقال الأصيلى : يامولاى عربى ضابط خير من قريشى مضيع . وقال أبو عمر بن المكوى : يامولاى ومثلك يفكر فى هذا وأنت الكل وكل شىء بيدك وأنما يرغب فى الأسماء من لا يحقق ،والمدار على الحقيقة وهى بيدك . فسكت المنصور (٢).

ويبدو أن المنصور قرر عدم أتخاذ سمة الخلافة ،لأن الظروف لا تساعد على ذلك وخوفا من عدم قبول الناس لهذا القرار ،فهم يرون أن الخلافة لا تصح الا فى قريش . وحفاظا على سمعته الطيبة ومحبة الناس له لم يفكر طول حياته فى الحكم فى أنتزاع سمة الخلافة ، كما أوصى قبل موته أبنه عبد الملك بعدم المساس برسوم الخلافة . ولكن فى عهد أبنه عبد الرحمن ظهرت النكسة على الدولة العامرية عند ما أراد أن توءول اليه الخلافة بأجباره الخليفة هشام بولاية العهد له ،فكان من نتيجة ذلك مقتله وزوال الدولة العامرية على يد محمد بن هشام أبن عبد الجبار (٣) .

---

(١) : أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ،ص ٢٤٠ - ٢٤١

(٢) : شوقى ضيف : مقال بعنوان : نقط العروس فى تاريخ الخلفاء لأبن حزم . مجلة كلية الآداب جامعة فواد الأول (جامعة القاهره) المجلد الثالث عشر ،الجزء الثانى ،ص ٧٧

(٣) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٥٤

جهود المنصور بن ابى عامر فى الاحتفاظ بالسلطة

طرد الصقالبه من قصر الخليفة وتصفيتهم من مراتبهم فى الدولة :-

بعد موت الحكم المستنصر ، وتولى هشام ابنه الخلافة من بعده وهو فى سن الصغر اخذ المنصور بن ابى عامر يشرع فى تصفية منافسيه فى السلطة ، وذلك تحقيقا لرغباته التى رسمها فى عهد الحكم المستنصر ، وهى الانفراد بالسلطة فى الاندلس مستغلا صغر الخليفة هشام المؤيد بالله ومؤازرة السيدة صبح له . وقد وجد الطريق امامه شاقا وطويلا ومليئا بالخصوم والأعداء داخل البلاد وخارجها ، ولكنه استطاع بعزيمته ان يوقع بين خصومه ، ويضرب بعضهم ببعض ، ثم يصرعهم واحدا بعد الآخر . وكان مبدأه فى تحقيق ذلك ان الغاية تبرر الوسيلة . وكان أول عمل قام به المنصور ان انتهز فرصة العداء الذى بين الحاجب جعفر المصحفى والصقالبه ، فحث الحاجب جعفر على تصفية الصقالبه الموجودين فى قصر الخلافة وعلى رأسهم الفتيان فائق وجؤذر ، وذلك لما بدر منهما من معارضة فى البيعة لهشام بالخلافة ، ورغبتهما فى اسنادها الى المغيرة بن عبد الرحمن ، عم هشام المؤيد بالله .

والصقالبه يتكونون من الأسرى النصارى المسيحيين ، وبعضهم كانوا يأتون اطفالا يباعون فى أسواق الرق ثم اعتنقوا الاسلام وحسن اسلامهم (١) واجادوا للغة العربية ، ونبغ منهم الكثير فى الادب والنثر والنظم . اما الصقالبة القائمين بخدمة بلاط الخليفة فى الاندلس ، فيقول عنهم ابن حوقل الذى زار الاندلس فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى : انهم من اصل المانى وفرنسى وجليقى ، وان عددهم بلغ فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ما يقرب عن ١٣٧٥٠ رجلا . وكان لهم نفوذ كبير فى الدولة الأموية ،

---

(١) : احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥
- على ادهم : منصور الاندلس ، ص ٥٤ - ٥٥

وايضا كانت لهم املاك شاسعة فيها ، كما عهد اليهم بالوظائف العليا فى الجيش والحكومة (١) .

وفى عهد الخليفة الحكم المستنصر كان عدد الصقالبه القائمين على خدمته فى القصر ما يزيد عن الالف صقلبى . ولما مات الحكم المستنصر كان الصقالبة فى قصر الخلافة وعلى رأسهم فائق وجوذر يعتقدون ان لا غالب لهم ، وان الخلافة مسيرة فى أيديهم . وكان قد ظهرت منهم فى خلافة الحكم المستنصر أمور مستهجنة ، ومع ذلك كان الحكم المستنصر يقول عنهم : " هم أمناؤنا وثقاتنا على الحرم ، فينبغى للرعية ان تلين لهم وترفق فى معاملتهم " (٢) .

وبعد موت الحكم المستنصر شعر كل من الحاجب جعفر المصحفى والمنصور بن ابى عامر ان الصقالبة أصبحوا يكونون قوة لها كيان فى قصر الخليفة ، وانه أصبح يخشى غدرهم ودسائهم خاصة بعد مقتل المغيرة مرشحهم للخلافة . فاحتاط منهم الحاجب جعفر بصفته حاجب الخليفة هشام والقائم بأمر دولته ، ووضعهم تحت رقابته فأغلق الباب الحديدى المخصص لدخولهم الى القصر ، وأمرهم بأن يدخلوا القصر مع بقية الناس من باب السّدة ، وذلك لكى يتمكن من احكام الرقابة عليهم . كما قام بفصل الغلامين الصقلبيين فائق وجوذر من قصر الخليفة مع بقية الصقالبه القائمين على خدمة القصر ، وكانوا قرابة خمسمائة صقلبى ، وطلب من المنصور بن ابى عامر الحاقهم فى حاشيته ، فدخل جميع هؤلاء الصقالبة فى خدمة المنصور بن ابى عامر .

وقد احس الصقالبة بسوء مصيرهم ، فاستقال كبيرهم جوذر من الخدمة . وشعر بقيتهم ان نجمهم بدأ يأفل ، فاجتمعوا ونصبوا الفتى الصقلبى دري خلفا لزعيمهم جوذر . فشعر الحاجب جعفر المصحفى ان الصقالبه لا يزالون يخططون لاطاحته ، فطلب من المنصور ابن ابى عامر القضاء على زعيمهم دري وذلك ليكسر قوتهم ويحد من تجمعهم .

---

(١) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ١٣٣ - ١٣٤
-JAN READ,OP. cit.,P 73

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩
— ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٢٥٩

فدعى المنصور بن أبي عامر زعيمهم دري الى بيت الوزارة للتحقيق معه في أمور نسبت اليه والى أصحابه الصقالبة ، وبينما كان دري قادما الى مجلس الوزراء شاهد كثرة الجند يحيطون به فشعر بالخوف ، وحاول أن يعود قبل دخوله الى المجلس ، ولكن المنصور منعه من العودة وأمر الجند بالقبض عليه ، وأنهال الجند عليه ضربا فلحقته ضربة بصفح السيف ، وحمل الى داره وقتل من ليلته (١)

وبعد تلك الحادثة شعر المنصور بن أبي عامر أن الفرصة سانحة لسحق الصقالبة ، فأمر فائق الصقلبي وبقية زعماء الصقالبة بالمكوث في منازلهم . ثم أخذ يفرق جمعهم ويطاردهم ويقوم بتصفية أموالهم كما أشهر القتل فيهم ، والنفي الى خارج الأندلس ، وأخيرا قام بنفي فائق الصقلبي الى جزيرة ميورقة فمات هناك (٢) ، وبذلك أنهار سلطان الصقالبة . وقد قلد الحاجب جعفر أمر خدمة قصر الخليفة الى الفتى الصقلبي سكر الذي كان يثق فيه .

وينقل لنا أبن عذارى تعبير أبن حيان عن أرتياحه في طرد الصقالبة بقوله : وقد كان الصقالبة في البداية زينة الدولة ، وكان ظهورهم بجموعهم المتألقة ، وأزيائهم الضخمة يسبغ على القصر وعلى موكب الخلافة طابعا من الأبهة والعظمة ، ولكنهم منذ أن أستأثروا بثقة الخليفة وبسطوا سلطانه على القصر والدولة ، أشتد طغيانهم ، وثقلت وطأتهم على أهل الدولة والشعب قاطبة . وقد فرح الناس في قرطبة من طردهم من قصر الخلافة والسلطة ، فعبر الشاعر سعيد الشنتريني عن فرحته هذه بقصيدة أظهر فيها أعجابه لما قام به الحاجب جعفر والمنصور بن أبي عامر من عمل طيب بأخراج الصقالبة من السلطة والقصر ، ونفيهم خارج البلاد (٣) .

---

(١) : أبن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤
ـ فليب حتي : تاريخ العرب ، جـ ٢ ، ص ٦٣٣
(٢) : أبن بسام : الذخيرة ، قـ ٤ ، م ١ ، ص ٤٤
ـ أبن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠٠
(٣) : أبن عذاري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ ، ٢٨١ (نقلا عن أبن حيان)
ـ لين بول : قصة العرب في أسبانيا ، ص ١٤١ - ١٤٢

اعفـــاء جعفر بن عثمان المصحفى من الحجابة ووفاته فـــى سجنه :-

بعد ان انتهى المنصور بن ابى عامر من تصفية الصقالبة ونفى بعضهم خـــارج الاندلس ، ادرك انه امتدادا لمخططـــه فى السيطرة على الدولة ، بقـــى عليه التخلص مـــن أقوى منافسيه فى الحكم لكى تصبح له السيطرة الكاملة على الدولة الأموية ، ويصبح هـــــو الرجل الأول فيها . فأول من رســـم الخطة للقضاء عليهم من منافسيه هو الحاجب جعفـــر بن عثمان المصحفى أقواهم والرجل الأول فى دولة الخليفة هشام . وقبل ان نتكلـــــم عن تاريخ ذلك الصراع بين الرجلين نبدأ بفكرة موجزة عن الحاجب جعفر المصحفى ، ومكانتـــه فـــى دولـــة الخلافة الأموية امتدادا من خلافة الحكـــم المستنصـــر حتى خلافة ابنـــــه هشـــام المؤيـــد باللـــــــه (١)

فهـــو ابو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلـــــة القيسى . وكان جعفر الرجل الأول فى دولة الحكم المستنصر ، والسبب فى تقربة مـــــن الخليفة الحكم هو ان والده عثمان بن نصر كان مؤدب الحكم فى صبـــاه ، كما استخدمـــه والده الخليفة الناصـــر ، ورقـــاه الى خطة الشرطة الوسطـــى (٢) والنظر فى عدة من أعمـــال الكـــــور . ولما أسندت الخلافة الى الحكم المستنصر ، قلد جعفر خطة الوزارة وذلك بعد مضى ثلاثة أيام من خلافته ، وامضاه على الكتابة الخاصة . كما ولى أبناءه مناصب كبرى فـــى الدولـــــة . (٣)

فلم يزل جعفر يستقل بأمور الدولة ويتنقل من رتبة الى أعلى فى ظل خلافـــة

---

(١) : المراكشى : المعجب ، ص ٦٢

(٢) : انظر تعريف الشرطة الوسطى فى الباب الأول من هذه الرسالة ، ص ٣٧ ، حاشية (١)

(٣) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥

الحكم المستنصر ، حتى تولى أخيرا الحجابة فيها ، وأصبح الشخص الأول في الدولة في أواخر عهد الحكم المستنصر وبداية خلافة هشام المؤيد بالله (١) الذى جدد له منصب الحجابة في اليوم السادس من توليه الخلافة الموافق العاشر من شهر صفر سنة ٣٦٦ هـ . وبعد تجديد حجابته ، ساوى جعفر المصحفي في جلوسه مع الوزراء ، ولزم التواضع للناس وأطلق لهم حسن المعاملة ، ورأى بأن هذا الأسلوب في معاملة الناس يعفيه عن بذل المال لهم عند ما يرغب أحد منهم ذلك ، فأستأثر بأعمال الدولة في يديه ، ومؤثرا جمع المال وبناء المنازل (٢) . إلاّ أن المنصور بن أبي عامر عارضه في سياسته تلك ، حيث كانا المصحفي والمنصور على طرفي نقيض ، فقد أستبدل المنصور أبن أبي عامر بالبخل جودا ، وبالأستبداد أثره وباقتناء الأموال أصطناع الرجال وقضاء حاجاتهم . وأستمر المصحفي في منصب الحجابة والأشراف على أمور الخلافة والمنصور بن أبي عامر يسايره غير راض عن سياسته في أمور الدولة ومعاملته للناس ويكن في نفسه الأطاحة به ، إلاّ أن الفرصة لم تكن قد سمحت بعد (٣) .

وبعد ذلك أنحصرت المنافسة الفعلية في الحكم بين القائمين بأدارة شئون الخلافة الحاجب جعفر المصحفي ومساعده المنصور بن أبي عامر . الا أن أبن أبي عامر كان الأسرع في أتخاذ المبادرة وأكتساب المناسبات سواء بعلم أو بغير علم الحاجب جعفر . فقد كانت الضربة الأولى التي نزلت بكبار قوات الحرس الصقلبي وغيرهم من الصقالبة الذين كانوا في قصر الخليفة تحت ستار تأديبهم لموقفهم المعارض من تنصيب هشام الخلافة ،

---

(١) : المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٥٩٢ - ٥٩٣
— أبن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٢٨
(٢) — أبن بسام : نفس المصدر ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٤١ - ٤٢
(٣) : أبن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠٠
— أبن بسام : نفس المصدر ، قـ ٤ ، م ١ ، ص ٤٢ - ٤٣
— المقري : نفس المصدر ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣

هى من تخطيط وتحريض المنصور بن أبى عامر للحاجب جعفر المصحفى ، حيث أستبدل الحرس الصقلبى فى القصر بعناصر جديدة موالية فى الدرجة الأولى للمنصور بن أبى عامر . وكانت هذه أول خططه الذكية فى أتخاذ ركائز له فى الدولة على شكل واضح ولا سيما فى قصر الخليفة ، أضافة الى مؤازرة السيدة صبح أم الخليفة هشام والوصية عليه .

وفى تلك الأثناء وقعت حادثة على أحدى الثغور الأندلسيه كان لها دور كبير وأيجابى فى ظهوره ، حيث شنت أمارة قشتالة النصرانية هجوما على قلعة رباح الواقعة بين طليطلة وقرطبة ، مستغلة موت الخليفة الحكم المستنصر بقرطبه والظروف السياسية فى البلاد من بعده ، فقد مت بذلك العمل الفرصة التى أغتنمها المنصور بن أبى عامر ومهدت له الطريق الى القمة بصورة غير مباشرة . فقد كان الهجوم الذى نزل على قلعة رباح على يد القشتاليين فى منتهى الشدة ، فترك صداه المؤثر فى عاصمة الخلافة - قرطبة [١] الا أن الحاجب جعفر القائم بتدبير الدولة لم يحرك ساكنا ، وتجاهلها لأنه كان يخشى مغادرة العاصمه فى تلك الأجواء . وكان هذا الموقف سلبى من شخص يدير أعمال الدولة كالمصحفى ، حيث أوقعه دون أن يدرى ، وأفقده كثيرا من قيمته كرجل دولة ، ذلك أن سياسة الجهاد فى الأندلس كانت تعكس ظلالها دائما على شخصية المسئول وعلى حجمه فى الدولة ، وهى معادلة عامة فى كل زمان ومكان لا تصيب الأندلس وحدها ، فلأنتصارات الخارجيه غالبا ما ترفع أصحابها الى القمة ، بينما الهزائم تتطلخل الحكم وتطفىء شهرة الحكام .

وكان المنصور بن أبى عامر يراقب بأرتياح ذلك الموقف السلبى من الحاجب جعفر المصحفى فى صد الهجوم القشتالى ، ومع ذلك أقترح على الحاجب جعفر أثناء أجتماع كبار رجال الدولة للتداول فى هذا الأمر بأن يقوم بقيادة الجيش بنفسه لصد العدوان النصرانى الرابض على قلعة رباح ، ويرد على هجوم النصارى على

---

(١) : أبراهيم بيضون : تاريخ العرب فى أسبانيا ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣

القلعة ،فأجابه الحاجب جعفر بالموافقة وذلك بعد أن تهاون كبار رجال الدولة فى القيام بهذه المهمة . وأمر الحاجب جعفر بتجهيز الجيش وأعطى المنصور مائة الف دينار للقيام بتجهيز هذه الغزوة ،فأستكثر ذلك بعض من حضر الأجتماع فقال له المنصور : خذ ضعفها وأمضى ويحسن غناؤك . فخجل المعترض ،وسلم المال والجيش للمنصور بن أبى عامر الذى كتب له النصر (١).

ولعل الحاجب جعفر رحب بخروج منافسه المنصور بن أبى عامر من قرطبة والأبتعاد عنها فى حرب القلاع البعيدة على حدود الدولة الأسلاميه ،وذلك بعد أن شعر بوطأة وجوده وتحركاته السياسيه ومشاركته معه فى أدارة شئون البلاد ، الأمر الذى جعل المصحفى يخشى قوة نفوذه فى قرطبة .

ولربما الباحث يسأل عن دور غالب قائد الثغر الأعلى ـ الجبهة الشمالية ـ والرجل المتمرس فى جيش دولة الخلافة الأموية ،ولماذا تباطأ فى التصدى لهجوم القشتاليين ،ولماذا لم تسند اليه قيادة هذه الحملة بدلا من المنصور بن أبى عامر ،وهل تم ذلك بالتنسيق مع المنصور ليقطف ثمرة نصر هذه الحملة وليوظف ذلك الأنتصار فى خدمة طموحه السياسى ؟ (٢). ذلك أنه رغم الود القائم بين المنصور والقائد غالب فلا يبدو أن القائد غالب كان له دور فى المنافسة القائمة فى ذلك الوقت بين الحاجب جعفر والمنصور بن أبى عامر والتى أتخذت من قرطبة مسرحا لها . ويقول أحد المؤرخين المحدثين أنه من المؤكد أن جبهة الثغر الأعلى عند حدود نبره (نافار) التى هى دائرة نشاط القائد غالب العسكرية ،كانت من الخطورة بحيث أعطى القائد غالب أهتمامه لها فى ذلك الوقت . الأمر الذى جعله يطلب الأمداد وأرسال

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٦٤
ـ لين بول : قصة العرب فى أسبانيا ، ١٤٣ ـ ١٤٤
(٢) : أبراهيم بيضون : نفس المرجع ،ص ٣٣٣ - ٣٣٤

تعزيزات عسكرية له من العاصمة قرطبة ،

وبعد عودة المنصور بن ابى عامر منتصرا من غزوته الأولى هذه فى سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٧م حظى برضاء الخليفة هشام وامه السيدة صبح ، كما حظى بحب واعجاب الناس فى قرطبة . ثم اخذ يوسع نفوذه فى الدولة مستغلا نجاحه وانتصاره فى تلك الحملة ،فواصل مشروعه فى التخلص ممن يقف فى سبيل انفراده بشئون الدولة ، ومع هذا كان الحاجب جعفر يشركه معه فى امور الدولة السرية والعلنية ، ويرتاح لكفاءته ، بينما المنصور بن ابى عامر يعمل على اسقاطه ، ومن ثم اخذت المنافسه بين الاثنين تتسم بطابع الظهور ، حيث ان المصحفى الذى كان لا يزال قابضا بيده على مقاليد الدولة ، قد ادرك الأطماع التوسعية للمنصور فى الانفراد بالسلطة ، ومحاصرته له بحملات نفسيه عنيفة (١)

وكان غالب قائد الثغر الاعلى قد رامن عليه المنصور بن ابى عامر واعتبره الورقة الرابحة فى صراعه مع المصحفى ، حيث كانت العلاقة بين القائد غالب والحاجب جعفر متدهورة منذ ان اتهم الحاجب جعفر غالب بالتهاون فى الدفاع عن الحدود الشمالية للأندلس وخاصة أثناء الهجوم القشتالى على قلعة رباح (٢) فوجد المنصور فى ذلك مدخلا لاكتساب صداقة غالب ومخالفته له على اسقاط المصحفى ، ولكنه كان فى قرارة نفسه يريد التخلص من الاثنين معا ، ومن ثم تحول المنصور الى مدافع عن القائد غالب فى أوساط القصر الخلافى ، وتبرئة موقفه من حادثة قلعة رباح ، وقد قويت هذه الصداقة بينهما فى الحملة المشتركة التى قاما بها واستهدفت قشتاله . رغم ان القيادة الفعليه فى هذه المعركة كانت للقائد غالب ،الا ان المنصور بن ابى عامر قد أبدى من البسالة والشجاعة ما أثار أعجابه (٣) .

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ، ص ٣٢٨

(٢) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٥٢٨

(٣) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ،ص ٣٣٤ - ٣٣٥

وبعد هذا الانتصار وعودة المنصور بن أبي عامر الى قرطبة ، بدأت المؤشرات الأولى لذلك الصراع ، فبدأت المنافسة بين الحاجب جعفر والمنصور بن أبي عامر ، وخاصة من جانب المنصور ، حيث ساعده على المصحفي ميل الوزراء اليه نكاية في المصحفي لاستبداد المصحفي بالأموال وتعيينه أبنائه وأبناء عمومته في المناصب العليا في الدولة (١) .

وكانت الشخصية الثالثة على مسرح الأحداث في ذلك الوقت والتي من المحتمل أن ترجح أحدى الكفتين ، هي شخصية القائد غالب أقوى شخصية في الجيش الاندلسي، والذي كان يتمتع بشهرة عسكرية كبيرة ويحظى بتقدير رجال الدولة . غير أن القائد غالب لم يدخل في صراع التنافس الفعلي على السلطة بين الحاجب جعفر والمنصور بن أبي عامر ، رغم أنه لم يكن يرى أن الحاجب جعفر كفء بمنصبه في الحجابة ، أضافة لاهتمامه بعمله العسكري الذي أتخذ من مدينة سالم قاعدة له ، وعلى الرغم من بعده عن العاصمة فقد كان لثقله المعنوي تأثير كبير في ترجيح كفة أحد المتنافسين ، ولذلك أتجه المنصور بن أبي عامر اليه ، وتمكن بأسلوبه البارع من أكتساب مودته وصداقته ومحالفته له على أسقاط جعفر المصحفي (٢) . فبعد عودة المنصور بن أبي عامر من غزوته الأولى أستطاع أن يخرج مرسوما من الخليفة برفع القائد غالب الى خطة الوزارتين (٣) . وأن يندب القائد غالب

---

(١) : أبن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢
ـ المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٢٠ - ٤٢١
(٢) : ابراهيم بيضون : نفس المرجع ، ص ٣٣٢
(٣) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ص ٢٦٥
ـ السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠
ـ عنان : نفس المرجع ، ص ٥٢٨

لقيادة جيش الثغر ،وأن ينتدب المنصور بن أبى عامر لقيادة جيش الحضرة ، فأشتركا معا فى غزوة المنصور بن أبى عامر الثانية سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٧م ،والتى كتب لها النصر فيها ،فأزدادت الصلة بينهما . فبينما كان غالب يودع المنصور بن أبى عامر بعد تلك الغزوة ، قال له غالب : " سيظهر لك بهذا الفتح أسم عظيم وذكر جليل يشغلهم السرور به عن الخوض فيما تحدثه من قصة ،فأياك أن تخرج عن الدار حتى تعزل أبن جعفر عن المدينة وتتقلدها دونه "(١) . وكان غالب يأمل أن يصبح يوما حاجب الدولة وذلك لما يبذله من جهود وأنتصارات عسكرية فى حماية حدود بلاد الأندلس الأسلامية ،ولكن أمله خاب بتعيين المصحفى حاجبا ،فكتم هذا العداء للمصحفى الى أن كاشفه المنصور بن أبى عامر بعداوته له أيضا ،وأتفقا على القضاء عليه وطرده من السلطة (٢) .

وقد تم للمنصور بن أبى عامر ما أراد بأن أصدر الخليفة هشام أمرا بخلع محمد بن عثمان المصحفى عن حكم مدينة قرطبه ،وأن يتولى أمرها المنصور بن أبى عامر ،حيث كانت قرطبة فى حكم محمد بن جعفر المصحفى غير مستقر الأمن فيها ،كما كان للسيدة صبح أم هشام دور كبير فى تعيين المنصور بن أبى عامر حاكما لمدينة قرطبه .وكان هذا المنصب تجربة جديدة له برز فيه كما برز فى الحملات العسكرية ،فقد شهدت قرطبة هدوءا وأستقرارا لم تعرفها خلال حكم محمد بن جعفر المصحفى لها (٣) . ثم عين المنصور على مدينة قرطبه أبن عمه عمرو بن عبد الله بن أبى عامر ،وقام بسد باب الشفاعات ،وقمع أهل الفسق وأمنّ الناس ،وقلّص فساد

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٦٦
ـ أبن بسام : الذخيرة ،قـ ٤ م ١ ،ص ٤٦- ٤٧
(٢) أنيس النصولى : تاريخ الدولة الاموية فى قرطبة ،جـ ١ ،ص ١٢٩- ١٣٠
ـ على أدهم : منصور الأندلس ،ص ٦٢ - ٦٣
(٣) : أبن عذارى : المصدر السابق ،جـ ٢ ،ص ٢٦٦

حاشية القصر[١] ، حتى لقد عثر له على أبن له فأعضره الى مجلس الشرطة وجلده جلدا مبرحا[٢] ، فأنقمع الشر في أيامه . ولم يكن عزل محمد بن الحاجب جعفر المصحفي عن حكم قرطبه غير مقدمة لتخطيط المنصور بن أبي عامر للأطاحة بالحاجب جعفر المصحفي نفسه ، الذى شعر بالحصار السياسي والمعنوى المفروض عليه من القصر والجيش فأخذ كرسي الحجابة يهتز به[٣] .

وقد تنبه الحاجب جعفر الى خطط المنصور بن أبي عامر فأراد أن يوقف هذه الخطط ، فبادر الى مصالحة القائد غالب . وزيادة في توثيق العلاقة به خطب أسماء أبنته لأبنه عثمان . وكادت هذه السياسة أن تأتي ثمرتها ، ولكن المنصور تنبه لذلك ، وحال دون تحقيق هذه المصاهرة حيث حرض من في قصر الخليفة على طعن هذه الخطوبة[٤] . كما ناشد القائد غالب أن يحفظ الولاء بينهما ، وأن يزوجه أبنته أسماء . ونجح المنصور بن أبي عامر في أقناع القائد غالب بعدم مصاهرته المصحفي ، فتم فسخ هذه المصاهرة ، في حين وافق القائد غالب على خطبة المنصور بن أبي عامر لأبنته أسماء ، وتم عقد الزواج في شهر محرم سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م[٥] .

---

(١) : ابراهيم بيضون : نفس المرجع ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦

(٢) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠

(٣) : أبن الخطيب : أعمال الأعلام ، قـ٢ ، ص ٦١
— المقري : نفح الطيب جـ ٣ ، ص ٨٨ - ٨٩
— أنيس النصولى : نفس المرجع ، ص ١٣٠

(٤) : أبن عذارى نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٦٧
— عنان : تراجم أسلاميه ، ص ٢٠٨

(٥) : السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠
— أنيس النصولى : تاريخ الدولة الاموية في قرطبة ، جـ ١ ، ص ١٣٠ - ٣٣١

- JAN READ:Po.cit.,P.87.

وفي شهر صفر سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م ،غزا المنصور بن أبي عامر غزوته الثالثة والتقى بصهره غالب في طليطلة وأقتحما حصن رنيق وأستوليا على سلمنقة . وعاد المنصور بن أبي عامر الى قرطبة منتصرا ،فقلده الخليفة هشام المؤيد بالله منصب الوزارتين وقلد غالب الحجابة بالاشتراك مع الحاجب جعفر المصحفي (١) .

وفي هذه الاثناء أمر الخليفة بزفاف أسماء الى المنصور بن أبي عامر في قصر الخلافة في أحتفال كبير وبأشراف أمه السيدة صبح التي أغدقت على أسماء أروع الهدايا والتحف . فأحضرت أسماء بصحبة أبيها الى قرطبة في موكب ضخم ،وكانت من أجمل نساء عصرها وأوفرهن ثقافة وسحرا ،وكانت قد تزوجت من قبل الوزير أبن حديب أيام خلافة الحكم المستنصر ،ثم طلقت منه ،وزفت الى المنصور في ليلة النيروز في أحتفالات كانت مضرب الأمثال في البذخ والبهاء (٢)

بذلك أيقن الحاجب جعفر المصحفي أن المنصور بن أبي عامر يلاحقه لأسقاطه من السلطة ونكبته الأمر الذي دعاه الى عدم أعتراض المنصور . كما أنفض الناس من حوله وأقبلوا على المنصور بن أبي عامر ،وأصبح المصحفي يذهب الى قصر الخلافة ويعود وحده بدون حرس وأشخاص برفقته ، فلم يعد له من الحجابة سوى أسمها .ومع ذلك ظل المنصور بن أبي عامر يعمل في الخفاء على أسقاطه حتى أفسد بينه وبين الخليفة هشام ، فعزله الخليفة هشام عن الحجابة في يوم الأثنين الثالث عشر من شهر شعبان سنة ٣٦٧ هـ / ٢٦ مارس سنة ٩٧٨م (٣) . ثم أسند الخليفة هشام الحجابة الى المنصور بن أبي عامر وأمره بمحاسبة آل المصحفي .فقبض المنصور بن أبي عامر على جعفر المصحفي وسجنه ،كما أخذ يستصفي أموال آل المصحفي ،

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ،ص ٣٣٠ - ٣٣١

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٢٩

(٣) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٦٧
— أبن الخطيب : المصدر السابق ،قـ ٢ ، ص ٦٠
— المقرى : المصدر السابق ،جـ ١ ،ص ٤٢٠ - ٤٢١

ومزقهم فباع قصر المصحفي في الرصافة وكان من اعظم قصور قرطبة (١)، وقام بقتل هشام ابن أخي جعفر المصحفي في سجن المطبق وكان هشام هذا من أشد الحاقدين على المنصور بن ابي عامر ، حيث بلغ من حقده للمنصور ان سرق من المنصور أثناء عودته من غزوته الثالثه الى قرطبة رؤوسا للنصارى كانت تساق الى قرطبة ونفسه فيها بأن أمر غلمانه بالقائها في النهر ، مما أغضب المنصور بن ابي عامر عليه وعجّل بقتله في السجن قبل عمه الحاجب جعفر المصحفي (٢).

واستمر المنصور بن ابي عامر في نكبة جعفر المصحفي سنين طويلة ، مرة يحبس ومرة يترك ، ومرات يذهب به معه في غزواته مسجونا . ولم يزل على هذه الحالة حتى لم يعد يقدر على الاحتمال في سجنه الذى عذب فيه عذابا مبرحا (٣). وذات يوم امر المنصور باحضاره الى مجلس الوزراء بقصر الخلافه لمحاكمته امام الوزراء فيما نسب اليه من ابتزاز الاموال بنفسه ، فتردد الى هذا المجلس مرارا للمحاكمة . واحضر آخره مرة الى مجلس الوزراء وهو شديد الانزعاج ، وكبر سنه قد اضناه وقصر خطاه ، وكان الموكل باحضاره الى المجلس يأمره بالاسراع في المشي ، فيقول له جعفر : " يابني رفقا فستدرك ما تريد ، وياليت ان الموت يباع فأغلى الله سومه " (٤) ثم قال شعرا :

لا تأمنن من الزمان تقلبا ... ان الزمان بأهله يتقلب

ولقد أراني والليوث تخافني ... واخافني من بعد ذاك الثعلب

---

(١) : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٢) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٨
— ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٤٧ - ٤٨

(٣) : انيس النصولي : الدولة الاموية في قرطبة ، جـ ١ ، ص ٣٣١

(٤) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩
— المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٢١ - ٤٢٢

حسب الكريم مذلة ومهانة أ لا يزال الى اللئيم يطلب

اذا أتت أعجوبة فأصبر لها فالد هر يأتي بالذى هو أعجب .(١)

ثم صار الى أن دخل المجلس والوزراء جلوس ، فجلس جعفر في آخر المجلس دون أن يسلم ، فأسرع اليه الوزير محمد بن حفص بن جابر وكان من أنصار المنصور بن أبي عامر ، فعنف جعفر وأستجهله وأنكر عليه ترك التسليم ، وجعفر ساكت ، فلما أكثر الكلام عليه ، قال له جعفر : " ياهذا جهلت المّبرة ، فأستجهلت عالمها وكفرت اليد فقصرت بمسديها " فأضطرب محمد بن حفص من كلام المصحفي ، وقال : " هذا هو البهت بعينه ، وأى أياديك الغراء التي مننت بها ؟ أيد كذا أم كذا " وعدد أشياء أنكرها عليه جعفر المصحفي أيام حجابته ، وقال جعفر : هذا مالا يعرف والحق الذى لا يرد ولا يصرف دفعني القطع عن يمينك ، وتبليغي لك الى مناك . فأصر محمد بن حفص على جحد ما ذكره المصحفي فقال جعفر : أنشد الله من له علم بما ذكرت أن يتكلم .(٢) فقال الوزير أحمد بن عباس : وقد كان بعض ما ذكرته ياأبا الحسن - المصحفي - غير هذا أولى بك وأنت فيما أنت فيه من محنتك وطلبك . فقال المصحفي : أحرجني هذا فتكلمت ، وأحوجني الى ما به أعلمت . ثم أقبل الوزير محمد بن جهور على الوزير محمد أبن جابر وقال له : أسأت الى الحاجب المصحفي وأجبت عليه غير الواجب ، أو ما علمت أنه من كان في سخط السلطان ، تحامى السلام على أوليائه لأنهم أن ردوا عليه أسخطوا السلطان لتأمينهم من أخافه ، وأن تركوا الرد أسخطوا الله وتركوا ما أمر به ، لقوله تعالى " وأذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها "(٣) فكان

---

(١) : أبن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥١

(٢) : المقرى نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٤٢٢ - ٤٢٣

(٣) : النساء : ١٦

الأمساك أولى ،ومثل هذا لا يخفى على أبى الحسن - المصحفى - فخجل محمد بن حفص بن جابر مما بدر منه من نقص ،وأسفر وجه جعفر المصحفى وأبتهج ،ثم أخذ الوزراء فى مناظرة المصحفى ومحاسبته على الأموال التى أستحوذها لنفسه ،فقال لهم : قد والله أستنفذت ما عندى من الطارف والتالد ، ولا مطمع فيّ فى درهم ولو قُطعت أربا أربا . فأعيد الى سجنه فى المطبق (١) وبلغ جعفر المصحفى وهو فى سجنه أن قوما توجعوا وغضبوا من حبسه وحاله فى السجن ،فكتب اليهم قائلا :

أحسن الى أنفاسكم فأظنها بواعث أنفاس الحياة الى نفسى
وأن زمانا صرت فيه مقيدا لأثقل من رضوى وأضيق من رمسى (٢)

وكان جعفر بن عثمان المصحفى فى سجنه من أخور الناس وأذلهم وذلك من شدة ما يلاقيه به من عذاب ،وكان يحب الحياة لدرجة أنه كتب الى المنصور أبن أبى عامر يعرض عليه نفسه لتأديب أبنيه عبد الله وعبد الملك ،ولكن المنصور رفض طلبه ،وقال : أراد أن يستجهلنى ويسقطنى عند الناس ،وقد عهدوا منى بابه موءملا ،ثم يرونه اليوم بدهليز معلما (٣) !

وكان جعفر بن عثمان المصحفى شاعرا جزلا ،فقد أذكت المحنة شاعريته ، وصدر عنه فى سجنه كثير من القصائد الموءثرة ،ومن بديع ما قاله فى نكبته قوله يستريح من كربته فى سجنه ،قوله :

---

(١) : أبن عذارى : نفس المصدر ،جـ ٢ ،ص ٢٦٨ - ٢٦٩
- المقرى : نفس المصدر ،جـ ١ ،ص ٤٢٢ - ٤٢٣
- على أدهم : منصور الاندلس ،ص ٧٢
(٢) : المقرى : نفح الطيب ،جـ ١ ،ص ٤٢٣
(٣) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٦٨

صبرت على الأيام لما تولت ... وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
فواعجبا للقلب كيف أعترافه ... وللنفس بعد العز كيف أستذلت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ... فأن طمعت تاقت والا تسلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت صبري على الذل ذلت
فقلت لها يانفسي موتي كريمة ... فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت (١)

ويقول عنان نقلا عن أبن حيان ، معلقا على نكبة المصحفي بقوله : وكانت لله عند جعفر في أيثاره هشاما ، وأتباع شهوة نفسه وحظ دنياه ، وتسرعه الى قتل المغيرة لأول وهله دون قصاص جريرة أستدركته دون أملاء ، فسلط عليه من كان قدر أن يتسلط على الناس بأسمه . (٢)

وكتب الى المنصور بن أبي عامر من سجنه يستعطفه بأن يعفو عنه ، فقال :

هبني أسأت فأين العفو والكرم ... أذ قادني نحوك الأذعان والندم
ياخير من مدت الأيدي اليه ... أما ترى لشيخ نعاه عندك القلم
بالغت في السخط فأصفح صفح مقتدر ... أن الملوك اذا ما أسترحموا رحموا (٣)

فلما سمع المنصور هذه الأبيات زادته حقدا على جعفر المصحفي ، فأجابه المنصور بن أبي عامر بهذه الأبيات ، وهي لوزيره وكاتبه عبد الملك الجزيري :

الآن ياجاهلا زلت بك القدم ... تبغي التكرم لما فاتك الكرم
ندمت اذ لم تفز منا بطائلة ... وقلما ينفع الأذعان والندم

---

(١) : أبن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٤ - ٥
(٢) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٣٠ ، ٥٣١
(٣) : أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥

أغريت بى ملكا لولا تثبيتـــــــه ما جاز لى عنـده نطق ولا كلـم
فأيئس من العيش أذ قد صـــــرت فى طبق أن الملوك اذا ما أستنقموا نقموا
نفسى اذا سخطت ليست براضيـــة ولو تشفع فيك العـرب والعجـم (١)

فلما بلـغ جعفـر المصحفـى جواب المنصـور قال :

لـى مدة لا بد أن أبلغهـــــا فأذا أنقضت أيامها مـــــت
لو قابلتنى الأسـد ضاربـــــة والموت لم يـدن لما خفـــت
فأنظر الى وكـن على حـــذر فمثلك حالك أمس قد كنـــت (٢)

قال أبن بسـام : مما يروى لجعفـر المصحفـى عند ظهور محمد بن أبى عامر عليـه وأنتزاعـه ما كان من الحجابة فى يديـه ،وأفضائـه بـه الى هـذه الحال من الهضـم والأعتقـال ،قوله :

تندمت والمغرور من قد تنـــدما وهـل ينفـع الانسان أن يتنـدم
غرست قضيبا خلته عـود كرمـــة وكنت عليـه فى الحوادث قيمـا
أكرمـه دهرى فيزداد خســـة ولوكـان من عـود الكريم تكرما (٣)

وكان المنصور بن أبى عامر يذهب بجعفر المصحفى مسجونا معه فى معظم غزواتـه ، ويحكـى أن بعض القوم المصاحبين للمنصور فى أحدى غزواته لا رأى الحاجب جعفر المصحفـى فى ليلة نهى المنصور فيها الناس عن أيقـاد النار وذلك تعمية للعدو ،والمصحفى ينفخ فحما فى كانون صغير يخفيه تحت ثيابـه ،أو كما قال : فسبحان مزيل الدول ،لا اله الا هو ،فأن هذا المصحفى بلغ من الجلالة والعظمة والتحكم فى الدولة المدة المديدة أمرا لا مزيل عليـه والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وذكر بعض العلماء المغاربة أن من أعاجيب

(١) : أبن عذارى : المصدر السابق ،جـ ٢ ،ص ٢٨٦
(٢) : المقرى : المصدر السابق ،جـ ١ ،ص ٦٠٣
(٣) : أبن بسام المصدر السابق ،، قـ ٤ ،م ١ ،ص ٥٢

أنقلاب الدنيا بأهلهـــا قصة المنصور بن أبى عامر مع الحاجب جعفر بن عثمـــان المصحفى (١). ويقول محمد بن أسماعيل كاتب المنصور : وقفت للحاجب المصحفـــى فى طريقه من داره وقت علة الحكم المستنصر ،وقد تناهـــى أمره فى الجلالـــة ، أروم أن أناوله قصة فوالله ما تمكنت من الدنو اليه لكثافة موكبه ،وأخذ الناس الطريـــق عليه مسلمين وسائلين ،فأنثنيت حسيرا مبهوتـــا .فلم تتطل المدة حتى سلبه أبن أبـــى عامـــر حاله ،وقبض عليه ،وجعل يحمله فى الغزوات معه ،وسرت فى صحبـــة أبن أبـــى عامـــر ،وأتفق لى أن نزلت فى بعض المنـــازل بجليقية الى جانب مخبأه ،وفى ليلة نهى أبن أبى عامـــرٍ وقود النار ليخفى على العدو مكانه ،فرأيت والله عثمان بن جعفر يسقى أباه جعفر دقيقـــا قد خلطه بالماء يُقيم أوده ، والشيخ يحسوه ويحرص عليه ضعف حال وعدم زاد ،فلا أنسى تلك الموعظة ،ومن يغتر بالأيام الا ضعيف العقل (٢). وسمعته يقول :

تأملت صرف الحادثات فلم أزل ... أراها توافى عند مقعدها الحرا
تجافت بها عنا الحوادث برهة ... وأبدت لنا منها الطلاقة والبشرا
فلله أيام مضت بسبيلها ... فأنى لا أنسى لها أبدا ذكرى
وهذه الأيام إلاّ سحائب ... على كل أرض تمطر الخير والشر (٣)

ومما حفظ له فى أستعطافه للمنصور بن أبى عامر لأخراجه من سجنه قوله :

عفا الله عنك ألا رحمة ... تجود بعفوك أن أبعد
لئن جل ذنب ولم أعتمده ... فأنت أجل وأعلى يد
ألم تر عبدا أعد طوره ... ومولى عفا ورشيدا أهدى

---

(١) : المقرى : نفح الطيب ،جـ ١ ،ص ٦٠٣

(٢) : أبن بسام الذخيرة ،ق ٤ ،م ١ ،ص ٤٩

(٣) : أبن عذارى : البيان المغرب جـ ٢ ،ص ٢٧١

-DOZY: Op.cit.,PP.482-487.

ومفسدا أمـــرا تلافيتـــــــه فعـــاد فأصلـح ما أفســـــدى

أقلـلى أقالك من لـم يـــــزل يقيك ويصـرف عنـك الردى (١)

ولما لم يفـد أستعطـاف جعفـــر بن عثمـان المصحفـى المنصـور بـــن أبـى عامـــر ليخرجـه من سجنه فـى مدينة الزهـــراء طلب منه أن يسمح له بوداع أهلـــه وداع الفرقـة ،وقال لستم ترونـى بعدهـا حيـا فقـد أتـى وقت أجابـة الدعوة ،وأنـا أرتقبـه منذ أربعين سنة .فسئل عما ذكـره ،فقـال المصحفـى : رُفع على فلان أيام الناصر وسعى بـه اليـه ،فأشرفت على أعمالـه ،فآل أمـره الى ضربـه ،وتغير نعمتـه ،وأطالـة محبسـه ،فبينمـا أنا نائـم ذات ليلـة اذ أتانـى آت فقال لـى : أطلق فلانا وقـد أوجبت دعوتـه فيك ،ولهـذا أمـر أنت لابـد لاقيـه ،فأنتبهت مذعورا وأحضـرت الرجـل ، وسألتـه أحلالـى ،فأمتنـع علـيّ ،فاستحلفتـه علـى أعـلامـى بما خصنى به مـــن الدعـــاء ،فقـال نعـم : دعوت اللـه أن يميتك فـى أضيق السجون كما عمرتنيه حقبة . فعلمت أنـه قـد وجبت دعوتـه ،وندمت من حيث لا ينفـع النـــدم ،وأطلقت الرجـل ، ولـم أزل أرتقب ذلك السجـن (٢) .

ومات جعفـر بن عثمان المصحفـى الذى تألـق كأبرز الوزراء والحجـاب فـــى تاريخ الدولة الأموية فى الأندلس بسجنه فى الزهراء سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢م . وقـد أعـده الناس من قتلـى المنصـور بن أبـى عامـــر ،وزعمـوا أنـه دس لـه شربة سـم فقضت عليـه ، وقيـل مات خنقـا واللـه أعلـــم . وقال محمد بن أسماعيـل كاتب المنصـور : سرت مـع محمد بن مسلمـه الى الزاهـرة لتسليم جثمان جعفر المصحفى الى أهلـه وولده ،والحضور على أنزالـــه الى ملحـده فى قبره ،فنظـرت اليـه ولا أثر فيـه ،وليس عليه شيء يواريـه غير كسـاء خلـق لبعـض البوابين سترة بـه ،فدعا لـه محمد بن مسلمة ،ففسلـه واللـه

---

(١) : أبن خاقان : مطمح الأنفس ،ص ٥ - ٦

(٢) : أبن عذارى : نفس المصدر ،جـ ٢ ،ص ٢٧٠
— أبن بسام : الذخيرة ،قـ ٤ ،م ١ ،ص ٥٠

على خرد باب أقتلع من ناحية الدار ،وأنا أعتبر من تصرف الأقدار ،وخرجنا بنعشه الى قبره ،وما معنا الاّ أمام المسجد المستدعى للصلاة ،وما تجاسر أحد على النظر فيه (١) .

الحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله ،وأحباطه جهود السيدة صبح فى أستعادة السلطة لأبنها :-

أخذ المنصور بن أبى عامر يواصل مخططاته فى الأستيلا على مهام الدولة الأموية ،فبعد أن سجن الحاجب جعفر المصحفى حتى مماته ، وأنتقل الى مدينته الزاهرة التى بناها لتكون عاصمة لدولته العامرية . رغب فى أن يستكمل سلطته فى الدولة بأن ينهى هيمنة الخلافة الأموية ، وذلك بالحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله لصغر سنه .فأشاع المنصور بن أبى عامر أن الخليفة هشام قد فوض اليه النظر فى أمر الملك ،وتخلى عنه له للأشراف على شئون الدولة ،وذلك ليتفرغ لعبادة ربه (٢) . ونشر هذه الدعوة على كافة مواطنى الأندلس الذين كانوا قد أطمئنوا اليه فى تقلده زمام أمور الدولة ،وذلك لقوة ضبطه وسرعة بطشه ولأنتظام أحوال الدولة له (٣) .

وكان المنصور قد حصن قصر الخليفة هشام ،وقام بعمل سور دائرى حول القصر ،ثم حفر خندقا حوله ،ورتب للقصر جندا من أعوانه لحراسته ليلا ونهارا بدون توقف ،ومنع الخليفة هشام من الخروج من القصر ، وجعل حرسا لأبوابه لمنع من يريد مقابلته ،إلاّ من كان يحمل أذنا منه (٤) .

---

(١) : أبن عذارى : نفس المصدر ،جـ ٢ ،ص ٢٧٠
ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ،ص ٣٣٠ - ٣٣١

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٣٦
ـ عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ص ٢٣١

(٣) : محمد على حموده : تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والأجتماعى ،ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩

(٤) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٧٦

وأما من كان يريد الدخول على الخليفة هشام بدون أذن من المنصور ، فأن المنصور كان يأمر بالقبض عليه والتنكيل به . وقد بلغ المنصور مبلغا لم يبلغه من قبل متغلب على خليفة ، فقد أستولى على مقاليد الخلافة بأسرها ،وأصبح الخليفة هشام فى قبضة يده ،حتى أن هشاما لم يعد يستطيع أن ينفذ له أمر حتى فى داخل قصره ولا على حرمه ،الاّ بأذن المنصور . وقد عين المنصور على القصر متوليا لشئونه ممن يثق به ،فأصبح المتولى على القصر عينا على الخليفة هشام ،ولم يعد يخفى عليه شىء من تحركات وأخبار الخليفة هشام التى كان يقوم بتبليغها للمنصور بن أبى عامر أولا بأول (١) .

وبذلك عطل المنصور الخليفة هشام من كافة صلاحياته ،وأصبح الخليفة نفسه محبوسا عن الناس ،لا يصله خبر ،ولا يرى أحدا فى قصره سوى حاشيته الموجودة معه فى داخل القصر ،ولم يعد له سوى ذكر أسمه فى الخطبة ونقش اسمه على النقود (٢) كما أمر المنصور الناس بعدم ذكره فى مخاطباتهم ،ومنع الوزراء من الوصول اليه ،الا فى النادر من الايام ،وبأذن مسبق منه يسلمون عليه ثم ينصرفون (٣) . وعلى الرغم من حجره على الخليفة هشام على هذا النحو وتغلبه على أمور الدولة الا أنه كان حريصا على أن يظهر للناس أن ما يأمر به فى شئون الدولة أنما هو صادر عن الخليفة هشام ،وذلك ليتجنب غضبهم عليه وليكسب مودتهم (٤) .

كما قام المنصور بقتل من يخشى منه من أمراء البيت الاموى فى الاندلس ،وذلك خوفا من ثورتهم عليه ،حتى أفنى من يصلح فيهم للخلافة وفرق من تبقى منهم فى أقاليم الدولة ،وأسكن بعضهم البادية ،حتى قال ممن ينقم على المنصور بن أبى عامر على

---

(١) : أبن عذارى : نفس المصدر ،جـ ٢ ،ص ٢٧٨
ـ أبن الاثير : الكامل فى التاريخ ،المجلد الثامن ،ص ٦٧٧
(٢) : أبن الكردبوس : الاكتفاء فى تاريخ الخلفاء ،ص ٦٢
(٣) : أبن خلدون : العبر المجلد الرابع ،ص ٣١٩ - ٣٢٠
(٤) : المقرى : نفح الطيب ،جـ ١ ،ص ٥٨٠
ـ على أدهم : المرجع السابق ،ص ٩٤

-DOZY:Op.cit.,PP.492-499.

فعلـــه هـــذا ، هذه القصيدة التي مطلعهـــا :

أبني أمية أين أقمار الدجـــى منكم وأين نجومها والكوكـــــب
غابت أسود منكم عن غابهـــــا فلذلك حاز الملك هذا الثعلب

وقد علل المنصـور بن أبـي عامـــر قيامه بذلك العمـــل ، بحرصه على الخليفـــة هشـــام من الأمويين المنافسين لـــه والناقمين على خلافته(١) .

ويروى أن المنصـور بن أبي عامـــر لما حجب هشـــام على الناس ، وأستبـــد بالأمـر دونـه ، ظهرت بين الناس بقرطبـه أقوال مغرضـه وأنشد وا فيما بينهم أبياتـــا لاذعـة ، من ذلك ما قيـل على لســان الخليفة هشـــام في الشكوى من الحجر عليه :

أليس من العجائب أن مثلـــي يرى ما قـل ممتنعـا عليـــه
وتُملك باسمه الدنيا جميعـــا وما من ذاك شيء في يديـــه (٢)

ومما قيـــل في سبب الحجـر على هشـــام ، قول أبن الخطيب : " ولمـــا كان هشـــام مند رجـــا في طـي كافلـه الحاجب المنصور - رحمه الله - بحيث لا ينسب اليـه تدبير ولا يرجـع اليه من الأمور قليل ولا كثير ، اذ كان في نفسـه وأصل تركيبـــه ضعفا مهينـــا ، مشغولا بالنزهـات ولعب الصبيان والبنات ، وفي الكبر بمجالسة النســـاء ومحادثة الأمـاء ويحرص بزعمـه على أكتسـاب البركات والآلات المنسوبات ، فكم الفـــي بخزانته من الواح منسوبة الى سفينة نوح ، وخفـاف منسوبة الى ناقـة صالح ، وقرون منسوبة الى كبش أسحاق ، ومن حوافـر منسوبة الى حمار عزيز ، ولم يسترب في تعددها ، وأوانـــي وضوء متوارثة عن زهـاد ، بذل في ذلك من الأموال ما يزن أضعاف أوزانها " (٣) .

---

(١) : المقرى : المصدر السابق جـ ١ ، ص ٥٩١ - ٥٩٢
(٢) : أبن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٠
— عنان : تراجم أسلاميه شرقية وأندلسيه ، ص ٢٠٧
(٣) : أبن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٥٨ - ٥٩

ومن الاقوال الاخرى التي تبرر حجر المنصور على الخليفة هشام ما يذكره ابن سعيد في وصفه له روايات تروى عنه وتبين مدى تخلفه العقلي ، اذ يقول : نشأ جامد الحركة ، أخرس الشمائل لا يشك المتفرس فيه أنه حمار في صورة آدم ، وعشق في صباه نباح الكلاب ، فجعل الغلمان يهيجونه حتى ينبح ليتلذذ بذلك . وكلما زاد سنا نقص عقلا ، ولما خلعه محمد بن هشام (١) ، وحصل في قبضته ، قال لأحد غلمانه وقد ذهبت دولته وهتك حرمه : بالله أنظر هدهدي أن كان سليم ، وتفقده لئلا يهلك بالجوع والعطش فأنه من ذرية الهدهد الذي دل سليمان على عرش بلقيس . فقال المأمور بهذا : فكنت والله أخنقه فيستريح ويستراح منه . كما يروى ابن سعيد قصة أخرى جرت بينه وبين أحد رجاله عن " بغلته " التي كان يعتز بها ، وهي توضح الى أي مدى بلغ به التخلف ونقصان العقل . ولما أخبر أحد رجال المنصور أياه بهذه الروايات التي تحكى عن الخليفة هشام سجد لله ، وجعل يكرر حمد الله ثم قال : أتعلم أن هذا الذي أنكرته صلاح المسلمين ، وذلك أن السلطان الذي تصلح معه الرعية أثنان : أما سلطان قاهر ذو رأي ، عارف بما يأتي ويذر ، مستبد بنفسه ، وأما سلطان مثل هذا ـ هشام ـ تدبر الدنيا بأسمه ولا يخشى المتفرغ لحراسة سلطانه غائلة ، والمتوسط يهلك ويُهلك (٢) .

ويتبين من هاتين الوايتين أن هشاما كان معتوها لا يهتم الا بمثل هذه الأشياء التي لا تليق بأنسان عاقل فضلا عن كونه خليفة يرعى شئون رعيته . فهو في نظر المؤرخ بهذه الصورة شخصية لا يوبه لها ، وأن الأهتمام أنما ينبغي أن يوجه الى الشخص الموكل اليه شئون الدولة وهو المنصور بن أبي عامر الذي أثبت جدارته في الحكم وقيادة شئون البلاد (٣) .

---

(١) : ولي محمد بن هشام بن عبد الجبار وهو من البيت الأموي ، خلافة الأندلس سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٩ م بعد مقتل عبد الرحمن بن المنصور ، وبقي فيها ستة عشر شهرا حتى قتله العبيد مع واضح الصقلبي ، وتولى الخلافة من بعده المستعين سليمان بن الحكم .

(٢) : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ١ ، ص ١٩٤ - ١٩٦

(٣) : أحمد العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤١

وأستمر المنصور بن أبي عامر في توسيع مطامعه في السلطة ، فأنفرد بزمام الدولة بدون مشاركة أو أستشارة من خليفته السيدة صبح أم الخليفة هشام والوصية عليه . وعند ما أحست السيدة صبح بنوايا المنصور بن أبي عامر وأدركت أطماعه التوسعية في الأنفراد بالسلطة دون الرجوع اليها أو الى أبنها الخليفة هشام ، وأتخاذه ألقاب السيادة والملك ومدى خطورة ذلك على مستقبل ولدها ومستقبل الخلافة الأموية ، أتخذت موقفا معارضا للمنصور بن أبي عامر وذلك لتحد من زحفه في الأستئثار بشئون الدولة ، فتحول ذلك الود الذى بينها وبينه والذى تشير اليه الرواية الأسلاميه بالتحفظ والأحتشام الى غضب صارخ عليه . فهى التى كانت له أكبر معين وسببا من أسباب ظهوره على مسرح الأحداث في الدولة . فأخذت السيدة صبح تقاوم المنصور وتتقرب الى خصومه . ومن الطبيعى أنه كان من الصعب عليها مقاومته بعد أن سهلت له التدرج في مناصب الدولة حتى بلغ قمتها ، فضلا عن قوة نفوذه وعزيمة بأسه في قتل من يقف في طريقه نحو بلوغ الهدف المنشود الذى رسمه ، وهو الأنفراد بالسلطة وقيام دولة يحكمها وهو على قمتها ، والتى عرفت بالدولة العامرية ، والذى جعل عاصمتها مدينة الزاهرة التى بناها وأنتقل اليها في سنة ٣٧٠ هـ (١) .

فما كان من السيدة صبح في بداية مقاومتها للمنصور إلاّ أن لجأت الى ذلك في صورة مستترة خفية . فأخذت تبث في نفس أبنها هشام وتحرضه بأن يتولى مقاليد السلطة في البلاد وأن يدير شئون الخلافة بنفسه ، لأسترداد سلطة الخلافة الأموية وأرجاع هيبتها اليه . ولكنها عجزت في بث العزيمة في نفس ولدها هشام . ومن ثم أخذت تشهر بالمنصور أبن أبي عامر بواسطة أعوانها من الحاقدين عليه ، فأتهمته بسجن الخليفة الشرعى ، وأنه

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٣٦ - ٥٣٧

يحكم البلاد رغم أراد ته ،كما حاولت أن تقوم بأى عمـل لأسقاط المنصور بن أبى عامر وأعادة مقاليـد الدولة لابنهـا الخليفة هشام . وربما كان لتحريضهـا أثر فيما وقع من معـارك حربية بين المنصور بن أبى عامر وصهره غالب قائد الثغـر الأعلـى (١) .

ولما أحس المنصور بن أبى عامـر بما يدار حوله فى قصر الخليفة هشـام ، قام بتسريح خدم القصـر الذين يساندون السيدة صبح ولم يدع فى قصر هشام مـن الخدم الا من كان من أعوانه الذين يخشون بطشـه . ومع ذلك أستمرت السيدة صبح فـى مناهضته فهداهـا تفكيرهـا الى الاتفـاق مع زيرى بن عطية ـ حاكم المغرب الأقصى ـ والذى أنكـر على المنصور حجر الخليفة هشام فى قصـره وأستبداده بمقاليد الدولة . فبعثت اليه سرا أموالا مع بعض أعوانهـا ،وذلك ليستعد بجيشه للعبور الى الأندلس لتخليـص الخليفة هشام من حجره ومساعدته على تولـى شئون الخلافة . وكان زيرى بن عطية مـن أقوى زعماء المغرب ،ومن المخلصين للخلافة الأموية ودعوتهـا فى المغرب الأقصى . فأجـاب دعوة السيدة صبح وأخـذ يشهـر بالمنصور بن أبى عامر وسياسته وحجره على الخليفـة هشام (٢) .

ولكن المنصور أكتشف هذه المؤامرة قبل تنفيذهـا ،وعمل على أسقاط مخطط السيدة صبح وأعوانهـا بأن قام برفع يديهـا عن الأموال الموجودة فى القصر ،والـتى كانت تتفنن فى تهريبهـا بواسطة حاشية القصـر (٣) حتى لا تمتد هذه الأموال الـى يد

---

(١) : أحمد العبادى : المرجع السابق ،ص ٢٥٥
ـ عنان : تراجم اسلاميه ،ص ٢٠٩ - ٢١٠
(٢) : أبن بسام : الذخيرة ق ٤ ،م١ ،ص ٥٢- ٥٣
ـ أحمد العبادى : نفس المرجع ،ص ٢٥٥
(٣) : المقرى : نفح الطيب ج ٣ ،ص ٩٢- ٩٣
ـ أبن سعيد : المصدر السابق ،ص ٢٠١

خصومه . فبعث أبنه عبد الملك فى يوم الثلاثاء من شهر جمادى الأولى سنة ٣٨٦ هـ فى قوة كبيرة من الجيش الى قصر الخليفة هشام ، وأصطحب معه عددا من الوزراء والفقهاء ، فدخل بهم الى مجلس الخليفة هشام ، وخاطبه فيما حدث من تهريب الأموال وتحريض أهل القصر فى أحداث الفتنة للقضاء على أبيه المنصور ، فأنكر ذلك هشام وتبرأ من خصومة المنصور . ونجح عبد الملك فى نقل الأموال كلها من خزائن القصر الى مدينة الزاهرة عاصمة الدولة العامرية ، ولم تجد شيئا توسلات السيدة صبح فى بقاء الأموال فى القصر ، ولا وعيدها وتطاولها على عبد الملك ، ويقال أن ما حمله عبد الملك من الأموال بلغ عدة ملايين من الدنانير (١)

وكانت السيدة صبح لما أشتدت منازعاتها مع المنصور بن أبى عامر تقوم بالتحايل على تهريب الأموال من القصر مع أخليها رائق ، وذلك بأخراج مائة كوز على أعناق الخدم الصقالبه بداخلها الأموال من الذهب والفضة ، ثم تغطى هذه الكيزان بالمربى والشهد وغير ذلك من الأصباغ الرفيعة الموجودة فى قصر الخلافة ، وتكتب عليها ما يفيد بأنها مملوءة بذلك . وعند مرور هذه الكيزان على صاحب المدينة حسبها كما كتبت عليها ، وقيل أنه كان فى تلك الكيزان ثمانين الف دينار . ولكن المنصور وضع حدا لوقف تهريب الأموال من القصر ، بأن نقلها الى مدينة الزاهرة . ويقال أن ما حمل الى الزاهرة من الأموال التى بقصر الخليفة أستغرق نقله ثلاثة أيام (٢) .

وكان المنصور بن أبى عامر مريضا عند ما أرسل أبنه عبد الملك لمقابلة الخليفة هشام فى قصره وأحضاره أموال القصر . وعند ما شفى من مرضه سار الى قرطبه لمقابلة الخليفة هشام بصحبته أبنه عبد الملك وكبار رجال الدولة ، فقابل الخليفة هشام الذى أعترف له بالفضل فى قيامه بخدمة الدولة ، كما أقره على سياسته فخرست ألسنة

---

(١) : أبن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥٣ - ٥٤
عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٥٥٥ - ٥٥٦

(٢) : أبن بسام : نفس المصدر ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥٢ - ٥٣

معارضي المنصور بن أبي عامر (١).

كما علم المنصور أن الناس في قرطبة يرغبون رؤية الخليفة هشام القابع في قصره ، حيث أن معظمهم لم يره قط ، فأخرجه المنصور من القصر في موكب عظيم يجوب شوارع قرطبة . فخرج لمشاهدة موكب الخليفة هشام جموع غفيرة من الناس ، وكان المنصور بجانبه راكبا يسايره ، وعبد الملك راجلا يمشي بجانب موكب هشام ، والجيش يسير من أمام الخليفة ويحيط بموكبه ويمنع الناس من الاقتراب منه . وكانت هذه من الفرص النادرة التي سمح فيها المنصور بن أبي عامر للخليفة هشام المؤيد بالله بالخروج من القصر ، وذلك ليرى أهل قرطبة أن الخليفة غير محجور عليه (٢).

وبعد الانتهاء من مراسيم موكب الخليفة هشام تحول المنصور بن أبي عامر الى زيري بن عطيه حليف السيدة صبح ، فعزله من منصبه . وقد قامت بينهما معارك حربية ، أنتصر فيها المنصور بن أبي عامر على خصمه زيري بن عطيه الذي فر الى الصحراء الداخلية في المغرب الأقصى سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٧ م ومات بعد ذلك متأثرا بجراحه (٣).

وهكذا فشلت جميع محاولات السيدة صبح للاطاحة بالمنصور بن أبي عامر ،

---

(١) : أبن سعيد : المصدر السابق ، ص ٢٠١
— المقري : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٩٣
(٢) : أبن بسام : المصدر السابق ، قـ ٤ ، م ١ ، ص ٥٤
— عنان : المرجع السابق ، ص ٥٢٥ - ٥٢٦
(٣) : عنان : تراجم أسلاميه ، ص ٢١٠

فلم تكن أهلا لمقاومته بعد أن أستبد بالسلطة وتمكن من السيطرة على زمام الدولة الأموية . ويحكى أن السيدة صبح قالت لابنها هشام ذات مره : " أترى ما يصنع هذا الكلب" وتعنى المنصور بن أبى عامر . فقال لها هشام : " دعيه ينبح لنا ولا ينبح علينا " (١) .

ولما أيقنت السيدة صبح بعدم الجدوى فى مقاومة المنصور بن أبى عامر ، وأنه لا منقذ لولدها هشام منه ، لجأت الى السكينة والعزلة عن المسرح السياسى فى الدولة الأموية ، فلم نعد نسمع عنها فى سير الحوادث ، كما لا نعرف تاريخ وفاتها بالتحديد . فلا نعرف أن كانت وفاتها قبل وفاة المنصور بن أبى عامر أو بعده ، فكل ما تقول الرواية الأسلامية فى هذا الصدد ، هو أن وفاتها كانت فى حياة أبنها هشام . ويبدو أنها توفيت قبل وفاة المنصور بن أبى عامر سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م ، حيث أننا لم نجد لها دور فى تاريخ الأندلس بعد وفاته (٢) .

---

(١) : أبن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، ص ١٩٥

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٥٦ - ٥٥٧ ، وكذلك تراجم أسلامية ، ص ٢١٠ - ٢١١ (أنظر قصيدة الشاعر الأندلسى أبو عمر محمد بن دراج القسطللى فى رثاء السيدة صبح) .

- JAN READ:Op.cit.,P.88.

مقتل غالب قائد الثغر الأعلى :-

لم يبق أمام المنصور بن أبي عامر من منافس له في الدولة بعد سجن المصحفي وحجر الخليفة هشام المؤيد بالله سوى صهره القائد غالب قائد الثغر الأعلى الذي كانت مدينة سالم مقر قيادته . وكان القائد غالب قد أبدى أمتعاضه من المنصور لحجره الخليفة هشام ، وأستبداده بالسلطة في دولة الخلافة الأموية ، ولكنه كتم ذلك على مضض . وكان المنصور بن أبي عامر يخشى ثورة القائد غالب عليه لأنه كان يعرف له مقدرته ومهارته العسكرية التي كان يتمتع بها والتي كانت تفوق قدرته هو نفسه .

فما كان من المنصور بن أبي عامر أن جعل ضدا للقائد غالب ، هذا الضد هو جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي الذي برز في الصراع بين الفاطميين والأمويين على المغرب الأقصى . فقد أستدعاه المنصور من المغرب الأقصى الى الأندلس ، فدخله جعفر في جيش كبير من البربر يقدر بحوالي ستمائة جندي بعد أن أستخلف على المغرب الأقصى أخاه يحيى . ونزل جعفر قصر العقاب الذي جهزه له المنصور بن أبي عامر وجعل له فيه كل وسائل الراحة [1] ، كما أصدر مرسوما يحمل توقيع الخليفة هشام بتولية جعفر بن علي بن حمدون مرتبة الوزارة ، وبذلك أزدادت العلاقة ثقة بينهما . كما أستمر المنصور في طلب الجند

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٧٩
ـــ أنيس النصولي : الدولة الأموية في قرطبة ، ص ١٣٤ - ١٣٦

من العدوة المغربية حيث أصبحوا أكثر جند الأندلس ، وأنعم عليهم فى الرزق وذلك أستعدادا لمحاربة صهره القائد غالب (١) .

وعند ما علم القائد غالب بوصول جعفر بن على بن حمدون مع جيشه الى الأندلس عرف هدف تخطيط المنصور للأطاحة به وأراد أن يتخلص منه قبل أن يتمكن منه . ولذلك أستدعى المنصور بن أبى عامر وهو فى أحدى غزواته الى وليمة أعدها له فى قلعة بانتيسه مكان أقامته . ولما قدم اليه المنصور أنفرد غالب فى الأجتماع به وأخذ يعاتبه على سياسته فى الدولة وحجر هشام فى قصره . وأشتدت حدة النقاش بينهما فما كان من غالب الا أن أخرج سيفه وأشهره على المنصور فأصابه بجراح أبانت بعض أنامل المنصور ، وجرحت صدغه وكاد أن يقضى عليه لولا أن المنصور أستطاع أن يفر من أمامه ، وركب فرسه من أعلى القلعة ، وبذلك نجا من موت محقق (٢) . وبقى غالب فى قلعة بانتيسة ، وأما المنصور فسار الى مدينة سالم حيث قصر القائد غالب وأسرته ، فأستولى عليها وعلى جميع ممتلكات القائد غالب من الأموال ووزعها على جيشه . فما كان من القائد غالب الا أن أستنجد ببعض ملوك النصارى الغاضبين على المنصور ، وذلك أستعدادا لملاقته فى معركة فاصلة (٣) .

وبعد عودة المنصور الى قرطبة أخذ يتأهب للأستعداد لخوض حرب عنيفة ضد صهره غالب . ولما أكتمل له ذلك سار بجيشه الى مدينة سالم لملاقته

---

(١) : أبراهيم بيضون : الدولة العربية فى أسبانيا ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨
ـ على أدهم منصور الأندلس ، ص ٩٠
-DOZY:Op.cit., PP.498-499.

(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٩٢
ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٣٣
ـ لين بول : قصة العرب فى أسبانيا ، ص ١٤٨ - ١٤٩

(٣) : أبن الخطيب : أعمال الأعلام ، قـ ٢ ، ص ٦٢ - ٦٤
ـ المقرى : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٩٢

وعند ما أقترب من مدينة سالم ، خرج اليه القائد غالب فى جيش كبير وفيه عدد ضخم من النصارى من طائفة البشكنس بقيادة أبن ملكهم رامير بن سانشو . ونزل المنصور بن أبى عامر حصن شنت بجنت بالقرب من أنتيسة فى يوم الخميس الثانى من شهر محرم سنة ٣٧١ هـ . وهناك التقى جيش القائد غالب بجيش المنصور ووقعت بينهما معركة جبارة ، فبرز المنصور مع جيشه من جند الأندلس فى قلب المعركة ، وحليفه الوزير جعفر أبن على بن حمدون بجيشه من البربر فى الميمنة ، وأبو الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبى ، وحسن بن أحمد بن عبد الودود فى معظم أهل الثغر فى الميسرة (١) ، فاشتعلت نيران الحرب وأستمرت ثلاثة أيام ، وفى اليوم الأخير منها وهو يوم السبت الرابع من شهر محرم عام ٣٧١ هـ ، أشتد القتال بين المنصور وغالب فى كل جهة من ساحة القتال ، وأقبل القائد غالب وهو راكب فرسه وعلى رأسه خوذة مذهبة مرتفعة السمك ، وقد عصبها بعصابة حمراء علامة له فى المعركة ، وكان قد قارب الثمانين سنة من عمره (٢) . وهاجم القائد غالب الميمنة والميسرة فى جيش المنصور فهزمهم بينما بقى قلب الجيش بقيادة المنصور ثابتا فى مكانه ، والمنصور يصفق بيديه مندهشا لهزيمة جيشه فى الميمنة والميسرة ، وأخذت رجلاه تضطربان من التفوق الذى أحرزه القائد غالب عليه فى هذه المعركة ، والذى أصبح فيها المنصور شبه منهزم أمام كثافة وبسالة جيش صهره .

وأستمر الجانبان فى القتال وفى معمعة المعركة رفع القائد غالب يده وقال : " اللهم أن كنت تعلم أن بقائى أصلح للمسلمين وأعود عليهم من بقاء محمد أبن أبى عامر فأهلكه وأنصرنى عليه ، وأن كان هو أولى بذلك منى فأنصره علىّ وأرحنى " . وأشتد غالب فى حملته على المنصور وما لبث أن سقط من على فرسه ، ولا أثر

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٣٨ - ٥٤٠

(٢) : أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦

لشيء من السلاح على جسمه ، وقيل أن قربوس سرجه الأندلسي أصاب جانب قلبه ، وقيل غير ذلك ، فلم يتفقوا في سبب موته . وقد زعم قوم من غلمانه أنه ذهب عنهم من المعركة وظنوا أنه يريد قضاء الحاجة ، فلما أبطأ ساروا في أثره فوجدوه ساقطاً ميتاً وفرسه يعلك اللجام بقربه ، فظهر الخوف والرعب على وجوههم . وذهب رجل من أصحاب القائد غالب الى المنصور يبشره بموت صهره ، فلم يصدقه المنصور حتى أحضر اليه خاتم غالب ورأسه ، فخر المنصور ساجداً ، وكبّر جيش المنصور حتى أرعبوا قلوب النصارى المحاربين في صفوف جيش القائد غالب (١) ، ثم هجم جيش المنصور على جيش القائد غالب وهزموهم ، وقد قتل في هذه المعركة عدد كبير من المسلمين ، كما قتل من النصارى عدد ضخم . وكان من بين القتلى الأمير النصراني رامير سانشو أحد أمراء البشكنس الذين قدموا لمساعدة القائد غالب في حربه مع المنصور . وكان موت القائد غالب قائد الثغر الأعلى في الأندلس يوم السبت الرابع من شهر محرم سنة ٣٧١ هـ (٢) .

وكانت هذه المعركة من أشد المعارك التي واجهت المنصور بن أبي عامر في حياته القتالية ، اذ كاد يفقد حياته مرتين لو لم ينقذه القدر : الأولى عندما فر من وجه القائد غالب في القلعة ، والثانية عندما سقط خصمه القوي غالب من فوق حصانه في أشد الظروف حرجاً له (٣) .

---

(١) : أبن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٦٤ - ٦٥
— أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩
(٢) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٣٨ - ٢٧٩
-JAN READ: Op.cit., P.88

(٣) : أبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ٣٤١ - ٣٤٢

قتل جعفر بن على بن حمدون الاندلسى ، والأحوص معن بن عبد العزيز التجيبى :-

وكان المنصور بن ابى عامر قد رفع القائد جعفر بن على بن حمدون الاندلسى الى خطة الوزارة حين قدم من العدوة المغربية الى الاندلس ، وذلك لمساعدته فى القضاء على صهره القائد غالب وكسب تأييد البربر له . ولما انتهى المنصور بن ابى عامر من أمن القائد غالب بقتله ، استدار الى حليفه جعفر بن على بن حمدون الاندلسى ، حيث كان المنصور يخشى مشاريعه واطماعه وتوسع نفوذه فى العدوة المغربية ؛ فدعاه المنصور ذات ليلة الى مأدبة عشاء ، وحضر جعفر بن على بن حمدون هذه الوليمة ، وأكثر من الأكل والشراب (١) ثم خرج جعفر من عند المنصور مثقل الرأس فاقد الوعى مع بعض أعوانه قاصدا منزله ، فأمر المنصور أبا الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبى وهو من فرسان العرب المشهورين فى الأندلس مع طائفة من الجند الأندلسيين بقتل جعفر ، فقتله الأحوص أثناء رجوعه الى داره ، وحمل رأسه الى المنصور ، وكان مقتله فى الثالث من شهر شعبان سنة ٣٧٣ هـ . وتظاهر المنصور بالحزن عليه ، ثم مالبث ان قتل بعد ذلك أبا الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبى (٢) .

---

(١) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٦٥
ـ عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٤٢

(٢) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ - ٢٨١
ـ على ادهم : المرجع السابق ، ص ٩٥

مقتل أبنه عبد الله ،وعبد الرحمن بن مطرف التجيبي حاكم سرقسطه :-

كان حكام الثغر الأعلى (سرقسطه) بنو هشام التجيبيون يتمتعون فيها بنوع من الأستقلال المحلي ،ويحافظون على سلطانهم فيها بالرغم من أعترافهم الأسمي بانتمائهم للحكومة المركزية في قرطبة . وكان حاكمها أبان تولى المنصور بن أبي عامر سلطات الدولة ،و هو عبد الرحمن بن مطرف التجيبي ،الذى أخذ يراقب بحذر سياسته في القضاء على كبار رجال الدولة من المعارضين لسياسته(١) .

ومن ثم أخذ عبد الرحمن بن مطرف التجيبي يعمل لحماية سلطانه في الثغر الأعلى من كيد المنصور ،وهداه تفكيره الى التحالف مع جيرانه من النصارى في نبره (نافار) وقشتالة ،كما فعل أسلافه أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر. ولكن تطور الأحداث جعلته يتجه أتجاها آخر ،وذلك أن عبد الله ابن المنصور بن أبي عامر كان ناقما على أبيه لتفضيله أخاه عبد الملك دونه ولتوليته أياه المناصب الحساسه في الدولة وندبه للأحداث العظيمة لثقته به . وكان عبد الله بن المنصور في ذلك الحين في الحادية والعشرين من عمره ،وكان يشعر بأنه متفوق على أخيه الأكبر عبد الملك في الشجاعة والحرب . ولجأ الى عبد الرحمن بن مطرف التجيبي حاكم سرقسطه الذى كان هو أيضا من المعارضين لسياسة المنصور.

ولذلك تآمر عبد الله مع عبد الرحمن في القيام بثورة على المنصور والقضاء عليه في أول فرصة تسنح لهما ،على أن يتقاسما ملك الأندلس بينهما ، فيستولي عبد الله بن المنصور على الحضرة ـ قرطبة ـ ويستولي عبد الرحمن بن مطرف التجيبي على الثغر الأعلى وأحوازه . فقاما في نشر دعوتهما سرا ،وأنضم

---

(١) : عنان : المرجع السابق ،ص ٥٤٨ - ٥٤٩

اليهما في هذه المؤامرة بعض رجال الدولة وكبار الجند من الحاقدين على المنصور وفي مقدمتهم الوزير عبد الله بن عبد العزيز المرواني حاكم طليطلة والمعروف بالربضي (١).

غير أن أخبار هذه المؤامرة تسربت الى المنصور قبل تنفيذها ، فما كان منه الاّ أن عمل الحيلة في أخماد ها بأن أستدعى أبنه عبد الله من سرقسطه وأبدى له كثيرا من العطف والثقة به ، كما أصدر أمرا بأعفاء الوزير عبد الله بن عبد العزيز المرواني من حكم طليطلة ومن الوزارة ، وأمره أن يلزم داره (٢).

وعند ما هم المنصور بالخروج في غزوته بالصائفة متجها الى قشتاله ، لم يكن قد بقي بعيدا عن قبضته من أفراد تلك المؤامرة سوى عبد الرحمن بن مطرف التجيبي حاكم سرقسطه . وكان المنصور قد طلب أمدادات الثغور لهذه الغزوه ، فتوافدت عليه ، وكان في مقدمتها عبد الرحمن بن مطرف التجيبي حاكم سرقسطه مع رجاله . وأجتمعت الجيوش بوادي الحجارة ، وهناك أجمع أهل الثغور بدسيسة من المنصور على الشكوى من عبد الرحمن بن مطرف التجيبي بدعوى أنه يقوم بأحتباس رواتبهم وأرزاقهم ويحتفظ بها لنفسه ، فما كان من المنصور الاّ أن أصدر أمرا بخلعه من حكم سرقسطه ، وذلك في نهاية شهر صفر سنة ٣٧٩هـ. ثم رأى المنصور الابقاء على صلته ببني هشام التجيبين ، فعين لحكم سرقسطه يحيى بن عبد الرحمن بن مطرف التجيبي الملقب بـ" سماحة " ولم تمض بضعة أيام حتى أمر المنصور بالقبض على عبد الرحمن بن مطرف التجيبي وسجنه

---

(١) : أبن عذاري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٣
ـ عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٥٤٨ - ٥٥٠
(٢) : أبن عذاري : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٨٣

كما أمر بمحاسبته بحجة تبديده رواتب جند الثغر ،وأخيرا أنتهى أمره بمقتله بالزاهرة فى سنة ٣٧٩ هـ(١) .

ثم طلب المنصور من أبنه عبد الله الانضمام الى معسكر الجيش الذى سار به الى شنت أشتين ،وذلك خوفا مما قد يحدثه أبنه عبد الله فيما لو ترك فى قرطبة أو الزاهرة وأبوه المنصور بعيد عنه فى غزواته . وبينما كان المنصور مشغولا مع جنده فى حصار شنت أشتين ،تمكن عبد الله من الفرار من المعسكر مع ستة من غلمانه ،ولجأ الى غرسية فرناند يز كونت قشتاله(٢) الذى وعده بحمايته من أبيه المنصور . الاّ أن المنصور طلب من غرسية فرناند يز تسليم أبنه عبد الله له ، وأقسم ألا يرجع عن قتاله حتى يسلم اليه أبنه عبد الله ،فرفض غرسية طلب المنصور ، وقامت بينهما معارك قتالية أنتصر فيها المنصور على غرسية ،وأستولى على حصن أوسمة (وخشمة) وجعل فيه حامية أسلامية ،وبعدها أستولى على (القبة) . وهكذا توالت الهزائم على غرسية ،مما أضطره فى النهاية الى أن يطلب من المنصور الأمان ،وأن يتعهد له بتسليم أبنه عبد الله له ،فقبل المنصور ذلك(٣) .

وبعث غرسية بعبد الله بن المنصور وأصحابه الى أبيه . وخرج خادم المنصور المسمى سعد يستقبل أبنه وفى الطريق الى قرطبه دنا عبد الله من الخادم سعد وهو راكب وعليه ثوب جميل عجيب الصنعة ،فقبل سعد يده وآنسه وهون عليه الخطب وعندما أقترب الركب من الوادى تخلى عنه سعد ووكل به من يقتله وذلك تنفيذا لأمر المنصور ،فخف به الموكلون لهذه المهمه وأعلموه بقرب

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٨٢ - ٢٨٣
ـ عنان : المرجع السابق ،ص ٥٤٩ - ٥٥٠

(٢) : يذكر أبن عذارى (البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٨٤) أن الكونت غرسية فرناند يز هو صاحب البة ،والصحيح ما ورد فى المتن .

(٣) : عنان : نفس المرجع ،ص ٥٤٩ - ٥٥٠

موته وأمروه بالنزول من على بغلته ، فلم يمتنع لأمرهم ، وترجل ومشى الى حتفه منطلقا هادئا لم تظهر عليه علامة الخوف بل ظهرت منه عند الموت صرامة عجب لها من شاهدها . ثم تقدم اليه أبن خفيف الشرطي فضرب عنقه عند غروب الشمس يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر جمادى الثانية سنة ٣٨٠ هـ (١) ، ثم أرسل رأسه في حينه الى والده المنصور الذى بعث به مع كتاب الفتح الى الخليفة هشام المؤيد بالله . وقد دفن جسد أبنه عبد الله في الموضع الذى قتل فيه ، وكان عمره يوم قتل ثلاثا وعشرين سنة . وكانت غزوة المنصور التي وقعت خلالها تلك الأحداث هي غزوته الخامسة والأربعين (٢) .

غير أن المنصور ما لبث أن أمر بقتل خاديه سعد وأبن خفيف لقتلهما أبنه عبد الله على الرغم من أنه هو الذى أمرهما بتنفيذ ذلك ، وقد أزدادت الرهبة من المنصور بعد أن قام بقتل أبنه عبد الله ، فقد جزع الناس من فعلته هذه ، وتكلموا في ذلك كثيرا وأتهموه بالجنون ، حيث أنهم لم يروا سببا يؤدى به الى قتل أبنه . وبينما كان المنصور مقيما في قلعة رباح في بعض غزواته ، جلس مع كبار قادة جيشه وأعوانه على مائدة الطعام يتبادلون الحديث ، وكان القوم قد أستفاضوا الحديث في قتل عبد الله . فقالوا للمنصور : " أيد الله المنصور لقد صرت من قتله في غاية يعدم الصبر في مثلها ، فما سبب ذلك " . فقال المنصور : " لا أعلم سببا ، الا أني لما عرفت أمه علقت بها وتمكن من قلبي حبها تمكنا لم أقدر أن أسلوعنه ، فأبتعتها متجاوزا النهاية في ثمنها ، وجعلتها عند قريبة لي ، وكنت كل يوم أخطر اليها أتعرف أستبراءها ، فلما أحست بحبي لها وكلفي بها ، توخت رضائي ، وذكرت لي أنها قد أستبرأت ، وهي

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٥٠ - ٥٥١

كاذبة تريد بذلك موافقة مسارى وأستعجال مرادى ، فدخلت بها ، وهى لم تستبرأ ، فكنت شاكا فيه " . وكان مولد عبد الله بن المنصور سنة ٣٥٨ هـ (١) .

ومما قيل فى قتله لأبنه عبد الله أن المنصور كان جالسا مع رجل من أعيان البربر أسمه زطرزون بن رنزار البرزالى ، فقال للمنصور : يامولاى لم قتلت عبد الله أبنك ، ووصف له شجاعته وخصاله . فقال المنصور : لا يسوءك ذلك ، فلو لم أفعل لقتلنى ، وما كان من ولدى بهذا أتهمت أمه ، وكانت أمة سوء ، وقد قالوا أن الأرحام الرديئة تفسد الذرية . ثم قال المنصور : شقينا بهذا الملعون فى حياته وبعد موته . وعلم ما كان عليه زطرزون من الجهالة فأعرض عنه (٢) .

وبالاضافة الى قتل المنصور لأبنه عبد الله ، فقد قتل أبن أخيه عبد الله أبن يحيى ، وأبنى عمه عسقلاجه وأخاه (٣) .

ويبدو لنا من قصة قتل المنصور لأبنه عبد الله أنه كان قاسى القلب ، وأن الظروف هى التى جعلته يقوم بالتخلص منه على هذا النحو المؤلم . فأبنه عبد الله بتآمره على أبيه المنصور مع التجيبين أصحاب الثغر الأعلى وخصوم أبيه فى قرطبة والزاهرة ، وبالتجائه الى عدو المسلمين غرسية كونت قشتالة ، يكون قد سيطر عليه الحقد والكراهية لأبيه ، فلو نجحت مؤامرته لكان قد قضى على سلطان أبيه ولأنهارت تلك الدولة التى نجح المنصور فى أقامتها . ولما كان عبد الله لا يتردد فى قتل أبيه المنصور ليحقق بذلك أطماعه السياسية التى رسمها

---

(١) : أبن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٨٥

(٢) + أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥

(٣) : شوقى ضيف : مقال بعنوان : نقط العروس فى تاريخ الخلفاء لأبن حزم . نشر بمجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) المجلد الثالث عشر ، الجزء الثانى ، ص ٧٩ .

مع عبد الرحمن بن مطرف التجيبي - حاكم سرقسطه - ، فقد كان تصرف المنصور في قتل أبنه عبد الله تصرفا سياسيا حازما بعيدا عن كل عاطفة ، الا" عاطفة الأحتفاظ بالنفس والسلطان . وقد كان للمنصور أسوة في ذلك في بني أمية حكام الأندلس أنفسهم من أمراء وخلفاء . فقد قتل عبد الرحمن الداخل أبن أخيه ، وأبناء عمومته ، كما أقدم الأمير عبد الله على قتل أخوته الثلاثة وقتل ولديه ، ثم جاء الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وقتل ولده وأبناء عمومته ، كل هذه الأعمال بسبب تهمة التآمر على الدولة ، وحرصا على السلطان (١) .

وهكذا أنفرد المنصور بن أبي عامر بأمر الدولة وحده دون منافس ، وسار الى تحقيق غايته بتحطيم منافسيه والقضاء عليهم . ويجمل ابن خلدون القول واصفا معارك المنصور في سحق خصومه ومنافسيه في الدولة بهذه العبارة :

" ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه ، فمال عليهم وحطهم عن مراتبهم ، وقتل بعضهم ببعض ، كل ذلك عن أمر هشام وخطه وتوقيعه ، حتى أستأصل بهم ومزق جموعهم " (٢) .

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٥٠ - ٥٥١

(٢) : ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، قـ١ ، م ٤ ، ص ٣١٩

تعيين أبنيه عبد الملك للحجابة وعبد الرحمن للوزارة :-

وفى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م أى بعد عشر سنوات من تلقب محمد بن أبى عامر بالحاجب المنصور ، أتخذ خطوة أخرى نحو تدعيم صفته الملوكية على الأندلس ، فقدم أبنه عبد الملك للولاية من بعده ، وهو فتى لم يكن قد تجاوز الثامنه عشرة من عمره ، فقلده الحجابة والقيادة العليا وسائر المناصب الأخرى التى كان هو نفسه يتقلدها بوصفه حاجبا . وأما هو فقد أقتصر على التلقب بالمنصور ، ونفذت كتبه بأسم " المنصور بن أبى عامر وفقه الله " كما قلد أبنه عبد الرحمن خطة الوزارة . وفى سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م أصدر المنصور بن أبى عامر مرسوما بأن يختص بألقاب السيادة وأن يخاطب " بالملك الكريم " كما بولغ فى تكريمه وتعظيمه فى سائر المخاطبات ، ودعى له على كافة منابر المساجد فى الأندلس مع الخليفة هشام المؤيد بالله (١) .

وزراء الدولة العامرية فى عهد المنصور بن أبى عامر ، وفى عهد ولديه :-

كانت حكومة المنصور بن أبى عامر تضم عددا من أقدر رجالات الأندلس فى عصره ما بين وزراء وكتاب كانوا يشاركونه المشورة فى أمور الدولة . غير أنه على الرغم من ثقته فى هؤلاء الوزراء والكتاب وأعتماده عليهم الا أنه كان على قدر كبير من قوة الشخصية وعلو الهمة والأعتداد بالرأى .

فكان من وزرائه ، الكاتب والشاعر أبو مروان عبد الملك أدريس الجزيرى الذى أستمر فى الوزارة الى أيام أبنه عبد الملك ، والى أن قتل عبد الملك صهره الوزير عيسى أبن القطاع صاحب دولته ، فقد عزله عبد الملك من منصبه بتهمة مساندة عيسى بن

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٣
ـ عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٥٣

القطـــاع في موءامرتـــه على الدولة . وبقـــى الوزيـــر عبد الملك أدريس الجزيرى بطرطوشة بقية حياتـــه (١) .

ومن وزرائـــه أيضـــا الوزير أبو بكـــر محمـــد بن الحســـن الزبيـــدى الذى أختصـــر كتاب العين ، وكـــان المنصـــور قـــد ولاه شرطته ، كمـــاكان الوزيـــر الزبيـــدى من بطانـــة الخليفـــة الحكـــم المستنصـــر ووجوه أصحابـــه (٢) .

وأيضـــا الوزيـــر أبو الحـــزم جهـــور بن محمـــد بن جهـــور ، الـــذى كانت لـــه صولات فـــى الحـــروب ، وكانت أسرتـــه من بيت الوزارة (٣) .

والوزيـــر الشاعـــر أبو العلاء صاعـــد بن الحســـن الربعـــى اللغـــوى البغـــدادى ، وكانت لـــه مع المنصـــور بن أبـــى عامـــر أخبارا طريفـــة سنورد هـــا فى الباب الرابـــع من هـــذه الرسالـــة (٤) .

وكذلك الوزيـــر خلف بن حســـين بن حيـــان ، والد المورخ أبن حيـــان موءلـــف كتاب المقتبس ، وكتاب المآثـــر العامرية أو أخبـــار الدولة العامرية الذى يذكـــر فيـــه سيرة المنصـــور بن أبـــى عامـــر وتفاصيـــل غزواتـــه ، ويصـــف فيـــه مناقبـــه

---

(١) : أبن خاقـــان : مطمح الأنفس ، ص ١٤ - ١٥
ـ أبن الابـــار : أعتاب الكتاب ، ص ١٩٣ ، ٣٩٦
(٢) : المراكشـــى : المعجـــب ، ص ٧٥
(٣) : أبن خاقـــان : نفس المصدر ، ص ١٦ - ١٧
(٤) : المراكشـــى : نفس المصدر ، ص ٧٥

وهيبته في الدولة (١) .

وأيضا الوزير عيسى بن فطيس ، والوزير أبو عبد الله بن عياش ، والوزير أحمد بن محمد بن حدير ، والوزير الكاتب عيسى بن سعيد بن القطاع الذى صحبه منذ أيام الخليفة الحكم المستنصر ، وكانت له مكانة رفيعة لدى المنصور بن أبى عامر لما كان بينهما من صحبة قديمة . وقد أستمر أبن القطاع في الوزارة بعد موت المنصور الى أن قتله أبنه عبد الملك في سنة ٣٩٧ هـ بتهمة التآمر عليه (٢) .

وأيضا الوزير الكاتب أحمد بن سعيد بن حزم الذى أستوزره المنصور فى سنة ٣٨١ هـ ، وكان من أقدر وزرائه وآثرهم لديه ، فقد كان المنصور يستخلفه في أدارة شئون الدولة في أوقات غزواته . ولما شعر المنصور بتوسع نفوذه في الدولة أتهمه بالأستقلال برأيه دون الرجوع اليه ، فعزله من الوزارة دون أن يغير عليه جاهه ونعمه . وكان المنصور يقول : " والله أبن حزم للنصيح حبيبا ، الأمين غيبا . ولكنه زهى برأيه ، وظن أن سلطاني مضطر الى تدبيره " . غير أنه ما لبث أن أعاده المنصور لمنصبه السابق كوزير في دولته . ويروى له أنه كان يوما جالسا مع المنصور بن أبى عامر فى بعض مجالسه للعامة ، فرفعت اليه رقعة أستعطاف لأم رجل مسجون كان المنصور غاضبا عليه لجرم أستعظمه منه . فلما قرأها المنصور زاد غضبه على ذلك الرجل المسجون . فأخذ القلم كى يوقع وأراد أن يكتب " يصلب " فكتب " يطلق "

---

(١) : أبن الأبار : أعتاب الكتاب ، ص ١٩٨
— : لقد فقد كتاب المآثر العامرية ولم يصل الينا .
(٢) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٧٤

ثم اعطى الكتاب للوزير احمد بن سعيد بن حزم الذى كتب بدوره الى صاحب الشرطة باطلاقه . فقال المنصور للوزير من امرك بهذا . فأجابه الوزير بانه هو الذى كتب باطلاق صراحه . فقال المنصور : وهمت والله ليصلبن . ثم كرر المنصور ذلك مرة ثانية فكتب " يطلق " بدلا من كلمة " يصلب " وكذلك للمرة الثالثه وهو يريد ان يكتب " يصلب " فيكتب " يطلق " فما كان من المنصور الاّ ان كتب باطلاق الرجل . فتعجب الوزير الكاتب منه ، فقال له المنصور ابن ابى عامر : نعم يطلق على الرغم منى ، فمن أراد الله اطلاقه لا أقدر انا على منعه ! (١)

وكان المنصور بن ابى عامر اذا رأى امرا هاما شاور وزراءه فى شأنه ، فيشيرون عليه بالوجه الذى عرفوه وجرت عليه الدولة الاموية ، فيخالفهم الى المنهج الذى ابتدعه ، فيوافقونه فى رأيه ، ثم تلبث ان تسفر نتائج رأيه بالنجاح ، فيعجبون من سديد رأيه ! (٢)

وكانت هذه الصفوة من الوزراء والكتاب الذين ينتمى معظمهم الى اسر عريقة تعاقب ابناؤها فى الوزارة ، مثل آل شهيد ، وآل عبده ، وآل فطيس ، وآل حدير وغيرهم ممن حملوا عمد الدولة الاُموية وعملوا على توطيد دعائمها ، تعاون المنصور بن ابى عامر فى تسيير دفة الحكم بمقدرة فائقه . وقد استمر معظم هؤلاء الوزراء فى مناصبهم الوزارية فى عهد ابنه عبد الملك ، الاّ انهم فقدوا مناصبهم هذه فى عهد ابنه الثانى عبد الرحمن الذى لم تطل فترة حكمه وزالت الدولة العامرية بمقتله ! (٣)

---

(١) : ابن الابار : اعتاب الكتاب ، ص ١٩١ - ١٩٣
(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٥٨٨ - ٥٨٩
(٣) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٧٤ - ٥٧٥

أستقرار أحوال الدولة فى عهد المنصور بن أبى عامر

نعمت الأندلس فى عهد المنصور بن أبى عامر بالرخاء وأستقرار الأمن ، كما تمكن المنصور من توطيد سلطة حكومته فى المغرب الأقصى الذى فتحه الأمويون فى عهد عبد الرحمن الناصر وأبنه الحكم المستنصر ، وهذا يرجع فى المقام الأول الى ما كان عليه المنصور من حزم وشده وحرصه على توخيه العدل فى حكمه لرعيته (١) .

وعن حزم المنصور وشدته فى ضبط أمور الأندلس وحرصه على توخى العدل فى حكمه حتى بين أقرب المقربين اليه تحكى روايات متعددة ، نقتطف — فى هذا المجال — بعضها لنثبت مدى ما كانت عليه الأندلس فى عهده من أستقرار ، ومدى أخذه لنفسه فى أحقاق الحق بين أفراد الرعية . فمن هذه الروايات أنه كان بقرطبة فى عهده فتى من أهل الأدب وقد رقت حالته فى الطلب ، ثم تولى بعض الأعمال فى الخزانة لفترة من الزمن ، فأخذ منها أموالا كثيرة . فلما طلب للمحاسبة بما فى عهدته من الأموال وجد عليه نقص فى الخزينة يقدر بثلاثة آلاف دينار فرفع أمره الى المنصور بن أبى عامر الذى أمر بأحضاره ، وأعترف الفتى بما أخذه من مال الخزينة . فقال له المنصور : يافاسق ما الذى جرأك على مال السلطان تنتهبه ؟ . فقال الفتى : قضاء غلب الرأى وفقر أفسد الأمانة . فقال له المنصور : والله لأجعلنك نكالا لغيرك . فأمر المنصور بتقييده بالحديد ، فأحضر الفتى الى المنصور مقيدا وأمر بسجنه وتشديد الحراسة عليه . وعند ما نهض الفتى للمثول لأمر المنصور أنشد يقول :

---

(١) : عنان : تراجم أسلامية ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩

أوّه أوّاه وكـــــم ذا أرى أكثـر من تذكـار أوه

ما لامرئ حـول ولا قـوة والحول والقوة للـــه

فلما سمع المنصور منه هذين البيتين من الشعر امـره برده ،وقال لـه :

أتمثلت أم قلت ؟ قال الفتى ، بل قلت ،فأمـر المنصور بفك قيده ، فأنشـد الفتى يقول :

أما تـرى عفـو ابن ابى عامر لابد ان تتبعـه منّـة

كذلك والله اذا ما عفـا عن عبده أدخلـه الجنة

فأمر المنصور بن ابى عامر باطلاق سراحـه وانعم عليه بالمال وأبرأ ذمتـه من التهمـه .(١)

وقد أوصلت صلابة المنصور وسياسته الحكيمة الأندلس في عهده الى قمة المجد . فلم يكن ينال منه التعب فى سهره على أحوال الدولة فى الأندلس والمغرب الأقصى ولا لكثرة غزواته ضد الممالك النصرانية الأسبانية المتاخمة لحدود الدولة الاسلامية فى الاندلس ،الأمر الـذى ملاء الأندلس بالغنائم والسبى وأدى الى ازدهار الاقتصاد الأندلسى فىعهده وبالتالى الـى تحقيق الرخاء والاستقرار فى الاندلس مما ساعده فى تحقيق الاستقرار فى البلاد فى عهـده ما قام به من كسـر شوكة العشائر والقبائل العربية التى كثيرا ما كانت تتنازع فيما بينهما .(٢)

كما قام المنصـور بضبط قرطبة وأنسى أهلها ما كانوا يعانونـه من عدم استقـرار قبل توليـه ضبطهـا . فقد قام بسد باب الشفاعـات وقمع أهل الفسـق والأجـرام وآمـن النـاس مـن عـدوان حاشيـة السلطـان . وقيـل - فى هـذا

---

(١) : المقرى : نفح الطيب ،جـ ١ ،ص ٤١٨ - ٤١٩
ـ محمود يوسف : مقال بعنوان : المنصور بن ابى عامـر . مجلة تطوان ،العـدد الثالث ،ص ١٦٨ ،المغرب ،عام ١٩٥٥م

(٢) : لين بول : قصة العرب فى اسبانيا ، ص ١٤٩ - ١٥٠

الصدد ـ أنه عثر على أبن عم له يعرف بعسقلاجة كان قد بدر منه أمر مخالف لقوانين الأمن ، فأحضره الى مجلس الشرطة وجلده جلدا مبرحا ، ثم أسند حكم المدينة من بعده الى أبن عمه عمرو بن عبد الله بن أبى عامر الذى سلك نهج المنصور فى العمل على أستتاب الأمن فيها (١) .

ومما يروى عن حرص المنصور بن أبى عامر على شئون الدولة واستتاب الأمن فيها ، أنه كان جالسا فى بعض الليالى وكانت تلك الليلة شديدة البرودة والمطر ، فدعا أحد فرسانه فقال له : أنهض الآن وسر الى فج طلياش وأقم فيه ، فأول خاطر يخطر عليك سقه الىّ . فنهض الفارس وبقى فى الفج فى البرد والريح والمطر واقفا على فرسه طوال ليلته . فقدم عليه قرب الفجر شيخ هرم راكبا على حمار له ومعه آلة حطب فقال له الفارس : الى أين تريد ياشيخ ؟ فقال : وراء حطب . فقال الفارس فى نفسه : هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطبا فما عسى أن يريد المنصور منه ؟ قال فتركته . فسار عنى قليلا . ثم فكرت فى قول المنصور وخفت سطوته . فنهضت الى الشيخ وقلت له : أرجع الى مولانا المنصور . فقال له : ما عسى أن يريد المنصور من شيخ مثلى ؟ سألتك بالله أن تتركنى لطلب معيشتى . فقال له الفارس : لا أفعل . ثم قدم به على المنصور وهو جالس لم ينم ليلته تلك . فقال المنصور للجند الصقالبة : فتشوه ، فلم يجدوا معه شيئا . فقال المنصور فتشوا برذعة حماره ، فوجدوا بداخلها كتابا من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى أصحابهم من النصارى ، ليقبلوا ويضربوا فى أحدى النواحى

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧
ـ عنان : المرجع السابق ، ص ٥٢٨ - ٥٢٩

المعلومة . فلما أنبلج الصباح أمر المنصور بن أبي عامر بأخراج أولئك النصارى الى باب الزاهرة ، فضربت أعناقهم وضرب عنق الشيخ معهم حامل الكتاب (١) .

ومن حرص المنصور على الأمن أنه في أحد الأيام بينما كان يتفقد جنده في الميدان ، وقعت عينه على بارقة سيف قد سله أحد الجند بأقصى الميدان ظانا أن المنصور لم يره . فقال المنصور : علي بشاهر السيف ، فمثل بين يديه في حينه . فقال له : ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن أذن ؟ فقال الجندي : أني أشرت به لصاحبي مغمدا فزلق من غمده . فقال المنصور : أن مثل هذا لا يسوغ بالدعوى فأمر بضرب عنقه بسيفه ، وأخبر الناس بذنب الجندي (٢) .

ومن عدل المنصور في نصرة المظلوم أن رجلا جوهريا من تجار المشرق قدم اليه من مدينة عدن ومعه جواهر كثيرة وأحجار نفيسة فأشترى منه المنصور من ذلك ما أستحسنه ، ودفع الى التاجر الجواهري ثمن تلك المجوهرات في صرة . فأخذها التاجر وأنصرف الى طريق الرملة على شاطيء النهر . وكان ذلك اليوم شديد الحر ، فأخذ التاجر في التبرج في النهر فوضع ثيابه ومعها الصرة على الشاطيء ، فمرت حدأة وأختطفت الصرة تحسبها لحما وصعدت بها في الأفق . فتابعها التاجر بنظره وأخذته الحسرة والحزن على فقد ماله . فما كان منه الا أن ذهب الى المنصور بن أبي عامر وأخبره بما حدث له على الشاطيء . فقال له المنصور : هل أتيتنا بحدثان وقوع الأمر ؟ فكنا نستظهر على الحيلة ، فهل هُديت الى الناحية التي أخذ الطير اليها . قال التاجر : مشرقا على سمت هذا الجنان - البستان - الذي يلي قصرك - ويعني بذلك الرملة - فدعى

---

(١) : أبن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ (نقلا عن أبن حيان)
- المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤١١ (نقلا عن أبن حيان)
(٢) : المقرى : نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠

المنصور شرطيه الخاص به ،وقال له : جئني بمشيخة أهل الرملة الساعة . فأحضرهم المنصور ،وأمرهم بالبحث عمن غير حال الأقلال منهم سريعا . فتشاور المشيخة في هذا الأمر ثم قالوا : يامولانا ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل هو وأولاده بأيديهم ،ويتناولون السقي بأقدامهم عجزا من شراء دابة ،فأبتاع اليوم دابة وأكتسى هو وأولاده كسوة متوسطة (١) . فأمر بأحضاره في اليوم التالي ،فحضر الرجل بين يدى المنصور ،فأستجوبه بحضور التاجر فقال له المنصور : سبب ضاع منا وسقط اليك ما فعلت به ؟ فقال له الرجل البستاني : هو ذا يامولاى ،وأخرج الصرة من جيب سروالة . فصاح التاجر فرحا . فقال المنصور للبستاني : صف لي حديثها . قال بينما أنا أعمل في جناني تحت نخلة أذ سقطت أمامي فأخذتها وراقني منظرها ،فقلت ان الطائر قد أختلسها من قصرك لقرب الجوار ،فأحترزت بها ودعتني فاقتي الى أخذ عشرة مثاقيل عيونا كانت معها مصرورة ،وقلت أقل ما يكون في كرم مولاى أن يسمح به . فأعجب المنصور من تصرف البستان ،فقال للتاجر : خذ صرتك وأنظرها وأصدقني عددها . فقام التاجر يعدها وقال : وحق رأسك يامولاى ما ضاع منها شيء سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له . فقال له المنصور : نحن أولى بذلك منك ولا ينقص عليك فرحتك ،ولو لا جمعه بين الاقرار والانكار لكان ثوابه موفورا عليه . ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضا عن دنانيره التي صرفها البستاني ، وللبستاني بعشرة دنانير ثوابا لتأنيه عن أفساد ما وقع في يديه . وقال المنصور : لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأوسعناه جزاء . فأخذ التاجر في الثناء على المنصور بعد أن أستعاد نشاطه برجوع ماله . فقال للمنصور :

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٩١ - ٢٩٢

والله لأبثن فى الأقطار عظيم ملكك ولأبيّنن أنك تملك طير عملك كما تملك أنسها ، فلا تعتصم منك ولا توذى جارك . فضحك المنصور وقال : أقصد فى قولك يغفر الله لك . فعجب الناس من تلطف المنصور فى أزالة كربة التاجر (١) .

ومن عدل المنصور بن أبى عامر أيضا قصة فتاه المعروف بالميورقى أكبر خدمه والمشرف على داره ، وما وقع له مع التاجر المغربى ، حيث تنازعا فى خصومه بينهما توجهت فيها اليمين على الميورقى . فدافع الحاكم عنه ظانا ان منصب الميورقى وجاهه لدى المنصور يمنعه من أحلافه . فما كان من التاجر المغربى الا أن وقف للمنصور بن أبى عامر وهو فى طريقه الى المسجد الجامع لتأدية الصلاة فيه ، وصرخ متظلما من الفتى الميورقى . فأمر المنصور بأخذ التاجر المغربى الى الحاكم ، فأنصفه من الفتى الميورقى ، كما أمر المنصور بعزل خادمه الميورقى من الخدمة ونفاه من الاندلس (٢) .

وكذلك قصة محمد فصّاد المنصور بن أبى عامر وأمينه على نفسه . فقد أحتاجه المنصور يوما الى الفصد ، فأرسل اليه أحد غلمانه لأحضاره ، فلقيه محبوسا فى سجن القاضى محمد بن زرب لظلم ظهر منه على زوجته . فعاد الغلام وأخبر المنصور بقصة الفصاد ، فأمر بأخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن يلازمه الى أن يفرغ من عمله فى الفصد للمنصور ثم يعيده الى حبسه . فشكى الفاصد أمره للمنصور معتقداً أن قربه منه سوف يحميه ويدفع القاضى الى الأفراج عنه . فقال له المنصور : يامحمد ان القاضى وهو فى عدله ولو أخذنى الحق ما أطلقت الأمتناع منه عد الى محبسك أو أعترف بالحق فهو الذى يطلقك . فبلغت قصته للقاضى ، فصالحه مع زوجته . وزاد القاضى فى شدة أحكامه (٣) .

---

(١) : المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤١٢ - ٤١٣
(٢) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠
(٣) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤١٠ - ٤١١

ومن عدله في الخاصة والعامة وبسطه الحق على الأقرب فالأقرب من خاصته وحاشيته ما يضرب به المثل ، فقد حدث أن وقف أمامه رجل من العامة وهو في مجلسه ، فناداه : ياناصر الحق أن لي مظلمة عند ذلك الرجل الوصيف الذي على رأسك ، وأشار الى الفتى صاحب الدرقة وكان له فضل لدى المنصور. فقال دعوته الى الحاكم فلم يأت . فقال المنصور أو عبد الرحمن بن فطيس بهذه المنزلة من العجز والمهانة ، وكنا نظنه أمضى من ذلك ؟ اذكر مظلمتك ياهذا . فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما قطعها من غير أنصاف ، فقال المنصور : ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية . ثم نظر الى الصقلبي وقد ظهر عليه الخوف وقال له : أدفع الدرقة الى فلان وأنزل صاغرا وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك . ثم قال لصاحب الشرطة الخاصه به : خذ بيد هذا الظالم الفاسق وقدمه مع خصمه الى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه بأغلظ ما يوجبه الحق من سجن وغيره . فشكر الرجل المنصور ، فقال له المنصور : قد أنتصفت أنت فأذهب لسبيلك ، وبقي أنصافي أنا ممن تهاون بمنزلتي . فتناول الصقلبي أشد أنواع المذلة ، وأعفى عن الخدمة (١)

وكان المنصور يقضي معظم ليله ساهرا ، وحدث أن خادمه شعله قال له : في ليلة طال سهره فيها : قد أفرط مولانا في السهر وبدنه يحتاج الى كثير من النوم وهو يعلم ما يحرك عليه السهر من علة العصب . فقال له المنصور : ياشعلة . حارس الدنيا لا ينام اذا نامت الرعية ، ولو أستوفيت نومي لما كان في دور هذا البلد عين نائمة ، ولو كنت صاحب هذا القصر (وأشار الى ناحية قصر الخليفة هشام) على مسافة بسيطة لحرمت النوم ، فكيف وأن ما بيننا مدى صيحة . وكان المنصور يدون أثناء سهره في لياليه ملاحظاته في أمور الدولة ، وفي الصباح

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٢٨٩
ـــ المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٠٩ - ٤١٠
-DOZY:Op.cit.,P.520.

يد خل عليه وزرائه وكبار أعيان الدولة ، فيناقشهم فيما دونه ورسمه من ملاحظات (١) .

كرم المنصور بن أبي عامر لرعيته :-

اذا كان المنصور قد ساس البلاد بعدله بين الرعية ، وسهره على مصالحها بما عرف عنه من حزم وعزم ويقظه قلّ أن يوجد مثيل لها فيمن عرفه التاريخ من عظماء الرجال كما تشير الى ذلك ما نقلناه من روايات تروى عنه - وهي جزء من فيض تمتلئ به كتب التاريخ - فأنه بجانب ذلك كان نموذجا لرجل الدولة الذى وهبه الله القدرة على أصطناع الرجال بحسن معاملته وأكرامه لهم وبمآثره الحميدة عليهم . وفى هذا الصدد تمدنا أيضا المصادر بالكثير من القصص والنوادر التى تحكى عنه منذ أن تولى خطة السكه فى عهد الخليفة الحكم المستنصر ، فقد أخذ الناس يلجأون اليه ويطمعون فى كرمه بعد أن أشتهر بينهم بالكرم (٢) . وما أن تحقق له من السلطان ما يريد أزداد غدقا فى كرمه وطوق الناس بفضل أحسانه وبمآثره الحميدة (٣) .

ولسنا فى حاجة الى ترديد هذه القصص والنوادر التى تروى عن كرمه ، اذ أكتفينا أن نستشهد بما ورد على لسان أبن عذارى فى هذا الصدد ، اذ يقول : " أحتاج الناس اليه وغشوا بابه ، فأنساهم من سلف من أصحاب السلطان سعة أسعاف وكرم لقاء وسهولة حجاب ، وحسن أخلاق ، فعرف جاهه وعمر بابه " (٤) .

---

(١) : أبن الخطيب : أعمال الأعلام ، قـ ٢ ، ص ٧٥ - ٧٦
— أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٨
— المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤١٦ — المقرى : نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٨٨
(٢) : أنظر أبن بسام : الذخيرة ، قـ ٤ ، م ١ ، ص ٤٥ - ٤٦
(٣) — المقرى : نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٤١٣ - ٤١٨ ، ٥٩٦
-GEORGE C.MILES: THE COINAGE OF THE UMAYYADS OF SPAIN.P.68.

(٤) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٥٨

موت المنصـــــور بن أبـــي عامـــــر

بينمـا كان المنصـور بن أبـي عامـر في آخـر غزوة لـه بأرض قشتالـــه ، أشتد عليـه مرض النقرس الذى كـان يداويـه بالكـى (١) ، وكان قد رفض الأطبـاء فـي علتـه هذه ، وذلك لاختلاف آرائهـم في مرضـه . وبعد أنتهائـه من تلك الغـزوة أشتد عليـه مرضـه مما جعلـه غير قـادر على السـير ، فحمـل على أعناق الرجـال ، والعسكـر تحف بـه قاصديـن مدينة سالم . وكان المنصـور يقول وهو محمول على أعنـاق الرجـال : " أن زمامـي يشتمـل على عشرين ألف مرتزق — ويقصـد بذلك جيشـه — فأصبح فيهـم أسوأ حالا مني " ثم وصـل مدينة سالـم وألمـه يزداد ، وذهنه منشغـل بأمـر الدولة من بعـده (٢) .

ولمـا أيقـن بقرب أجلـه ، خلا بأبنـه عبد الملك وأخـذ يوصيـه فـي أمـور الدولة من بعـده . وكان المنصـور يكرر وصايته لأبنـه عبد الملك ، وكلما أراد عبد الملك

---

(١) : كان المنصور عند ما كان يشتد عليه ألم هذا الداء يعالج رجله بالكى ، ومما قيل عـن قوة صبره وأحتمالـه للألـم أنه أحتاج يوما للكـى فأمـر الذى يكويه أن يقوم بتـلك العملية وهو قاعد في موضع يشرف منه على المجلس المعد لوزرائـه وكبار رجال دولتـه ، فعمل بأمـره ، وأخـذ المنصـور يتكلم مع رجال دولته ويصدر الأوامر ورجله تكوى ، ورجاله لا يشعرون بما يعانيه من آلام الكـى حتى شموا رائحة الجلد واللحـم فتعجبوا من شدة أحتماله (أنظر المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٢٠) .

(٢) : المقرى : نفس المصدر ، جـ٣ ، ص ٩٤- ٩٥
— أبن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠١
— عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٣٤

الأنصراف يرده المنصور ويوصيه وعبد الملك يبكي وأبوه المنصور ينكر عليه بكاءه ، ويقول له : هذا أول العجز والفشل . وأمره أن يترك قيادة الجيش لأخيه عبد الرحمن ، ويعود هو الى قرطبه ومعه القاضي أبن ذكوان ، فوصلها عبد الملك فى أول شهر شوال سنة ٣٩٢ هـ . وأخبر الخليفة هشام الحالة التى ترك أبوه المنصور عليها . ولما أزداد المرض على المنصور أصبح لا يستطيع التحدث مع من يدخل ليسلم عليه أو يودعه الاّ بالأشارة باليد (١) .

ووصية المنصور لأبنه عبد الملك هى بمثابة دستور وضعه له ليسير بمقتضاه فى حكم الدولة التى أقامها سواء ما كان منها خاصا بحكم الرعية وبمحاسبة العمال وبجباية الأموال وأنفاقها ، أو ما كان منها خاصا بموقف المنصور وبنيه من الخلافة ومن بنى أمية عامة . ولا يهمنا الآن من هذه الوصية سوى هذا الجانب الأخير منها الذى يوضح موقف المنصور من الخلافة وحرصه على الأبقاء عليها وكيف يبرر أنفراده بالسلطة وأستبداده بها وحجره على الخليفة هشام بسبب جهله وعجزه ، وهو ما يوصى به أيضا أبنه عبد الملك . ففى هذا الصدد ورد فى وصيته له قوله له عن الخليفة : " وصاحب القصر قد علمت مذهبه وأنه لا يأتيك من قبله شيء تكرهه ، والآفة ممن يتولاه ويلتمس الوثوب باسمه ، فلا تنم عن هذه الطائفة جملة ، ولا ترفع عنها سوء الظن والتهمة ، وعاجل بها من خفته على أقل بادرة ، مع قيامك بحق صاحب القصر على أتم وجه . فليس لك ولا لأوليائك شيء يقيكم الحنف فى يمين بيعته إلاّ ما تقيمه لوليها من هذه النفقة . وأما الأنفراد بالتدبير دونه ، مع ما بلوته من جهله وعجزه عنه ، فأنى أرجو أنى وأياك منه فى سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة " .

---

(١) : أبن بسام : الذخيرة ، ق ٤ م ١ ، ص ٥٤ - ٥٦
ـ عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٦٦ - ٥٦٧

كما يوصيه أيضا فى هذه الوصيه أن يعمل على أن يقبض على زمام الأمور بالعاصمة قرطبة ، أما اذا أستعصى عليه ذلك فأنه يحضه على المقاومة فأن نجح فى ذلك يوصيه بالا يغفل عن بنى أمية والا يذهل عن الحزم فيهم ، وان فشل فى ذلك عليه بالانسحاب بخاصته وغلمانه الى بعض المعاقل التى حصنها أبوه له . وفى نهاية الأمر يوصيه بأن يحذر كل الحذر من بنى أمية فيقول له محذرا (وأياك أن تضع يدك فى يد مروانى ماطاوعتك بنانك فأنى أعرف ذنبى اليهم) . وكان المنصور يعترف فيما بينه وبين نفسه بما أقترفه من ذنب أزاء الخليفة هشام المؤيد بالله وبنى أمية عامة وأزالة دولتهم على الرغم من تبريره ذلك بعجز الخليفة هشام المؤيد بالله وجهله . فما فعله المنصور بن أبى عامر قد تعدى شخص الخليفة الى أقامة دولة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، وهى الدولة العامرية التى سلبت الخليفة الأموى وكل بنى أمية ما كان لهم من نفوذ وسلطان . وكأنه بقوله هذا أيضا ،أى بأقراره بذنبه الى بنى أمية كان يتنبأ بسقوط دولته بعد وفاته على أيديهم . وهو ما حدث فى عهد أبنه الثانى عبد الرحمن (١) .

كما قال المنصور بن أبى عامر بعد هذه الوصية لغلمانه يوصيهم فى أبنه عبد الملك : " تنبهوا لأمركم ،وحافظوا نعمة الله عليكم فى طاعة عبد الملك أخيكم ومولاكم ،ولا تغرنكم بوارق بنى أمية ومواعيد من يطلب منهم شتاتكم . وقد روا ما فى قلوبهم وقلوب شيعتهم من الحقد عليكم ،فليس يرأسكم بعدى أشفق عليكم من ولدى . وملاك أمركم أن تنسوا الأحقاد ،وأن تكونوا

---

(١) : أنظر نص وصيته لأبنه عبد الملك كما ورد فى كتاب أعمال الاعلام لابن الخطيب ،ق ٢ ،ص ٨١ - ٨٢ — وفى كتاب الذخيرة لابن بسام ،ق ٤ ،م ١ ،ص ٥٦ — ٥٨

كرجل واحد ،فأنه لا يفل فيكم" (١).

وكانت أمنية المنصور بن أبي عامر أن يدركه الموت وهو في غزواته في ساحة الجهاد في سبيل الله ،وقد حقق الله له هذه الأمنية العظيمة . ومن قوة أدراكه بالموت في أي معركة أنه كان يحمل معه كفنه في غزواته ، وقد صنعها من غزل بناته وأشتريت له من ماله الخاص الموروث من أبيه (٢). وكان كلما أنصرف من قتال العدو دخل سرداقه المخصص له ويأمر خدمه بأن ينفض غبار ثيابه التي لبسها في المعركة ،كما كان يمسح ما علق على وجهه من غبار ثم يجمعه ويحفظه في منديل ويأمر أن ينثر هذا الغبار على كفنه اذا وضع في مثواه الأخير (٣). كما كان قد خط بيديه مصحفا كان يحمله معه في غزواته ويقرأ فيه القرآن ويتبرك به (٤)..

وعند ما شعر المنصور بن أبي عامر بقرب موته بكى . فقال له حاجبه الخاص كوثر الفتى : م تبكي يا مولاى؟ لا بكت عيناك . فقال له المنصور : مما جنيت على المسلمين ،فلو قتلوني وحرقوني ما انتصفوا مني . فقال له وكيف ذلك ؟ وأنت أعززت الأسلام وفتحت البلاد وأزللت الكفر ،وجعلت النصارى ينقلون التراب من أقصى بلاد الروم الى قرطبة حين بنيت بها جامعها . فقال له المنصور : " لما فتحت بلاد الروم ومعاقلهم عمرتها بالاقوات من كل مكان وسجنتها بها حتى عادت في غاية الابداع ،ووصلتها

---

(١) : أبن الخطيب : المصدر السابق ،ق ٢ ،ص ٨٢

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٦٦ - ٥٦٧
— أنيس النصولى : الدولة الاموية في قرطبة ،ص ١٤٠ - ١٤١

(٣) : المراكشي : المعجب ،ص ٨٤ — الضبي : بغية الملتمس ،ص ١١٦
— على محمد حموده : تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ،ص ٢٣٢ — ٢٣٣

(٤) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٨٨

ببلاد المسلمين وحصنتها غاية التحصين فأتصلت العمارة [١] ، وهأنا هالك وليس في بني من يخلفني ، وسيشغلون باللهو والطرب والشراب ، فيجيء العدو فيجد بلادا عامرة وأقواتا حاضرة فيتقوى بها على محاصرتها ويستعين بوجدانها على منازلها ، فلا يزال يتغلبها شيئا فشيئا ويطويها طيا فطيا حتى يملك أكثر هذه الجزيرة ، ولا يترك فيها الاّ معاقل يسيرة ، فلو الهمني الله الى تخريب ما تغلبت عليه وأخلاء ما تملكت ، وجعلت بين بلاد المسلمين وبلاد الروم مسيرة عشرة أيام فيافيا وقفارا ، لا يزالون لو راموا سلوكها حيارى ، فلا يصلون الى بلاد الأسلام الاّ بمشقة وكثرة الزاد وصعوبة المراد " . فقال له الحاجب كوثر : هيهات حال الجريض دون الجريض ، والله لو أسترحت وأمرت بما ذكرت لقال الناس : مرض المنصور بن أبي عامر فأورثه مرضه جنونا وهوسا تمكن من دماغه ، فخرب بلاد المسلمين وأجلاهم وأفقرها [٢] .

ونفهم من هذا النص أن المنصور كان يخشى على دولته من بعده ، لأن أولاده ليسوا مؤهلين من بعده لأدارتها والدفاع عن حوزتها من هجمات ملوك الأسبان النصارى . كما يفهم منه أيضا أنه كان يخشى أن يستعيد ملوك النصارى الأراضي التي أنتزعها منهم وضمها الى دولته ، وهذا ماحدث في الفترة الأخيره من دولته في عهد أبنه عبد الرحمن ، ومن الخلافة الأموية من بعده ، والتي أدت الى تمزق الأندلس وقيام ممالك الطوائف .

وقد توفي المنصور بن أبي عامر في مدينة سالم [٣] في ليلة الاثنين السابع

---

(١) : هذه الرواية فريدة من نوعها ، لأنها تظهر المنصور بمظهر يختلف كل الأختلاف عما وصفته به المصادر الأخرى من انه قد خرب بلاد النصارى ودمرها ، اذ انه يبدو من هذا النص إنه عمل على تعمير وتحصين بعض المناطق التي غزاها ولا سيما القريبة منها للحدود الاسلامية . وقد أتبع أبنه عبد الملك هذه السياسة في تعمير البلاد التي غزاها والقريبة من حدود المسلمين .

(٢) : أبن الكردبوس : الأكتفاء في تاريخ الخلفاء ، ص ٦٤- ٦٥

(٣) : تقع مدينة سالم على خط الطريق الحديدي ما بين مدريد وسرقسطه . (أنظر البتنوني : رحلة الأندلس ، ص ٧٠) .

والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٩٢ هـ / ١١ أغسطس سنة ١٠٠٢ م ، ودفن كرغبته في صحن قصره في مدينة سالم ،وذلك بعد سبعة وعشرين عاما من حكمه ،قام في أثنائها بسبع وخمسين غزوة ،وكان عمره حين حضرته الوفاه ،أربعة وستين عاما (١) .

وقد نقش على قبره هذان البيتان :

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله أبدا ولا يحمي الثغور سواه (٢)

ولبث قبر المنصور بمدينة سالم مزارا معروفا ،وذلك بالرغم من أستيلاء النصارى على المدينة ،منذ أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى . وروى أبن الخطيب أنه عهد الى بعض رسله ممن وجههم الى قشتاله لتأكيد الصلح مع ملكها ،أن يزوروا مدينة سالم لمشاهدة قبر المنصور بن أبى عامر ، وقد أخبره رسله عند عودته ان القبر مايزال قائما في مكانه ،الا أن رسومه من الشعر والتاريخ المكتوب قد محيت آثارها ،وقد كان ذلك فيما يبدو في وزارة أبن الخطيب الثانية فيما بين سنتى ٧٦٠ و ٧٧٠هـ / ١٣٦١م و ١٣٧٠م (٣) بعد أن زال ملك المسلمين من معظم أنحاء الأندلس ،وأنحصر في أقصى الجنوب من مملكة غرناطه (٤) .

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٣٠١
— أبن الخطيب : أعمال الاعلام ،ق ٢ ،ص ٨٠- ٨١
— أبن خلدون : العبر المجلد الرابع ،ص ٣٢١ - أبن الكردبوس : تاريخ الأندلس ،ص ٢
— عنان : المرجع السابق ،ص ٥٦٦ - ٥٦٧
(٢) : المقرى : نفح الطيب ،جـ ١ ،ص ٣٩٨ - ٣٩٩
— أبن سعيد : المغرب ،جـ ١ ،ص ٢٠٢ - ٢٠٣
(٣) : أبن الخطيب : أعمال الاعلام ،ق ٢ ،ص ٨٠- ٨١ — عنان: المرجع السابق ،ص ٦٧٠
(٤) — أحمد العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ،ص ٢٦٧

وما يحكى عن شجاعة المنصور بن أبي عامر وتوسع رقعة البلاد الأسلامية الأندلسية في عهده ، ما أورده شجاع مولى المستعين بن هود — من ملوك الطوائف — أنه قال : لما توجهت الى اذفونش وجدته في مدينة سالم وقد نصب على قبر المنصور أبن أبي عامر سريره وأمرأته متكئة الى جانبه ، فقال ياشجاع : أما ترانى قد ملكت بلاد المسلمين ، وجلست على قبر ملكهم ؟ قال : فحملتني الغيرة على أن قلت له لو تنفس صاحب هذا القبر وأنت عليه ما سمع منك ما يكره سماعه ولا أستقر بك قرار . فهم بي فحالت أمرأته بيني وبينه ، وقالت له صدقك فيما قال أيفخر مثلك بمثل هذا ؟ (١) .

وكانت وفاة المنصور بن أبي عامر بعد رجوعه من غزوته على أمارة قشتالة المسيحية منتصرا . وتدعى المصادر الأسبانية ، أن المنصور جرح في هذه الغزوة عند قلعة النسور في قشتالة وأنه مات متأثرا بجراحه ، وتستند هذه المصادر الأسبانية على مثل شعبي أسباني شائع يقول مامعناه :

" في قلعة النسور مات المنصور وفقد طلبه " . ولكن الأصح هي مانقلته المصادر الأندلسية الأسلامية ، من ان المنصور مات على أثر آلام شديدة من مرض مزمن معه .

وقد أحدثت وفاة المنصور بن أبي عامر في الأوساط المسيحية الأسبانية موجة من البشر والفرح ، وذلك بدليل ان الحوليات اللاتينيه التي كان يكتبها الرهبان في الكنائس والأديره أهتمت بتسجيل موت المنصور ، فكتبت تقول عنه : " وفي سنة ١٠٠٢م مات المنصور وذهب الى الجحيم " . وهذا بالطبع يدل على حقد هؤلاء المسيحيين للمنصور لما قام به من كسر شوكتهم في غزواته على بلادهم التي وسع

---

(١) : المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩
— على محمد حموده : المرجع السابق ، ص ٢٣٣

فيها مساحة الأراضي الأسلامية في الأندلس ،وكذلك لحقد المسيحيين على الأسلام والحضارة الأسلامية التي نعمت بها بلادهم قرونا طويلة (١) .

وبعد دفن المنصور بن أبي عامر في قصره بمدينة سالم أنتظر ابنه عبد الرحمن مع الجيش أمر أخيه عبد الملك في العوده الى قرطبة . وكان عدد من الغلمان يقدرون بنحو سبعمائة قد تركوا عبد الرحمن في مدينة سالم ،وعادوا الى قرطبة طمعا في رد سلطة الخلافة الى هشام المؤيد بالله ،وقالوا لعبد الرحمن : " وأنما نحن في حجر آل بني عامر للدهر ؟ نلحق بباب مولانا الخليفة هشام ،ولا تدبير الا بأمره " .

ثم جاء أمر عبد الملك لأخيه عبد الرحمن بالعودة الى قرطبة مع الجيش وذلك بعد أن قبض على زمام الأمور في عاصمة الدولة . وعند وصول عبد الرحمن تجدد الحزن في قرطبة والزاهرة على موت بطل من أبطال المسلمين المشهورين بخدمة الأسلام الا وهو المنصور بن أبي عامر ، وقد أستمر هذا الحزن لبضعة أيام في الأندلس كلها (٢) .

---

(١) : أحمد العبادي : المرجع السابق ،ص ٢٦٦

(٢) : ابن بسام : الذخيرة ،قـ٤ ،م ١ ،ص ٥٦ (نقلا عن أبن حيان) - أبن سعيد : المغرب ،ص ٢٠١ - ٢٠٢

رأي المؤرخين في المنصور بن أبي عامر

يتضح لنا من هذه الدراسة عن المنصور بن أبي عامر أنه كان شخصية فذة وفريدة ، ومن ثم خلدها التاريخ على لسان كثير من المؤرخين المسلمين والأسبان الذين أعجبوا به . فقد نقل ابن عذارى والمقرى وصف الفتح بن خاقان للمنصور بن أبي عامر في هذه العبارة البليغة والتي تصور لنا شخصيته وسياسته ، والتي فيها يقول : " فرد نابه على من تقدمه وأستخدمه ، فأنه كان أمضاهم سنا وأذكاهم جنانا ، وأعظمهم أستقلالا ، فآل أمره الى ما آل ، وأوهم العقول بذلك المال ، فأنه كان آية الله في أتفاق سعده ، وقربه من الملك بعد بعده ، بهر برفقه القدر ، وأستظهر بالأناة وسعة الصدر ، وتحرك فلاح نجم الهدوء ، وتملك فيما خفق بأرضه لواء عدو بعد خمول كابد منه غصصا وشرقا ، وتعذر مأمول طارد فيه سهرا وأرقا حتى أنجز له الموعود ، وفر نحسه أمام تلك السعود ، فقام بتدبير الخلافه ، وأقعد من كان له فيها أنافة ، وساس الأمور أحسن سياسة ، وداس الخطوب بأخشن دياسة ، فأنتظمت له الممالك وأتضحت به المسالك ، وأنتشر الأمن في كل طريق وأستشعر اليمن كل فريق . وملك الأندلس بضعا وعشرين حجة ولم تد حض بسعادتها حجة ولم تزخر لمكروه بها لجة ، لبست فيها البهاء والأشراق ، وتنفست عن مثل أنفاس العراق ، وكانت أيامه أحمد أيام ، وسهام بأسه أسدّ سهام . غزا شاتيا وصائفا ومضى فيما يروم زاخرا وعائقا ، فأوغل في تلك الشعاب وتغلل حتى راع ليث الغاب ، ومشى تحت ألويته صيد القبائل ، وأستجرت في ظلها بيض الظبى وسمر الذوابل

وهو يقتضي الأرواح بغير سوم ، وينقض الصفاح على كل روم ، ويتلف من لا ينساق للخلافة وينقاد ، ويختطف منهم كل كوكب وقاد ، حتى أستبد وأنفرد ، وأنس اليه من الطاعة ما أنفرد وشرد ، وأنتظمت له الأندلس بالعدوة (المغرب) وأجتمعت له اجتماع قريش في دار الندوة ، ومع هذا لم يخلع اسم الخلافة ، ولم يدع السمع لخليفته والأجابة ، ظاهر يخالفه الباطن ، وأسم تنافره مواقع الحكم والمواطن . أذل قبائل الأندلس بأجازة البربر وأخمل بهم أولئك الأعلام الأكابر ، فأنه قاومهم باضداده وأستكثر من عدده حتى تغلبوا على الجمهور وسلبوا منهم الظهور ووثبوا عليهم الوثوب المشهور الذى أعاد أكثر الأندلس قفرا يبابا ، وملأها وحشا وذئابا ، وأعراها من الأمان برهة من الزمان . وعلى هذه الهيئة فهو وأبنه عبد الملك المظفر كانا آخر سعد الأندلس ، وحد السرور بها والتأنس . وغزواته فيها شائعة الأثر رائعة كالسيف ذى الأثر " (١) .

ويلخص لنا أبن عذارى جهود المنصور بن أبى عامر فى قتل منافسيه على الحكم بقوله : " كان المنصور آية من آيات قاطمه ود هاءا ومكرا وسياسة ، عدا بالمصاحفة على الصقالبة حتى قتلهم وأذلهم ، ثم عدا بغالب الناصر على المصاحفة حتى قتلهم وأباد هم ، ثم عدا بجعفر بن حمدون الأندلسى على غالب حتى قتله ، ثم عدا بنفسه على جعفر الأندلسى وقتله ، ثم أنفرد بنفسه وصار ينادى صروف الدهر : هل من مبارز ؟ . فلما لم يجده حمل الدهر على حكمه

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ (نقلا عن أبن خاقان) — المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٠٥ - ٤٠٦

فانقاد اليه وساعده ، فاستقام أمره منفردا بمملكة لا سلف فيها . ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينكب قط في حرب شهدها ، وما توجهت قط عليه هزيمة ، وما أنصرف عن مواطن الاّ قاهرا غالبا ، على كثرة ما زاول الحرب ومارس الاعداء وواجه من الأمم . وأنها لخاصة ما أحسب شاركه فيها أحد من الملوك الأسلامية . ومن أعظم ما أعين به مع قوة سعده وتمكن جده ، سعة جوده وكثرة بذله . فقد كان ذلك أعجوبة الزمان . وأول ما أتكا على آرائك الملك وأنتشر عليه لواء السعد وخفق حظ صاحبه المصحفي ، وثار له كامن حقده الخفي حتى أصاره للهموم لبيسا في غيابات السجون حبيسا " (١) .

ويضيف الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة قوله عن المنصور :

" وعلى الرغم من ان المنصور لم يكن من أسرة عريقة بالملك فانه حصل على الملك بدهائه وعبقريته ، وتدرجه في المناصب ، وحسن تدبيره في الدولة ، وأيضا لكثرة غزواته وأنتصاراته على النصارى والتي كانت تقابل بأستحسان لدى أهل الأندلس ، وكذلك قتل من يقف في طريقه معترضا على سياسته ، وقد نال الأسلام في عهده بالأندلس عزا ونصرا لم تشهده الأندلس من قبل ، ووصل بالمسلمين الى بلاد النصارى وما كان لأي حاكم قبله قد وصلها " (٢) .

ويذكر لنا أبن عذارى ، وأبن سعيد أبياتا شعرية للمنصور يتحدث فيها عن نفسه مفتخرا :

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٦

(٢) : الأمير عبد الله : مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطه ، ص ١٥

رميت بنفسي هول كل عظيمة ... وخاطرت والحر الكريم مخاطر
وما صاحبي الاّ جنان مشيع ... وأسمر خطي وأبيض فاتر
وأني لزجاء الجيوش الى الوغى ... أسود تلاقيها أسود خوادر
لسدت بنفسي أهل كل سيادة ... وكاثرت حتى لم أجد من أكاثر
وما شدت بنيانا ولكن زيادة ... على ما بنى عبد المليك وعامر
رفعنا المعالي بالعوالي حديثة ... وأورثناها في القديم معافر (١)

ويضيف أبن عذارى الى ذلك قائلا : " وكان المنصور بن أبي عامر متسما بصحة باطنه وأعترافه بذنبه وخوفه من ربه ،وكثرة جهاده ،وأذا ذكر الله ذكر ،واذا خوف عقابه أزدجر ،وكان يكثر من قراءة القرآن الكريم ،ولم يزل متنزها عن كل ما تفنن به الملوك وكان يهتم بالعلماء ويعلي مراتبهم ،ويجزل العطاء لجنده ،وكان ذا عقل وبصيرا بالحرب " (٢) .

ويضيف المقرى أن المنصور بن أبي عامر كان يمني نفسه بفتح مصر والشام ويتهدد الفاطميين وقد أستخلص ذلك من أبيات للمنصور مطلعها :

منع العين ان تذرف المنامـا ... حبها أن ترى الصفا والمقاما
لي ديون بالشرق عند أناس ... قد حلوا بالمشعرين الحراما
ان قضوها نالوا الأمانيّ ... والا جعلوا دونها قابا وهاما
عن قريب ترى خيول هشام ... تبلغ النيل خطاها والشام (٣)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٧٤
ـــ ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ،جـ ١ ،ص ٢٠٢ - ٢٠٣
(٢) : ابن عذارى : نفس المصدر ،جـ ٢ ،ص ٢٨٩
(٣) : المقرى : المصدر السابق ،جـ ١ ،ص ٤٠٦

أما أبن الخطيب فيقول عنه : كان المنصور أسعد أهل الأندلس مولدا ، وأشهرهم بأسا وندا وأبعدهم في حسن الذكر مدا ، الحازم العازم العظيم السياسة ، الشديد الصلابة ، القوى المنة ، الثبت الموقف مقود الأقبال ومبلغ الآمال ، الذى صحبته ألطاف الله الخفية في الأزمات ، وأطرد له النصر العزيز في نحو سبع وخمسين من الغزوات ، ولم تفارقه السعادة حالتى المحيا والممات . وكان هو وبنوه [١] سترا على هشام ورعيته ، فلما زال لم تستتر لهم عورة ولا عدمت ثورة ، ولا فقدت للكروب ولا للحروب فورة . فأنهبت كل يد ما ملكت ، وفتنت الرعايا وهلكت . [٢] ويضيف أبن الخطيب أيضا في قوله عن المنصور انه كان ينبذ الشؤم ، فقد حذر يوما من رجل ينبذ بالشؤم الذى تعلق به ، وقصت عليه أخبار شؤمه ، فقال المنصور : لا مرحبا بسعدى ان كان لا يعفى عن شؤمه هذا ومثله . [٣]

ويقول أبن الاثير في المنصور : وقد قام المنصور بأدارة الدولة خير قيام وعدل في رعيته وأقبلت الدنيا عليه ، وأنشغل بالجهاد معظم أوقاته ، وفتح كثيرا من البلاد النصرانية ، وفي عهده أغدقت الأندلس بالغنائم والرقيق الذين أنخرط معظمهم في جيشه كواضح الفتى وغيره من المعروفين بالعامريين [٤] .

---

(١) : يستثنى من هذا الوصف أبنه عبد الرحمن (شُنجول) حيث لم يكن على مستوى المسئولية لأدارة الدولة العامرية التى سقطت في عهده .

(٢) : أبن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٥٨

(٣) : ابن الخطيب : نفس المصدر ، ق ٢ ، ص ٧٤ - ٧٥

(٤) : أبن الاثير : الكامل في التاريخ ، المجلد الثامن ، ص ٦٧٧

ويقول عنان في المنصور : " وخلاصة القول في ترجمة المنصور ابن أبي عامر ، انه كان قائدا عظيما ، أنشأ في الأندلس جيشا منظما دحر به أعداءه نصارى الأسبان ، وكانت أيامه في الأندلس أياما خالدة ، وساد الرخاء والأمن والاستقرار الأندلس في عهده ، كما أزدهرت الزراعة والتجارة والصناعة ، وتقدمت العلوم والآداب ، وكثرت الأموال في خزائن الدولة في عهده . وكان يشجع العلوم والفنون ، فقد قام بأنشاء دور للعلم وكان يقوم بزيارات للمدارس والحلقات العلمية في المساجد ، وأيضا يقوم بمنح المكافآت لمستحقيها من طلاب العلم ، فكان يكثر في مجالسة العلماء ومناظراتهم ، فقد كان له في كل أسبوع مجلس يجتمع فيه بالعلماء والأدباء والشعراء للمناظرة والبحث ، وفي عهده أمتلأت الأندلس بالغنائم والسبى من بنات ورجال نصارى الأسبان وأولادهم . وفي عهده تغالى الناس في تجهيز بناتهم بالثياب والحلى ، وذلك لرخص بنات النصارى الأسبان . ولقوة ذاكرته كان يعرف معظم قواد جيشه بأسمائهم ممن أمتازوا بالشجاعة والبراعة في ساحات القتال ، فيدعوهم الى مائدته في الولائم والأحتفالات الكبيرة التي كان يعدها لجنده عقب كل أنتصار (١) .

أما البتنوني فيضيف في قوله عن المنصور : " وكان من أكبر ملوك الأندلس سلطانا وفضلا وعلما وأحسانا ، له في السياسة اليد الطولى ، وفي أدارة الحكم القدرة الفائقة ، وكانت له مميزات في صفاته وبعد نظره ، وفكر ماهر

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٨٠

وقدرة كبيرة على تحمل الشدة»(١) .

وقد أشاد بعبقرية المنصور بن أبى عامر ومواهبه كثير من المؤرخين الغربيين وخاصة الأسبان ،فقد وصفه المؤرخ الأسبانى ماسدبه فقال : " كان المنصور سياسيا كبيرا ،وقائدا عظيما ،أخمد الثورات التى كانت تعصف بمملكته ،وأكتسب محبة الشعب بجميع طبقاته ،وبرز فى شهرته وهيبته على أكبر القواد بما أجتمع فى أحكامه من الصرامة واللين والقصاص والعفو ، وكان يهدم المدن التى تقاوم جيوشه ويبيدها ،ولكنه لم يسمح قط لجنده بأن تسىء معاملة مدينة سلمت طوعا .

ويقول المؤرخ الأسبانى المعاصر منندیث بيدال معلقا على عصر المنصور أبن أبى عامر : " عاش الأسلام فى أسبانيا أروع أيامه وأسطعها ، وأنتهى نصارى الشمال الى حالة دفاع كانت دائما مقرونة بالمحن ، ولاح كأنهم لم يعيشوا الاّ لتأدية الجزية والسلاح والأسرى والمجد للخلافة الأموية " .

ويلاحظ بيدال فى نفس الوقت ان عبقرية المنصور بن أبى عامر العسكرية والسياسية كانت من عوامل القضاء على الروح القومية النصرانية المستعربة ،وذلك لما أغدقه المنصور من عطفه ورعايته على كثير من النصارى المستعربين .

---

(١) : محمد لبيب البتنونى : رحلة الأندلس ،ص ٧٠

ونتختتم ترجمة شخصية المنصور وآراء المؤرخين فيه بكلمة المؤرخ دوزى : " وعلى الجملة ، فاذا وجب ان نستنكر الوسائل التى لجأ اليها المنصور بن أبى عامر فى اغتصاب السلطه ، فمن الواجب أيضا ان نعترف بأنه أستخدمها بطريقة شريفة . وما كنا لنسرف فى لومه لو ان القدر أوجده على أريكة العرش ، ولعله كان يعتبر عندئذ من أعظم الملوك الذين عرفهم التاريخ . (١)

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٨٦ - ٥٨٧

البـــاب الثانـــــى

الأحـوال الداخليه للدولة العامرية فى عهد عبد الملك وعبد الرحمن ولدى المنصور :-

- تولـى عبد الملك الحجابة وأستقـرار الأحوال الداخلية فى عهـده .

- حجابـــة عبد الرحمن وزوال الدولة العامرية علـى عهـــده .

تولـى عبد الملك الحجابـــة وأستقـرار الأحوال الداخلية فى عهده

تولى عبد الملك الحكم بعد وفـاة أبيه المنصور :-

بعد أن توفـى المنصـور بن أبـى عامـر ، تولـى أبنـه عبد الملك السلطـة الفعلية من بعـــده بمقتضـى وصية أبيـه لـه . وكانت توليتـه السلطـة بعـــد موت أبيـــه مباشـرة فى يوم الأثنين السابع والعشرين من شهـر رمضـــان سنة ٣٩٢ هـ / ١١ أغسطس سنـة ١٠٠٢ م ، وبعد هـــا أصـدر الخليفـة هشـام المؤيد باللـــــه مرسومـــا بتقليـده الحجابـة وتدبـير شئون الدولـة (١) .

وكان أول عمـل قام بـه عبد الملك ، هـو قمع ثورة الصقالبة الذين رأوا الفرصة سانحـة بعـد موت أبيـه المنصـور لأسترجـاع مكانتهـم السياسية والأجتماعيـــــة القديمـــة فأنشقـوا عليـه . وقـد أمـره الخليفـة بعـدم سفك دماء هؤلاء الصقالبـة ولذلك أكتفـى عبد الملك بطرد هـم من البـلاد ، ونفـى أكثرهـم الى سبته فى بلاد المغرب . وبعد ذلك قام عبد الملك بأصـدار كتب الحجابـة الـى الأقاليم الأندلسيه ، وأقطـار المغـرب الأقصـى الموالـية للأمويين (٢) .

وكان عبد الملك قـد أكتسب أكثر صفـات أبيـه المنصـور فى الناحيـــة السياسية والحربيـة والأدارية ، كما أزدادت محبـة العامـة لـه لعدلـه وحمايته للشـرع والسهـر علـى أمـن البلاد ، وأتبـاع نهـج أبيـه فى القيـام بالجهـاد

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣
ـ أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٦٧
-JAN READ:Op.cit.,P.92

(٢) : أبن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥٨-٥٩
ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٦٦

ضد الممالك الأسبانية النصرانية ودفاعا عن الأراضي الأسلامية في الأندلس . كما أحبه الناس بسبب أسقاطه سدس الجباية في الأندلس . وكان عبد الملك من أكثر الناس حياء ، ولكن هذا الحياء كان ينقلب في ساحة القتال الى شجاعة وصلابة وعنف (١) .

وبعد عودة عبد الملك بن المنصور من غزوة قلونية ، وهي غزوته الخامسة سنة ٣٩٧ هـ والتي كتب الله النصر فيها له على جيش النصارى (٢) ، أخذ عبد الملك يوطد دعائم حكمه متيمما بسياسة أبيه المنصور ، فطلب من الخليفة هشام المؤيد بالله الذي كان يومها مقيما في قصر عبد الملك بالزاهرة تقليد ابنه محمد خطة الوزارتين ، فأجابه الخليفة الى ذلك ، وأضاف اليه لقب ابن أبي عامر كنية جده المنصور ، فأصدر مرسوما لعبد الملك في سنة ٣٩٨ هـ بتسميته المظفر سيف الدولة ، وان يكني في جميع ما يجري به ذكره بأبي مروان ، وان يقلد أبنه محمد الوزارتين (٣) .

واليك نص مرسوم الخليفة في ذلك : " بسم الله الرحمن الرحيم . من الخليفة هشام بن الحكم المؤيد بالله أتم الله عليك نعمه ، وهنأك قسمه ، وألبسك عفوه وعافيته ، لما رأيناك — سلمك الله — من صنع الله الجسيم وفضله العظيم لنا عليك ما شفى الصدور وأقر العيون ، أستخرنا الله سبحانه وتعالى في ان سميناك المظفر . فنسأل الله تعالى الحاف وضراعة وأبتهال

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٨٣ - ٨٤
— أحمد العبادي : المرجع السابق ، ص ٢٦٧
— علي أدهم : منصور الأندلس ، ص ١٣٦
(٢) : عن هذه الغزوة أنظر فيما بعد (الباب الثالث) .
(٣) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٥ - ١٦

اليه أن يعرفنا وأياك بركة هذا الأسم ، ويحليك معناه ، ويعطينا وأياك وكافة المسلمين فضل ما حملت منه ، وان يخير لنا ولهم في أقضيته ، ويقرنه بيمنه وسعادته بمنه وخفي صنعه . وكذلك أبحناك التكني في مجالسنا ومحافلنا وفي الكتب الجارية منك وأليك في أعمال سلطاننا وسائر ما يجري فيه أسمك معنا ودوننا ، أناقة بمحلك لدينا ، ودلالة مكانك منا . وكذلك ما شرفنا فتاك أبا عمر محمد بن المظفر تلادنا أسعده الله بالانهاض الى خطة الوزارتين ، وجمعناه بها في التكني على المشيخة والترتيب . اثرك في الدولة . وأنت الحقيق منا بذلك كله ، وبجميل المزيد عليه ، لأنك تربيتنا وسيف دولتنا وولي دعوتنا ، ونشيء نعمتنا ، وخريج أدبنا . فأظهر ما جددناه لك في الموالي وأهل الخدمة ، وأكتب به الى أقطار المملكة ، وتصدقه بشكر النعمة ، أحسن الله توفيقك ، ومتعنا طويلا بمعافتك ، وآنسنا مليّا بدوام سلامتك ، انه ولي قادر ، عزيز قاهر ، أنشاء الله تعالى " . وبعد صدور هذا المرسوم من الخليفة هشام ، عنون عبد الملك كتبه الى سائر كافة الأندلس وبلاد المغرب بهذه العبارة : " من الحاجب المظفر سيف الدولة أبي مروان عبد الملك بن المنصور " (١) .

وقد أنشد بعض الشعراء بهذه المناسبة قصائد مدح في المظفر عبد الملك . نقدم منها بيتا لكل شاعر :

---

(١) : أبن الخطيب : المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ٨٨ - ٨٩
ـ عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦١٤ - ٦١٥

فقال أبو مروان الطليق :

... فى الدنيا وأفخر فمثلك يفخر فأبوك منصور وأنت مظفر

و قال قاسم بن الشباس :

دعاك أمير المؤمنيين المظفر وسماك سيف الدولة المتخيرا

وقال عبد الله بن زياد الكاتب :

ظفرت فسماك الأمام المظفر ومازلت سيف النصر فى الشرك مظهرا

وقال أحمد بن محمد :

ظفر الدين اذا دعيت المظفر وبأى الملك وأزدهى وتبختر (١)

ومما لاشك فيه ان صدور مرسوم الخليفة لعبد الملك يضفى عليه شرعية القيام بأمور الدولة ، ويجعله يعمل فى الدولة بحرية أكثر كما كان يعمل أبوه المنصور من قبله . ولاشك أيضا ان عبد الملك قام بأرضاء الخليفة هشام المؤيد بالله حتى أستطاع ان يستصدر منه هذا المرسوم له ولولده محمد ، ليكون سندا له فى تصريف أمور الدولة .

أستقرار أحوال الأندلس فى عهده :-

وفى عهد عبد الملك أستقر الأمن فى البلاد ، وأزداد الرخاء الأقتصادى فيها ، أضافة الى الترف الأجتماعى ، وقد قال فيه أحمد بن فارس

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٧- ١٨

البصرى : " لم يولد بالأندلس قط أسعد من المظفر على نفسه وعلى أبيه وحاشيته وعلى أهل الأندلس طرّا ، وأنها لا تزال بخير حياته فأن هلك لم تفلح " . فقد غرقت الأندلس وأسواقها بالنفائس الثمينة والآلات الملوكية ، وشهدت الأندلس في عهده الرخاء والرفاهية ، وهو على ذلك كان سائرا على نهج أبيه المنصور (١) . الاّ أن عبد الملك لم يكن كأبيه مولعا بالأدب ومجالسه ، وأنما كان مائلا لمجالسة العجم من البربر وغيرهم . وكان متمرسا في الفروسية وآلات الحرب ، ومع ذلك كان لا يبخل على أصحاب أبيه من علماء وأدباء وشعراء الذين أبقاهم على وظائفهم التي كانوا عليها في حياة أبيه (٢) .

وكانت أيام عهده في حكم الأندلس التي دامت سبع سنوات ، تسمى بالسابع تشبها بسابع العروس التي تحمل في معانيها الاعياد والافراح (٣) . وفي عهده سكن الناس منه الى عفاف ونزهة نفس شاكرين للنعمة التي أنعمها الله عليهم في عهده . وقد تغالى الناس في طلب المكاسب ، وتعالوا في بناء القصور وفرشها بالبساط ، وتفننوا في زخرفتها ، كما تناولوا أجود الأطعمة والذها . وأستعملوا المراكب ، وأثروا من الغلمان والحاشية ، وغالوا في الجواري . . ولبس أفراد المجتمع الأندلسي في عهده أفخر الملبوسات ، وظهر على أهله النعمة ورغد العيش ، اذ كانت أيامه خيرا وبركة على المجتمع الأندلسي (٤) .

---

(١) : أبن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥٩ - ٦٠
ـ الضبي : بغية الملتمس ، ص ١١٦ - ١١٧
(٢) : أبن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢١٢ - ٢١٣
ـ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٣٧
(٣) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٢٣
(٤) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٨٤ - ٨٥

وكان عبد الملك نفسه يستكثر فى طلب الآلات الملوكية . ومما يحكى عن ولعه وشغفه بأبهة الملك أنه بعد غزوته سنة ٣٩٨ هـ ، أستقبل شانجة أبن غرسية ، وقد لبس أبهة ملوكية ، واقفا على فرسه فى وسط الجيش ، وعليه درع من فضة مطرز بالذهب ، وعلى رأسه خوذة مثمنة الشكل ، محددة الرأس مرصعة بدر فاخر فى وسطه حجر ياقوت أحمر غالى الثمن ، وطرح الشعاع على جهة وجهه ، فما رأى أهل الأندلس بعده ملكا يعد له ما كان يعد لعبد الملك المظفر (١) .

وكان عبد الملك يكثر فى صرف الأموال ، وذلك لطلاقة يده فى العطاء والتوسع على الرعية ، وكثرة نفقاته . الا أنه فى آخر عهده قام بضبط الأموال وصرفها فى مواضعها الحقيقية فى أمور البلاد ، كما هجر اللهو والراحة ، وأستيقظ للسهر والاشراف على شئون الدولة العامرية بنفسه ، وقام بأصلاح ما كان فاسدا فى أمره . وقد تم له ذلك فأصلحت أحوال البلاد ، وأزدادت الثروة المالية فى خزائن الدولة . وكان عبد الملك يأمر بتقديم بيان بمن طال سجنه ، فكان يطلق من يراه قد أخذ جزاءه ، مسايرا فى ذلك سياسة أبيه فى هذا الصدد (٢) .

كما أنه تابع سياسة أبيه الخارجية ، حيث كان يقوم فى كل عام خلال فترة حكمه على الأندلس بغزوة على بلاد الممالك الأسبانية المسيحية ، والمجاورة لبلاد الأندلس ، وقد بلغت هذه الغزوات سبع ، وهى فترة سنوات حكمه . وكان عبد الملك

---

(١) : أبن بسام : المصدر السابق ، قـ ٤ ، م ١ ، ص ٦٠-٦١

(٢) : أبن الخطيب : المصدر السابق ، قـ ٢ ، ص ٨٦ ، ٨٩

يستمد قوته العسكرية من الجيش النظامي ، الذى نظمه أبوه المنصور . وكان هذا الجيش اكسب خبرة بجغرافية المناطق الواعرة فى الشمال الأسباني على مدى اعوام طويلة خلال حكم ابيه المنصور . كما ان استقرار احوال الدولة الداخلية فى عهده مكنته من متابعة الجهاد ضد الممالك الأسبانية النصرانية والحاق الهزائم بملوكهم (١). وكان حكم عبد الملك هو الفصل الأخير من فصول قوة الدولة العامرية وعظمتها ، اذ خلال حكم اخيه عبد الرحمن تفككت الدولة وسقطت بمقتله (٢).

وقد كان عبد الملك حينما خلف اباه فى الحكم فى الثامنه والعشرين من عمره ، اذ كان مولده بقرطبة فى سنه ٣٦٤هـ ، ويكنى أبا مروان ويلقب بسيف الدوله وبالمظفر ، وقد تمرس فى شئون الحكم أيام ابيه ، واشترك معه فى كثير من غزواته ومن ثم فقد قبض عبد الملك على زمام الامور بحزم وكفايه ، وسار على خطى أبيه المنصور ، سواء فى تدبير الشئون الداخليه او الاستمرار فى غزو الممالك النصرانية (٣).

---

(١) : انظر فيما بعد (الباب الثالث)

(٢) : ابراهيم بيضون : الدولة العربيه فى اسبانيا ، ص ٣٥٥-٣٥٦

(٣) : عنان : الخلافه الاموية والدولة العامرية ، ص ٦٠٨

وكان عبد الملك متدينا ، ترك اللهو وأكثر من الجهاد في سبيل الله ، وقام باصلاح طرق المسلمين ، كما قام بأعمال الخير. وبذلك زادت النعمة في البلاد واستقر الأمن فيها ، مما جعل أهل الأندلس يزيد اعجابهم وحبهم له (١)

ولم يستمر عبد الملك في الحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله كما كان يفعل أبوه المنصور قبله ، فقد اتبع سياسة مغايرة لسياسة أبيه تجاه الخليفة ، فقد اكتسب ثقته ، وكان من نتائج ذلك اضفاء لقب المظفر سيف الدولة عليه ، وتعيين ابنه محمد خطة الوزارتين . وقد ترك عبد الملك الخليفة هشام على سجيته في قصره وخفض الحراسة عليه ، فما كان من الخليفة هشام المؤيد بالله الا ان آثر الاحتجاب عن الناس من تلقاء نفسه ، مكتفيا بنزهته داخل قصره وتفرغه للعبادة ، وقضاء بقية وقته في اللعب مع الخدم والجوارى ، وكان عبد الملك يخرجه في نهار الأيام للتنزه مستخفيا عن أعين الناس. ومن الطبيعي ان انصراف الخليفة عن شئون الدولة

---

(١) : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٢ ،ص ٨٥ - ٨٦

هو ما كان يهدف اليه عبد الملك لكي تكون له السلطة العامة في تصريف الدولة ، وكان عمر الخليفة هشام المؤيد بالله أبان تولي عبد الملك ابن المنصور السلطة بعد أبيه ما يقرب من الأربعين عاما (١) .

أحباط مؤامرة الوزير عيسى بن سعيد القطاع :-

وقد ظهرت شخصيات كبيرة في دولة عبد الملك كان لها أثر كبير في الأحداث السياسية في عهده . فمن هذه الشخصيات الوزير عيسى بن سعيد القطاع ، الذي أسند اليه عبد الملك معظم مهام الدولة . وفي بداية عهده بالوزارة قام الوزير عيسى بتدبير الشئون المناطة اليه بأحسن حال ، الا أن الفتيان الصقالبة كانوا غاضبين عليه ، فما كان منهم الا أن قاموا بتحريض الفتى طرفة الذي كانت له منزلة رفيعة في دولة عبد الملك بن المنصور عليه ، وكذلك حرضوا الشاعر أبو مروان عبد الملك بن أدريس الجزيري بالتعاون مع الفتى طرفة للأطاحة به . الا أن الوزير عيسى بن القطاع أكتشف تلك المؤامرة وبلغ أخبارها الى عبد الملك الذي قبض بدوره على فتاه طرفة ، ونفاه الى الجزائر الشرقية مسجونا حيث قتل هناك سنة ٣٩٨هـ . كما قام عبد الملك بسجن أبي مروان عبد الملك بن أدريس الجزيري في مطبق الزاهرة حيث قتله قوم من السودان (٢) .

وبعد ذلك حاول الوزير عيسى تدبير مؤامرة لعزل الخليفة هشام وقتل

---

(١) : أبن بسام : الذخيرة ، ق٤ ، م١ ، ص ٦٢ - ٦٣ (نقلا عن أبن حيان) .
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، ص ٣٣٨

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢٤ - ٢٦
— ابن بسام : نفس المصدر ، ق٤ ، م١ ، ص ٣٤ - ٣٦
— السيد عبد العزيز سالم نفس المرجع ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩

عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر ، وتنصيب هشام بن عبد الجبار الخلافة . وكان هدفه من تلك المؤامرة هو الأطاحة بالدولة العامرية وقتل عبد الملك ، ونقل الخلافة الأموية في الأندلس الى هشام بن عبد الجبار. وكانت هناك علاقة شخصية بين الوزير عيسى وهشام بن عبد الجبار ، والتي كانت حاجاته من الدولة العامرية تومّن بواسطة الوزير عيسى . فما كان منهما أن أجتمعا سرا لتخطيط تلك المؤامرة ، كما قام الوزير عيسى ببث أخبار تلك المؤامرة على المقربين منه ومن يثق فيهم من كبار رجال الدولة ، وأخذ البيعة منهم لهشام بن عبد الجبار ، فأجابه معظم من أخبرهم ووعدوه بمساندته في أمره . ثم قام الوزير عيسى برسم خطة لتنفيذ هذه المؤامرة وذلك بأن طلب من عبد الملك المظفر أن يأتي الى المنية حيث قصر الوزير عيسى والتي كان قد أهداها له عبد الملك للأشتراك في وليمة أعدها الوزير عيسى بمناسبة المولود الذي رزقه الله لأبنه عبد الملك بن عيسى صاحب السكة في دولة عبد الملك بن المنصور . كما طلب الوزير عيسى من عبد الملك أن يصطحب معه أخاه عبد الرحمن ، فأجابه عبد الملك بالموافقة على تلبية الدعوة . ثم قام الوزير عيسى بحشد الجند حول المنية التي سيعد فيها الوليمة وأمرهم بالانقضاض على عبد الملك ومن معه مجرد دخولهم المنية ، فأستعد جند الوزير في التأهب لتنفيذ هذه الخطة . وقبل مغادرة عبد الملك قصره قاصدا المنية تلبية لدعوة وزيره عيسى ، بلغ خبر تلك المؤامرة الى الفتى نظيف خادم عبد الملك الذي قام بأبلاغ خبرها الى سيده . كما قام أبو حاتم (١) وأكد

---

(١) : كان أبو حاتم يتمتع بمكانة كبيرة لدى الذلفاء أم عبد الملك ، ومن هنا كانت ثقة عبد الملك كبيرة فيه .

لعبد الملك صحة خبر تلك المؤامرة ونقل خبرها أيضا الى الذلفاء أم عبد الملك ، التي قامت من فورها بأبلاغ أبنها عبد الملك بهذه المؤامرة وطلبت منه قتل الوزير عيسى بن سعيد القطاع . فما كان من عبد الملك الا" أن أستشار أخاه عبد الرحمن الذى كان شديد الحقد على الوزير عيسى ، فنصحه عبد الرحمن بالأسراع بقتل الوزير عيسى ، وحذره من التخاذل فى أمره (١) .

فأمر عبد الملك بأحضار الوزير عيسى بن سعيد القطاع الى مجلسه ، وكان الوزير عيسى فى مجلس له مع نفر من أصحابه . فلما سمع بطلب عبد الملك له ، أسرع بالدخول اليه . فرحب به عبد الملك ثم أخذ يعاتبه على غدره بتخطيطه تلك المؤامرة ، فأحمر وجه الوزير عيسى ، وتضايق لما سمعه ودهش من تسرب أخبار تلك المؤامرة الى عبد الملك . ثم أشتد الحديث بينهما ، فقال له عبد الملك : " الحمد لله الذى أمكننى منك أيها الغادر" وأخذ عبد الرحمن يوبخ الوزير عيسى على فعله هذا . فما كان من عبد الملك ألا" أن سل سيفه وضرب الوزير عيسى على صفحة وجهه فشقه الى ذقنه ونهض الوزير عيسى متحاملا فضربه عبد الملك ضربة أخرى ، خر بعدها صريعا ، وأمر بقطع رأسه مع أثنين من كبار رجال المؤامرة ، وهما خلف بن خليفه ، وحسين بن فتح ، وان تلقى أجسادهم فى النهر فى زنا بيل مثقله بالحجارة ، وأن تنصب رأس الوزير عيسى بن القطاع على باب مدينة الزاهرة وقد بقى معلقا حتى سقوط الدولة العامرية . وكان مقتل الوزير عيسى ليلة السبت العشرين من شهر ربيع الأول سنة ٣٩٧ هـ . وبهذا الحادث تنبه عبد الملك

---

(١) : أبن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠- ٣٢

لأمور الدولة واحياء رسم والده في سياسة الحزم في الامور التي تتصل بسلطانه وهيبته .

ثم امد عبد الملك امرا بتعيين فرج صاحب مدينة الزاهرة وزيرا خلفا للوزير عيسى بن القطاع واعتقال اسرة الوزير عيسى بن القطاع. كما قبض عبد الرحمن بن المنصور على هشام بن عبد الجبار بعد ثلاثة أيام من مقتل الوزير عيسى ، فحبسه عبد الملك في سجن المطبق بالزاهرة ، حيث ظل به الى ان قتل فيه خفية عن انظار الناس .(١)

وبعد مقتل الوزير عيسى بن سعيد القطاع استكثر عبد الملك من دخول البربر من العدوة المغربية الى الاندلس ليكونوا في خدمته وفي عداد جيشه . وكان على رأس هؤلاء البربر زاوى بن زيرى بن مناد الصنهاجي الذي ولاه عبد الملك خطة الوزارة ، الاّ ان زاوى رفض المنصب ، فقال : " لو جئناك بمال لأسهمناك ، وانما خطتنا الحرب لا الوزارة ، واقلامنا الرماح وصحائفنا الأجساد " وقد قابل عبد الملك غطرسة زاوى ورفضه خطة الوزارة وهي ارفع الخطط في الاندلس ، بأن حرض شخصا من اقربائه على قتله ، وبتخلصه منه على هذا النحو انقادت قبيلة زاوى الى طاعة عبد الملك .(٢)

واستمر عبد الملك المظفر يشرف على امور الدولة ، ويقوم بالغزوات. وفي غزوته السابعة (٣) ، التي خرج فيها للجهاد في منتصف شهر صفر

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٣ - ٣٦
ـ عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٦٢٠

(٢) : ابن بسام : الذخيرة ، قـ ٤ ، م ١ ، ص ٦١ - ٦٢

(٣) : انظر فيما بعد (الباب الثالث) .

سنة ٣٩٩ هـ ، وكان يعاني مرض الذبحة الصدرية . وفي أثناء سيره في تلك الغزوة أشتد عليه مرضه في اليوم الثاني من خروجه لها ، فأمر القاضي بن ذكوان برجوع عبد الملك الى قصره في العمارية ، وذلك أستعدادا لعودته الى قرطبة . وفي أثناء رجوعه قوي عليه المرض فمات بالقرب من دير أرملاط ودخلوا به في قصره بالزاهرة ميتا (١) .

ويذكر ابن عذارى وابن الأثير أنه قيل أن سبب موته عوان أخاه عبد الرحمن دس له سما في تفاحة قطعها بسكين سم أحد جوانبها ، وقد أكل عبد الرحمن الجزء السليم من التفاحة أمام أخيه عبد الملك ، ثم أعطى لأخيه عبد الملك الجزء المسموم في التفاحة ، فأطمأن عبد الملك وأكل الجزء المسموم (٢).

الا ان كلا من أبن الكردبوس وأبن الخطيب يذكران أن عبد الملك توفي أثر أشتداد الذبحة الصدرية عليه (٣) ، وربما يكون قولهما

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ،جـ ٣ ،ص ٣٧
- عنان : المرجع السابق ، ص ٦١٥ - ٦١٦

(٢) : ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، المجلد الثامن ،ص ٦٧٨
— ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٣ ،ص ٣٧
-JAN READ:Op.cit.,P.92

(٣) : ابن الكردبوس : الأكتفاء في تاريخ الخلفاء ، ص ٦٥ - ٦٦
— ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، قـ ٢ ، ص ٨٩

هـــو الأرجح حيث أن عبد الملك كـــان يعانـــى من ذلك المـــرض قبـــل قيامـــه بغزوتـــه الأخـــيرة ، وكانت وفـــاة عبد الملك المظفـــر بن المنصـــور أبن أبـــى عامـــر يوم الجمعـــة السادس عشـــر من شهـــر صفـــر سنة ٣٩٩ هـ / ٢١ أكتـــوبر سنـــة ١٠٠٨ م ، بعـــد ان حكـــم الأندلس سبع سنوات ، وغـــزا بلاد النصارى سبـــع غـــزوات (١) .

---

(١) : عنـــان : الخلافـــة الأمويـــة والدولة العامريـــة ، ص ٦١٥

ـــ السيد / عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهـــم فى الأندلس ، ص ٣٣٨

حجابة عبد الرحمن وزوال الدولة العامرية على عهده

تولى عبد الرحمن بن المنصور الملقب بشنجول الحجابة بعد وفاة أخيه عبد الملك :-

وبعد موت عبد الملك بن المنصور تولى الحجابة فى الأندلس أخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول (١) . ثم ركب الى قصر الخليفة هشام المؤيد بالله الذى عزاه فى أخيه ، ثم أصدر مرسوما بتقليده الحجابة ،وسماه بالمأمون أضافة الى لقبه ناصر الدولة ، فكان عبد الرحمن يخاطب : " بالحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة " ثم بعد ذلك قام كبار رجال الدولة العامرية بتهنئته بالحجابة (٢) .

واليك نص مرسوم الخليفة هشام المؤيد بالله الذى منح بمقتضاه عبد الرحمن بن المنصور لقب المأمون : " بسم الله الرحمن الرحيم . أدام الله حفظك وأحسن على الصلاح عونك ،رأينا أكرمك الله لما ظهر لنا من جميل طاعتك وبدارك الى ما يلزمك من المناصحة والقيام بأعباء المملكة على أفضل الطريق المحمود ، والمساعى المشكورة فى كتبنا اليك وتحليتك بالمأمون فى مخاطبتك ، زائدا على أول أسمائك ،مظاهرة لأنعمنا عليك ،وأنت

---

(١) : لقب عبد الرحمن بن المنصور بشنجول تصغيرا لأسم جده من أمه ، حيث أن المنصور كان قد تزوج من أبنة شانجة النصرانى ملك بنبلونه وأسماها (عبدة) ، وقد حسن أسلامها ،فكانت من خيرة نسائه فأنجبت له عبد الرحمن . (السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ،ص ٣٤٣) .

(٢) : أبن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٣ ،ص ٣٨
ـــ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،قـ ٢ ، ص ٨٩- ٩٠

عند ثا اهل لذلك ومستحق به ، فاعتمل فيما ينفذ من الكتب عنك واليك على عنوان كتابنا هذا اليك ، نسأل الله عونا شافيا وتأكيدا كافيا ان شاء الله تعالى " .

ولقد امر عبد الرحمن وزيره جهور بن محمد بابلاغ نص مرسوم الخليفة الى كافة أرجاء الاندلس والعدوة المغربية .(١)

وبعد تولية عبد الرحمن بن المنصور الحجابة وادارة شئون الاندلس، سلك سياسة مغايرة لسياسة ابيه المنصور واخيه عبد الملك فى ادارة الحكم، حيث اتخذ نهجا معاكسا لسيرتهما فى الحكم . فقد خلد الى الخلاعة والمجانة ومجالسة البربر ، فكان يقضى معظم وقته فى التنقل من نزهة الى اخرى مع زمرة من حاشيته من الفرسان والمغنين والمضحكين فكرهه الناس فى الاندلس وكرهه الامويون لاهماله ادارة شئون الدولة (٢)

الا انه مع ذلك اتبع سياسة ابيه واخيه فى الحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله والاستبداد بالسلطة دونه ، ولكنه فى الوقت نفسه فتح الباب الى تيسير اغراضه واستمالة اليه ، فكان يستدعيه الى النزهة معه وهو مختفيا فى برنس فى جملة الجوارى لكى لا يعرف منهن ، كما اوعز بالاحتفال به ، (٣) كما قام بتحصين مدينة الزاهرة لمنع قيام أية ثورة مناهضة له .(٤)

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٤١ - ٤٢

(٢) : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، المجلد الثامن ،ص ٦٧٩
— ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ٣٩

(٣) : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٩٠

(٤) : ابن حزم : طوق الحمامة فى الالفة والالف ، ص ٢٠

تولى عبد الرحمن بن المنصور العهد وأبنه عبد العزيز الحجابة :-

وكان عبد الرحمن بن المنصور شابا مغرورا أحمقا لا يحسن التصرف فى أمور الدولة ، حيث كان هدفه الأستئثار بالسلطة الشرعية ثم الخلافة نفسها . اذ ان هشام كان قد عدم الولد فضلا عما كان عليه من الضعف والمهانة (١) . ففى يوم ١١ من ربيع الأول سنة ٣٩٩ هـ ، خرج الخليفة هشام متخفيا عن أعين الناس كعادته من قصر الزهراء الى قصر الزاهرة الذى أعد له فيه أحتفال عظيم ، وقام فيه يومين . وفى اليوم الثالث ذهب الخليفة هشام بصحبة عبد الرحمن بن المنصور الى منية جعفر للتنزهه ، وقد زاد أعجاب الخليفة هشام بعبد الرحمن نظرا لما قدمه له من خدمة وأحتفاء ،فما كان من عبد الرحمن ان أختلى بالخليفة هشام وتبادلا الأحاديث وتذاكرا أنهما من أمين بشكنسيتين ،وأعتقد عبد الرحمن بأن هذه القرابة التى تجمع بينهما من ناحية نسب الأم تسمح له بحق توليته الخلافة ، فطلب من الخليفة هشام أصدار مرسوم بتعيينه وليا للعهد وللخلافة من بعده وهو أمر خطير لم يطمع فيه أبوه المنصور ولا أخوه عبد الملك من قبل (٢) .

وخرج عبد الرحمن عشية ذلك اليوم الى أصحابه مدعيا بأن الخليفة هشام قد ولاه العهد وأختاره للخلافة من بعده دون بنى عمه وذويه

---

(١) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ق ٢ ،ص ٩٠
ـ أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٨- ٢٦٩

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٣ ،ص ٤٢ - ٤٣
ـ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ص ٣٤٣ - ٣٤٤

الأمويين ، فقام أصحابه بنشر هذا الخبر وهم مستبشرون بأن الوقت قد حان لزوال خلافة الأمويين في الأندلس الى الأبد . وكان عبد الرحمن قد بعث بعض أعوانه الى الخليفة هشام لأرهابه وتهديده بالقتل ان لم يوليه العهد من بعده ، فما ان أجتمع الخليفة هشام بعبد الرحمن حتى وافق على طلبه . فأحضر عبد الرحمن كبار أعيان الدولة في مجلس الخليفة هشام ، وأشهدهم على نص مرسوم الخليفة بتعيينه وليا للعهد . وقد قام بكتابة مرسوم ولاية العهد كاتب الرسائل أبو حفص أحمد بن برد (١) . ثم شهد عليه قاضي الجماعة أحمد بن عبد الله بن ذكوان ، ومن الوزراء تسعة وعشرون وزيرا ، ومائة وستة وثمانون رجلا من أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة من الحكام والقضاة والفقهاء والمستشارين وغيرهم ، وبذلك يكون عبد الرحمن بن المنصور قد أنتزع لنفسه ماتبقى من رسوم الخلافة (٢) .

ويشير ابن الخطيب تعليقا على هذه البيعة ، بقول أبو مروان ابن حيان :" وقد تقدم القول في سبب تعلق هذا الجاهل بدعوى الخلافة عجز فيه من غير تأويل ولا عقيدة ، وكيف أستهواه كيد الشيطان ، وغرته قوة السلطان الى ان ركبها عمياء مظلمة ، لم يشاور فيها نصيحا ، ولا فكر في عاقبة ، بل جبرها بالعجلة " (٣) .

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٩

(٢) : انظر نص البيعة كما أورده : ابن عذارى البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٤٣ - ٤٦
— ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٩٠ - ٩٣
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٦٩ - ٣٧١

(٣) : ابن الخطيب : نفس المصدر ، ق ٢ ، ص ٩١ (نقلا عن ابن حيان)

وبعد أخذ البيعة لعبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر بولاية العهد . وذلك بعد مضي شهر ونصف على توليته الحجابة (١) جلس في قصره بالزاهرة في مرتبة المُلك لأستقبال المهنئين فدخلوا حسب منازلهم يتقدمه بنو مروان وغيرهم من بطون قريش تبدو عليهم في ظاهرهم الأستكانة والكبوة ثم تلاهم وجوه الناس من الوزراء وكبار رجال الدولة ، ثم أمر بأرسال كتاب البيعة الى كافة أنحاء الأندلس والمغرب الأقصى ، كما أمرهم بالدعاء له على منابر المساجد وذلك بعد الدعاء للخليفة هشام (٢) .

وقد أسهب بعض الشعراء في مدح عبد الرحمن بعد توليه العهد (٣) ، الا ان الناس أنكروا عليه هذه البيعة الخلافية ، وغضبوا من الخليفة هشام لموافقته على بيعة العهد له ، حيث انه لم يكن أهلا لتولي الخلافة . وكان المروانيون على رأس الحاقدين على عبد الرحمن والغاضبين على الخليفة هشام ، اذ أن هشام لم يكن له ولد وكان المروانيون من أهل بيته يترقبون وفاته لتعود الأمور اليهم ثم ينتهزون الفرصة للقضاء على الدولة العامرية والعامريين . كما توقع الناس سقوط عبد الرحمن من الحكم في أقرب وقت ممكن ، نظرا لأعماله وتصرفاته السيئة وكذلك أهماله في تدبير شئون دولته ، وأنصرافه الى حياة اللهو والمجون (٤) .

بالاضافة الى ذلك فقد ازداد عبد الرحمن في اغضاب الأمويين والرعية

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٩
(٢) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، قـ ٢ ، ص ٩٣
(٣) : عن القصائد التي قيلت في مدحه انظر أعمال الأعلام ، قـ ٢ ، ص ٩٤ - ٩٥
(٤) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٤٦ - ٤٧
ـ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، قـ ٢ ، ص ٩٠ ، ٩٣

بأن قام بعد البيعة له بولاية العهد فأصدر أمرا بتولي أبنه عبد العزيز خطة الحجابة وكان لا يزال طفلا ، ولقبه سيف الدولة ، وهو لقب عمه عبد الملك المظفر . وقد استمر عبد العزيز في الحجابة الى مقتل أبيه عبد الرحمن وزوال الدولة العامرية (١) .

وعند ما فرغ عبد الرحمن من مراسيم توليه بيعة العهد ، وتعيين ابنه عبد العزيز في الحجابة ، انهمك أكثر من ذي قبل في ملذاته والاكثار من صحبة الجند ومجالسة الغوغائيين من الناس وارتياد أماكن النزهة والصيد مما أفقده حب الناس ، وصرفه عن متابعة أمور الدولة . ومن سوء أعماله في رجال أهل الدولة بعد توليه العهد ان أمرهم بطرح قلانسهم الطوال المرقشة الألوان ، والتي كانوا يلبسونها من قديم الزمان ، وتعتبر تيجانهم التي يعرفون بها عن بقية طبقات الرعية . فقد طلب منهم ان يضعوا العمائم فوق رؤوسهم بدلا عن القلانس ، وكانت هذه العمائم يضعها كبار البربر على رؤوسهم ، وأصدر أمرا بعقوبة من لم يمتثل لهذا الأمر ، فلبسوها على أكراه ، ودخلوا بها على عبد الرحمن في قصر الزاهرة يوم الجمعة ١٤ جمادى الأولى سنة ٣٩٩ هـ ، فكانوا بها أقبح منظرا وأهجن زيا وملبسا وذلك لمخالفة العادة ، كما أصبحوا عند الناس في خجل من منظرهم (٢) .

كما أخذ عبد الرحمن يزداد أفحاشا في تصريف شئون الدولة ، فقام بصرف الأموال على مجلسه وأصحابه ، مما جعل البلاد تمر بضائقة اقتصادية في عهده . ولم يتورع في أخذ أموال من بسط يده عليهم مدعيا أباطيل ضدهم ، فما زاد ذلك الا كراهية الناس له متمنين زوال حكمه

---

(١) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ٩٤
-DOZY:Op.cit.,PP.534-540

(٢) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٧ - ٤٨

الذى لم يسر فيه على نهج ابيه واخيه .(١)

وأبدى الأمويون والمضريون استياءهم لبيعة عبد الرحمن بولاية العهد والخلافة من بعد هشام المؤيد ، وعز عليهم تحويل الخلافة الى اليمنيين من آل عامر الذى ينسب اليهم المنصور بن ابى عامر وأولاده ، الأمر الذى أدى الى عودة العصبية القبلية القديمة بين المضريين واليمنيين .(٢)

وكانت الخلافة الأموية فى الاندلس تجمع بين السلطتين الزمنيه والروحيه الى ان جاء المنصور بن ابى عامر الى الحكم وأبناؤه من بعده ، فقاموا بفصل السلطة الزمنية عن السلطة الروحيه ، حيث استقلوا بالسلطة الزمنية واستبدوا بها على عهد الخليفة هشام المؤيد بالله ، فكانوا مثل البويهيين والسلاجقة الذين سيطروا على الخلافة العباسية فى بغداد ، وكذلك مثل أسرة بدر الجمالى التى استبدت بالخلافة الفاطميه فى القاهره . ومما لا شك فيه ان فصل سلطة الخليفة الزمنية والروحية كانت مقدمة لنهاية الخلافة الأموية فى الاندلس ، ولا سيما بعد تتويج عبد الرحمن بن المنصور وليا للعهد . حيث ان مثل هذه البيعة بالعهد لعبد الرحمن أمر لم يفكر فيه المنصور ولا ابنه عبد الملك من قبل ، فلم يفكرا فى انتزاع شرعية الخلافة من الأمويين ، وان كان المنصور قد بدت لسه هذه الفكرة الا انه انصرف عنها بعد ان نصحه أصحابه بترك ذلك الأمر ففعل بمشورتهم ، كما انه فى وصيته لابنه عبد الملك أوصاه بأن يرعى حق الخلافة .(٣)

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٨

(٢) : على ادهم : منصور الاندلس ، ص ١٣٧

- JAN READ:OP.cit., P.93

(٣) : احمد العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس، ص ٢٧٣ - ٢٧٤

وكان من أهم العوامل التي ساعدت الأمويين الناقمين على الأطاحة بعبد الرحمن وبدولته ، ان الذلفاء أم أخيه عبد الملك كانت قد أتهمته بقتل أخيه وذلك بدس السم له . فمنذ موت عبد الملك والذلفاء حاقدة على عبد الرحمن فما كان منها الاّ ان قامت بتحريض الأمويين عليه بعد ان شعرت باستيائهم منه لتوليه العهد ، ورأت ان الوقت قد حان لتثأر لأبنها عبد الملك . وكان عبد الرحمن بن المنصور يضع الذلفاء أم عبد الملك موضع أحترام وتقدير وتعظيم ، فكان يقوم بتأمين طلباتها في قصرها مع ولد أخيه عبد الملك وحرمه ، الاّ ان هذا لم يمنع الذلفاء من مساعدة الأمويين على الثورة عليه ، وبعثت لهذا الغرض خادمها بشرى الصقلبي الى الأمويين أعداء العامريين . وكان بشرى الصقلبي في صباه تابعا للأمويين ثم انتقل الى العامريين ، فكان هو أجدر من تثق به الذلفاء للقيام بتلك المهمة (١) . وكانت شروط الذلفاء لمساعدة الأمويين في أسترجاع دولتهم هي الثورة على عبد الرحمن ابن المنصور وقتله ولتثأر لأبنها عبد الملك . فوصل الخادم بشرى الصقلبي الى معارفه الأمويين وعرفهم طلب الذلفاء ، فأرشده الأمويون الى محمد بن هشام بن عبد الجبار الذي كان عبد الملك قد قتل أباه (هشام عبد الجبار) بسبب تأمره مع الوزير عيسى بن سعيد القلاع على قتله والقضاء على الدولة العامرية ثم تنصيب هشام بن عبد الجبار خليفة . فقد قال الأمويون لخادم الذلفاء في وصف محمد بن هشام بن عبد الجبار : " هو حرّ انه ثائر

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٤٧-٣٤٨

جسور مخاطر ، وقد بلغنا انه تطلب هذا الأمر منذ قتلتم أباه ، وتألف من شرار الناس كثيرا ، وشيعتنا تلقاه وتؤمله ليس لكم غيره " (١) .

ومن الطبيعي ان الأمويين قد أعطوا ثقتهم لمحمد بن هشام ابن عبد الجبار الذى نادى بأخذ ثأر أبيه وكذلك لما يتمتع به من قوة شخصية ومن جسارة وأقدام في مجاهرة عدائه للعامريين . فقد كان محمد بن هشام ابن عبد الجبار يترقب الفرصة لتحقيق أطماعه بالأطاحة بهم ، ولم تتحقق له هذه الفرصة الا في عهد عبد الرحمن بن المنصور . وبذلك بدأت الثورة تأخذ مسارها للأطاحة بعبد الرحمن بن المنصور وبدولته وبالعامريين جميعا.

وبعد نصح الأمويين لبشرى خادم الذلفاء ، ذهب بشرى الى محمد ابن هشام بن عبد الجبار وأطلعه على مساندة الذلفاء ، مما قوى عزمه . كما قامت الذلفاء بأرسال الأموال اللازمة الى محمد بن هشام ليقوى بها أمره . وقد ساندته في ذلك من الأمويين سليمان بن هشام ، كما أستظهر بسائر ولد أبيه الناصريين وقومهم المروانيين لمساندته ، فبايعوا محمدا بن هشام بن عبد الجبار سرا . وقد كان له ولأبيه دعاة في قرطبة ، فبايعوه بالخلافة ، ثم قام محمد بن هشام بتجهيز جنده من المرتزقه في ضواحي قرطبة أستعدادا للثورة على عبد الرحمن بن المنصور (٢) . وقد سارع الناس الى مساندة بيعة محمد بن هشام بالخلافة نظرا لغضبهم على عبد الرحمن للأسباب التي سبق ان أوردناها في هذا الصدد (٣) .

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٥٢

(٢) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ٥٣

-JAN READ:Op.cit.,P.93

(٣) : انظر أسباب غضب الناس على عبد الرحمن بن المنصور في كتاب الأكتفاء في تاريخ الخلفاء لابن الكردبوس ، ص ٦٦ - ٦٧

استيلاء محمد بن هشام بن عبد الجبار على قرطبة وتوليه الخلافة :-

خرج عبد الرحمن بن المنصور بن ابى عامر للغزو فى شاتية سنة ٣٩٩ هـ (١) ، فنصحه فتاه الأكبر بترك الغزو وذلك خوفا من اضطراب الناس ، وأخبره ان بعض المروانيين يريدون الخروج عليه . ولكن عبد الرحمن بن المنصور أعرض عن نصح فتاه الأكبر واستخف بكلامه وقال : " والله لو اجتمع بنو مروان الى مرقدى وانا نائم ما أيقظونى " . وهذا يدل على غرور عبد الرحمن ومدى اعتزازه بنفسه ، هذا الاعتزاز الذى جاء نتيجة استبداد بنى عامر بالسلطة ، ويدل ايضا على جهل عبد الرحمن بما آلت اليه الأمور من النقمة عليه والكراهية له والتآمر عليه . ولذلك واصل عبد الرحمن سيره فى الغزو ، واقتحم جليقيه من ثغر طليطلة . وكان عبد الرحمن قد اصطحب معه لهذه الغزوة رجال من البربر ، وأناس من أسفل أهل قرطبة الذين قد أحاطهم بنفسه وعينهم فى بعض المناصب الهامة أمثال صاحب شرطته ابن الرسان (٢) .

اما محمد بن هشام بن عبد الجبار فقد أخذ يبث دعاته الى العامة ،

---

(١) : انظر فيما بعد (الباب الثالث)

(٢) : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، قـ ٢ : ، ص ٩٦ - ٩٧
ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٤٨ - ٤٩

ويطالبهم بالبيعة له ويظهر لهم مساوئ عبد الرحمن بن المنصور في أغتصاب الخلافة من البيت القرشي (الأمويين) وما يقوم به من أعمال مشينة . وكان محمد بن هشام يجتمع بأعوانه ومن بايعوه سرا في أوقات الغفلة ، وذلك في أحد كهوف جبال قرطبة ، كما قام بتجنيد العامة ممن بايعوه أستعدادا للثورة على عبد الرحمن بن المنصور . وقد سنحت الفرصة لمحمد بن هشام بتنفيذ مخططه أثناء غياب عبد الرحمن بن المنصور في غزوته تلك في بلاد النصارى ، حيث تمكن محمد بن هشام من أقتحام قرطبة والأستيلاء عليها في السادس عشر من شهر جمادى الثانية سنة ٣٩٩هـ / ١٥ فبراير سنة ١٠٠٩م . وقد ساعد على ذلك أقرباؤه من الأمويين وأنصاره من العامة والغوغاء الذين وجدوا في ثورة محمد بن هشام فرصة للسلب والنهب . وقام محمد بن هشام فقتل صاحب قرطبة العامري عبد الله بن عمر ، وبعث بعض رجاله الى سجن العامة بقرطبة ، ففتح أبوابه وأطلق سراح من كان فيه من المجرمين واللصوص الذين أسرعوا مع السفلة والجزارين الى أسواق قرطبة ، فنهبوا ما في الأسواق والحوانيت ، وجمعوا أموالا كثيرة مما سلبوه ونهبوه (١) .

وحينما سمع الخليفة هشام المؤيد بالله نبأ ثورة محمد بن هشام ابن عبد الجبار وأستيلاؤه على قرطبة أمر غلمانه بأغلاق باب قصره ، وطلع الى أعلى سطح القصر ، ونظر الى العامة بين مصحفين يحملهما خادمان ، وأشار الى من تحته من العامة بالتزام الهدوء ، فصاحوا به : " لا حاجة لنا بك ، وهذا

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٥٥ - ٥٦
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨

أولى بالملك " ـ يعنون بذلك محمد بن هشام ـ فعاد الخليفة هشام الى قصره ، وأمر خدمه بعدم مقاتلة من يهجم على القصر من أعوان محمد بن هشام بن عبد الجبار حتى يقضى الله قضاءه ، ودخل الى محرابه فلم يتحول عنه الى ان نفذ أمر الله عليه بخلعه من الخلافة . (١)

وأصدر محمد بن هشام بن عبد الجبار أمرا الى جنده بنقب قصر الخليفة هشام ودق أبوابه ، وأحضرت لهم السلالم من سوق الخشابين ، وأوصلوها بالحبال ، فطلع الجند على سور القصر ، فخاف الخليفة هشام على نفسه وعلى أهله وذلك لما رأى عجز دفاع جند العامريين المقيمين بقصر الزاهرة عن قصره .

وما كان من الخليفة هشام الا ان بعث بأحد خدمه الى محمد ابن هشام بن عبد الجبار يطلب منه العدول عن أقتحام القصر ، على ان يوليه العهد من بعده . الا ان محمد بن هشام بن عبد الجبار رفض ذلك الطلب وطلب من الخليفة هشام خلع نفسه من الخلافة ، وأخذ محمد بن هشام ابن عبد الجبار يلومه على مناصرة العامريين . فما كان من الخليفة هشام الا ان أجابه الى طلبه وذلك بسبب عجزه وعجز العامريين عن حمايته . فأمر محمد بن هشام بن عبد الجبار جنده بفك الحصار عن قصر الخليفة هشام كما أصدر أمرا بتعيين ابن عمه محمد بن المغيرة فى منصب صاحب الشرطة فى قرطبة ، وأبن عمه عبد الجبار بن المغيرة حاجبا له ، وسليمان بن هشام

1-JAN READ:Op.cit.,P.93

١ - بغية الملتمس ص ٦٢٠ - ٦٢٢

وليا للعهد . ثم قام الخليفة هشام وأرسل خلعا فاخرة لمحمد بن هشام بن عبد الجبار ليغير بها حاله ، كما طلب محمد بن هشام بن عبد الجبار حضور كبار المشيخة في الدولة وأهل البيت الأموي والوزراء والفقهاء والقضاة الى حفل مبايعته بالخلافة في الأندلس وذلك بقصر الخليفة هشام المؤيد بالله ، والشهادة على خلع هشام المؤيد منها ، وقد تم له ذلك وصحت له الخلافة بعد تنازل الخليفة هشام المؤيد بالله عنها . وتلقب محمد بن هشام بن عبد الجبار بلقب المهدي ، الذي لم يتلقب به مرواني قبله .(١)

وأمر محمد بن هشام بن عبد الجبار أضاءة قصر الخلافة في تلك الليلة بالشموع أبتهاجا بمبايعته بالخلافة ، وبذلك يكون الخليفة هشام المؤيد بالله قد مكث في خلافته الأولى ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصف شهر . وكادت الأندلس تضطرب أبان حكمه لولا ان العامريين أسسوا دولتهم فيها أبان خلافة هشام المؤيد بالله وأستقرت لهم أمور البلاد في عهد المنصور بن أبي عامر وفي عهد أبنه عبد الملك المظفر . وبعد تولي محمد بن هشام بن عبد الجبار الخلافة أثر سقوط الدولة العامرية ضعفت خلافة الأمويين في الأندلس بسبب ضعف الخلفاء فيها ولم يستمروا في الحكم لوقت طويل ، حيث أشتدت الفتن والقلاقل في الأندلس وتفككت وحدتها وتقسمت الى دويلات صغيرة تعرف بدويلات ملوك الطوائف .(٢)

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ١١٠ - ١١١

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٦٠- ٦١

الأستيلاء على مدينة الزاهـــرة وتخريبهـــا :-

وبعـد ان استقـر أمـر محمد بن هشـام بن عبد الجبـار فـي قرطبـة وتوج بالخلافـة الأندلسية ،أمـر أعوانـه من العامـة بالتوجـه الـى مدينة الزاهـرة عاصمـة الدولـة العامريـة ، وذلك للأستيلاء عليهـا ونهبهـا . وأعـد لهـذه المهمـة ابن عمـه عبد الجبـار بن المغيرة مـع جمـع كبـير من العامـة لمخاطبـة أهـل الزاهـرة بالأستسلام ،فتد فقت اليهـا أعـداد كبيرة لا حصـر لهـا من أعـوان محمد بن هشـام بن عبد الجبـار الذين أقتحمـوا أسـوار المدينـة وهدمـوا معظمهـا ، وقامـوا بأعمـال السلب والنهـب فيهـا ، حـتى قصـر عبد الملك المظفـر بن المنصـور بن أبـي عامـر لم يسلـم من النهـب ،فقـد تمكنـوا من أخـذ ما فيـه مـن تحـف وأمـوال وجواهـر ،وهدمـوا خزائـن الكسـوة والفـرش والأمتعـة ، ونهبـوا السلاح وأكتسحـوا الأسـواق فنهبوهـا . ثـم أصـدر محمد بـن هشـام بهـدم وتخريب مدينة الزاهـرة ،فأقتلعـوا أبوابهـا وخربوا قصورهـا وطمست معالمهـا ،ومضت كالأمس الدابـر ،وخلـت منهـا الدسوت الملوكيـة لدولـة العامريين[١] . وكـان صاحبهـا عبد اللـه بن مسلمـة من قبـل عبد الرحمـن بن المنصـور قـد قـام بتحصينهـا وضبط أسوارهـا وأبوابهـا بسبعمائـة جندي حينمـا وصلـه خبر سقوط قرطبـة فـي يد محمد بن هشـام بـن عبد الجبـار ، الآ ان جنـده لـم يستطيعـوا مقاومـة جموع العامـة

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهـم في الأندلس ،ص ٣٤٨

الذين بعث بهم محمد بن هشام بن عبد الجبار ، ولم يحولوا دون أقتحامهم المدينة وتخريبها (١) .

ويقال ان من أتبع محمدا بن هشام بن عبد الجبار في ثورته هذه هم من العامة بقرطبة والذين ثبتت أسماؤهم في العطاء ، وان الذين داهموا الزاهرة قد نهبوا منها ما يقدر بحوالي خمسمائة الف وخمسة آلاف درهم ، ومن الذهب خمسمائة الف دينار ، وانهم أستخرجوا من بعض الدفائن ما يقدر بمأتي الف . وكان محمد بن هشام بن عبد الجبار قد أمر جنده بعد أستخراج الأموال منها بهدمها وطمس آثارها حتى لا يتمكن عبد الرحمن بن المنصور من الرجوع اليها من غزوته ، فخربت الزاهرة ودمرت ونهبت أموالها وسلاحها وكل ما هو ثمين فيها ونقل الى قرطبة (٢) .

ومما يذكر في خراب الزاهرة التي بناها المنصور بن أبي عامر وجعلها عاصمة ملكه . ان المنصور بن أبي عامر كان قد رأى في مناهه ، كأن الله اطلع عليها وتجلى لها . فأخبر المنصور ابن أبي عامر ابن الهمذاني بما رآه ، فأخبره ابن الهمذاني بخرابها ، وتلى قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) (٣) ، وكان المنصور بن أبي عامر كلما أمعن نظره في بساتين وقصور الزاهرة تذكر تلك الرؤيا ويتحسر لما سيحل بها من خراب وتدمير (٤) .

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٨ ، ٦٣
2-JAN READ:Op.cit.,P.93

(٣) : سورة الأعراف : الآية ١٤٢ .
(٤) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ١١١ - ١١٢

وقد أستغرق نقل الأموال من الزاهرة الى الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار بقرطبة مدة ثلاثة أيام ،الى ان طلب أهلها الأمان منه ، فأمر جنده بأيقاف النهب والسلب فيها ،وجعل أبن عمه عبد الجبار بن المغيرة حاكما عليها ،وأمر من كان فيها من الفرسان العامريين بالدخول فى جيشه فتم له ذلك وزود هم بالأسلحة اللازمة لهم . وقد قتل أثناء الهجوم على الزاهرة عبد الله بن عمر ابن أبي عامر (١) .

ولم يسلم قصر الذلفاء أم عبد الملك المظفر من النهب ،فقد أقتحمه جند محمد بن هشام بن عبد الجبار وأخذوا ما فيه من الأموال والأمتعة على الرغم من مساعدة الذلفاء له فى القيام بثورته على عبد الرحمن ابن المنصور. وأما فيما يختص بموقف محمد بن هشام بن عبد الجبار من حرم آل عامر عند أستيلاءه على عاصمتهم الزاهرة ، فأنه قام بأطلاق حرائرهن ، واصطفى الأماء منهن لنفسه ولوزرائه مما جعل الناس ينكرون عليه ذلك . وأما موقفه من الذلفاء التى ساندته فى ثورته ، فقد سمح لها مع ابن أبنها عبد الملك بالبقاء فى دارها بوسط المدينة ، وكانت الذلفاء قد أخفت معظم أموالها عن أعين الناس قبل ثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار، وذلك تحسبا للزمن بعد سقوط عبد الرحمن بن المنصور ،ولما ماتت تحولت أموالها الى ابن أبنها محمد بن عبد الملك بن المنصور (٢) .

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٣ ،ص ٦١ - ٦٣

(٢) : ابن عذارى : نفس المصدر ،جـ ٣ ، ص ٦٤

ويصف ابن عذارى بركة هذه المدينه فى جهاد المسلمين وكثرة خيراتها ،بقوله " ما أعلم مدينة بالأندلس ،بل ببلاد الأسلام كله ، كانت أعظم بركة فى الجهاد والمال منها ،وأبهج غرة وأشد مملكة ، وأكثر جيوشا وحاشية ،وأتم سعادة وأطيب بقعة من هذه المدينة الزاهرة ، حتى أذن الله فى خرابها فى الوقت المحدود للأمر المعدود " (١) .

مقتل عبد الرحمن بن المنصور وزوال الدولة العامرية :-

وفى طليطلة وصل عبد الرحمن خبر ثورة محمد بن هشام ابن عبد الجبار وأستيلائه على قرطبة وتدمير مدينة الزاهرة ، فجزع من ذلك الخبر وبدأ عليه الخوف ، فأمر بضبط الجند ، وذهب الى قلعة رباح ومكث فيها أربعة أيام حائرا لا يدرى ماذا يعمل فى أمره . ثم دعا رؤساء الجند والأعيان لمبايعته على قتال محمد بن هشام بن عبد الجبار الذى أستولى على الخلافة بقرطبة ، وكتب لهم بالسماح بالنزول فى دور وضياع أهل قرطبة . ثم قام بالعودة الى قرطبة ،ولما قطع من الطريق سبعة عشر يوما وصل الى منزل أم هانيء ولم يكن قد بقى معه من جنده سوى خمسين فارسا ،لأن معظم جنده من البربر وغيرهم قد تخلوا عنه وذهبوا الى قرطبة للأنضمام الى صفوف جيش الخليفة الجديد بعد ان رأوا أنه ليس فى أستطاعتهم قتال أهل قرطبه أضافة الى نضوب أموال عبد الرحمن .

ثم واصل عبد الرحمن بن المنصور سيره فوصل أرملاط حيث كان يوجد حرمه بقصرها . (١)

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ،جـ ٣ ،ص ٤٩- ٥٠

فبعث اليه الخليفة محمد بن هشام يؤمنه على نفسه وحرمه وأمواله على أن يدخل في طاعته . ولكن عبد الرحمن لم يقبل تلك الدعوة فمكث في قصره بأرملاط مع حرمه (١) وقد غلب عليه الخوف . فأخذ يصرخ في قومه خوفا من القبض عليه وكان معه ابن غومس القومسي (٢) ، وبعض أصاغر خدمه (٣) . فلما رأى ابن غومس اضطراب عبد الرحمن بن المنصور ، نصحه بالهرب لينجو من سيف محمد بن هشام وشرح له أسباب ذلك ، فأجابه عبد الرحمن : " انا على علم من اني اذا ظهرت لأهل قرطبة لا يبقى أحد على ابن عبد الجبار" فقال له ابن قومس : " مكني خلاص نفسي ، فدونك ما شئت" . وكان ممن دعاه الى مبايعته لقتال محمد بن هشام وأنصاره ابن يعلى الزناتي الذي قلده في هذه الغزوة خطة الوزارة والحشم ، وقال له : " أصدقني عن نفسك وعن قومك فلا رأى للمكذوب " فأجابه ابن يعلى : نعم لا تغتر فليس يقاتل عنك أحد من زناته والناس تبع لهم . فغضب عبد الرحمن من كلامه ، وقال له : وما الدليل على قومك . قال ابن يعلى : تأمرهم بتقديم مابخك الى طريق طليطلة ، وتظهر الرحيل فتعلم من يتبعك ومن يتخلف عنك . فقال له عبد الرحمن صدقت ، ولم يفعل ذلك (٤) .

وكان عبد الرحمن بن المنصور أثناء مكوثه في قلعة رباح قد خلع نفسه من ولاية العهد وتبرأ منها ، حيث أعلن أقتصاره على الحجاب

(١) : خالد الصوفي : تاريخ العرب في اسبانيا ، ص ٩- ١٠
(٢) : ابن غومس القومسي ، هو كبير من زعماء النصارى المقربين اليه بقرب أمه من عمومة الملك ، وكان قد صحب عبد الرحمن يريد قرطبة معه ويطلب منه المساعدة على من يناوئه من القمامسة .
(٣) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٥٠
(٤) : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٩٧ - ٩٨

وذلك على نهج أبيه المنصور وأخيه عبد الملك . وبقي عبد الرحمن في أرملاط موءملا مقاومة محمد بن هشام بن عبد الجبار ، حيث أستنجد بأهل طليطلة والثغر لمساندته ، الاّ انهم لم يلبوا طلبه . وأما محمد بن هشام ابن عبد الجبار فقد بعث اليه قوة عسكرية لقتله بقيادة الحاجب بن ذرى مولى الحكم المستنصر (١) .

ولما رأى عبد الرحمن تخلي جنده عنه وعدم مساندة أهل الأندلس له شعر بالخوف ، فأخذ يودع أهله وقد انهكه البكاء ، ثم خرج مع ابن غومس وبعض غلمانه الى دير ليختبيء فيه وذلك خوفا من القبض عليه وقتله .

وفي صباح اليوم التالي ، وكان يوم الجمعة ، داهمه جند الخليفة محمد بن هشام بن عبد الجبار داخل الدير ، فلما أيقن بقرب هلاكه ، قال لهم : ما لكم عليّ من سبيل أنا في طاعة محمد بن هشام . فقبضوا عليه وعلى ابن غومس ، كما قبضوا على جوارى عبد الرحمن وعددهن نحو سبعين جارية أرسلن الى قرطبة ، ثم لحقهم الحاجب ابن ذرى ومن معه من جند محمد بن هشام عصر يوم الجمعه ، فقالوا لعبد الرحمن بن المنصور ، هذا الحاجب قريب منك . فنزل عبد الرحمن بن المنصور فقبل الأرض بين يدى الحاجب ابن ذرى . فقال له الجند قبل حافر دابته ، فقبله . ثم قال له الجند قبل يده - ورجله ، ففعل ذلك وابن غومس ساكت لا ينطق بشيء . ثم أشار

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦

الحاجب ابن ذرى الى بعض أصحابه بأنتزاع قلنسوة عبد الرحمن عن رأسه ، ففعلوا ذلك ،وأركبوا عبد الرحمن على بغل عارى الجثة مبطوحا على وجهه.(١) وساروا به قاصدين قرطبة . وغربت عليهم الشمس فى الوادى ، فطلب أحمد ابن عمر من الحاجب ابن ذرى ان يقفوا فيه لأداء الصلاة ، فأجابه الحاجب لذلك . وأمر بتكتيف عبد الرحمن بن المنصور ،فقال له عبد الرحمن . أين أمانكم ؟ فقال له أحد الجند كتفك لأن أمير المؤمنين أمر الا تحمل اليه الا مكتوفا . فلما كتفوه من يديه ،طلب منهم ان ينفسوا عليه قليلا ،فأجابوه وايضا طلب منهم اطلاق يده ليستريح ساعة ، فأجابوه ،وأخرج سكينا لامعا ، فلف يده لفا شديدا فسقط السكين من يده . فلما رأى الحاجب ابن ذرى السكين ، أمر بقتله . فقام عمر بن أحمد وضرب عبد الرحمن بن المنصور بالسيف على عنقه ،فلم يبر أ رأسه ،فضربه الحاجب ابن ذرى ضربة أخرى فلم يخرج رأسه ، فما كان من عمر بن أحمد الا ان ذبحه ذبحا . وقتلوا أبن غومس من بعده . وحمل رأس عبد الرحمن بن المنصور الى محمد بن هشام ابن عبد الجبار فى تلك الليلة مع رأس ابن غومس ، وحمل جسده على بغل ، فأمر محمد بن هشام بن عبد الجبار بشق بطن عبد الرحمن بن المنصور ونزع ما فيه ،وحشوه بعقاقير تحفظه ، وركب رأسه على جسده والبسوه قميضا وسراويل ،فأخرج وسمر على خشبة طويلة على باب السدة ،ونصب رأس بن غومس بجانب جثة عبد الرحمن بن المنصور ،وأمر محمد بن هشام بن عبد الجبار

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ،ص ٧١ - ٧٢

ابن رسان صاحب شرطة عبد الرحمن بن المنصور والذى كان ينادى فى عسكره هذا أمير المؤمنين المأمون يأمركم بكذا ، ان ينادى عليه هذا شنجول الملعون ، وان يلعن ابن رسان نفسه ،ففعل ذلك (١) .

وبمقتل عبد الرحمن بن المنصور فى الثالث من شهر رجب سنة ٣٩٩ هـ / ٣ مارس سنة ١٠٠٩ م سقطت الدولة العامرية فى الأندلس . وكان السبب الرئيسى فى سقوطها هو خروج عبد الرحمن بن المنصور عن نهج أبيه وأخيه بالنسبة للخلافة ،حيث تعدى هو ذلك الى أخذ البيعة له بولاية العهد والخلافة فى الأندلس من بعد الخليفة هشام المؤيد بالله الأمر الذى جعل أصحاب البيت المروانى ينكرون عليه ذلك ويستعدون لخوض معركة لأسقاطه . أضافة الى ذلك سوء تدبيره لشئون الدولة ،وأسرافه فى اللهو والمجون ،مما جعل الناس يهجون سوء تصرفه ،كما طعن بعض الناس فى دينه ، وكذلك حز على المضريين ان تؤول الخلافة الى اليمنيين فى شخص عبد الرحمن بن المنصور ، فناصروا الأمويين فى أسترداد خلافتهم ، الأمر الذى أدى الى قيام الثورة عليه وقتله وزوال الدولة العامرية فى عهده ، والتى أقامها أبوه المنصور بن أبى عامر ،وقادها خير قيادة ومن بعده أبنه عبد الملك (٢) .

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٣ ،ص ٧٢ - ٧٣
-DOZY:Op.cit.,PP.540-548

(٢) : انظر ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،ق ٢ ،ص ٩٧ - ٩٨
ـ ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ،جـ ١ ،ص ٢١٣
ـ عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ،ص ٦٣٧
ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ،ص ٣٤٥

وبعد سقوط الدولة العامرية تفككت وحدة الأندلس ، وذلك بسبب ظهور خلفاء أمويين ضعاف ليسوا مؤهلين لإدارة البلاد ، فأخذ الولاة في الأقاليم يستقلون بأقاليمهم عن السلطة المركزية في قرطبة ، وبذلك أنفتح باب الفتنة التي أدت الى سقوط الخلافة الأموية وقيام ملوك الطوائف (١) .

---

(١) : عنان : المرجع السابق ،ص ٦٥٨

- عبد الرحمن الحجي : أندلسيات ، ص ١١٤

- أبراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا ،ص ٣٥٠ - ٣٥١ ، ٣٥٧

البـــــاب الثالـــث

العلاقات الخارجيه للأندلس في عهد المنصور وفي عهد ولديه عبد الملك وعبد الرحمن

ـــ العلاقـات بين الأندلس والمغـــرب الأقصـــى .

ـــ العلاقـات بين الأندلس والممالك الأسبانية النصرانيـــة .

العلاقات بين الأندلس والمغرب الأقصى

نظرة عامة على علاقات الأندلس بالمغرب قبل عهد المنصور :-

بدأت الأندلس فى الاهتمام بشئون المغرب الأقصى على عهد عبد الرحمن الناصر ، فرغم أنشغاله بغزو النصارى المسيحيين وأخماد الحركات الثورية فى الأندلس، فانه أعطى عناية خاصة بالمغرب ، وذلك لمقاومة الدعوة الفاطمية التى أجتاحت شمالى أفريقية ، وأمتدت الى عدوة المغرب والى سبته ، وأخذت تهدد شواطئ الأندلس . وكانت الدعوة الفاطمية تنطوى بالنسبة للأندلس على خطر مزدوج دينى وسياسى معا . فمنذ أول الخلفاء الفاطميين وجيوش الفاطميين تتردد من قواعدها فى تونس نحو المغرب الأوسط والأقصى ومصر غازية . وكان أجتياحها السريع للمغرب يثير جزع حكومة الأمويين فى قرطبة ، اذ ان عدوة المغرب تعتبر دائما قاعدة لغزو الأندلس وفى نفس الوقت خط دفاعها الأول . كذلك كان ثوار الأندلس يتوجهون بأبصارهم الى العدوة المغربية ويفاوضون الفاطميين ويتآمرون معهم على حكومة الأندلس ، فكان لازما على عبد الرحمن الناصر ان يداهم هذا الخطر الجديد على وجه التخصيص فى المغرب الأقصى قبل استفحاله ويصبح خطرا على الأمويين وعلى دولتهم فى الأندلس . ولذلك سير فى سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م نحو ثغر سبته اسطولا يتكون من مائة وعشرين سفينة ، وسبعة آلاف رجل ، فضلا عما انضم اليهم من وجوه المرية فى مراكبهم وخرج هذا الأسطول من الجزيرة

تحت قيادة أميرى البحر أحمد بن محمد بن الياس ،وسعيد بن يونس ،وأستولى على مدينة سبته من يد ولاتها البربر بنى عصام حلفاء الفاطميين (١) .

كما حاصر الأسطول الأندلسى طنجة وأنتهى أمرها بأستسلام صاحبها أبى العيش الحسنى الأدريسى (٢) ، وتسليمها للأندلسيين ، وبذلك أكتملت سيطرة الجيش الأندلسى على رأس العدوة المغربية . وأدى ذلك الى ان بادر زعماء البربر من الأدارسة وزناتة الى طاعة عبد الرحمن الناصر ومهادنته والى أمتداد دعوة الأمويين الى فاس والى مكناسة الذى بعث أميرها موسى بن أبى عافية الى عبد الرحمن الناصر يطلب الدخول فى طاعته ، فأجابه الى ذلك ،وأمده بالأموال والهدايا ،وهكذا أقام موسى بن أبى العافيه دعوة الأمويين فى المغرب الأقصى الأمر الذى أدى الى بسط سلطان الأمويين على هذه البلاد (٣) .

وقد تمكن موسى بن أبى العافية من ان يهزم جيشا أرسله الخليفة الفاطمى عبيد الله فى سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م لغزو المغرب الأقصى والقضاء على دعوة عبد الرحمن الناصر به . وفى سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م بعث عبد الرحمن الناصر الى شواطىء العدوة المغربية أسطولا يتكون من

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٤٢٥
ـ أحمد العبادى : سياسة الفاطميين فى المغرب والأندلس ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ،المجلد الخامس، العدد ١ ، ٢ ،ص ٢١٥

(٢) : عن حروب عبد الرحمن الناصر مع قبائل البربر الموالين للفاطميين ، انظر (ابن عذارى ،جـ ٢ ،ص ٢١٦، ٢١٨ - ٢٢٣) .

(٣) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ١ ،ص ١٩٩
ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ،جـ ٢ ،ص ٥٠٤

أربعين سفينة بقيادة أمير البحر عبد الملك بن أبي حمامة ، فسار الى سبتة وتقدم الى مليلة فانتزعها هي وبعض المدن المغربية من الفاطميين وأجبرهم على ترك المدن التي كانت بأيديهم . وقد كرر الأسطول الأندلسي على عهد عبد الرحمن الناصر دخوله المغرب الأقصى مرارا لمحاربة الفاطميين وحلفائهم من الأدارسة وغيرهم من أمراء البربر ، مما أضطر الأدارسة في سنة ٣٣٢ هـ الى طلب الصلح من عبد الرحمن الناصر والدخول في طاعته ، وبذلك أستقرت الدعوة على منابر المغرب لعبد الرحمن الناصر طوال بقية خلافته (١) .

وفي سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥م ، أي في عهد المعز لدين الله الفاطمي هاجمت بعض السفن الفاطمية ثغر المرية الأندلسي ، وأحرقت أكثر سفنه ، فرد عبد الرحمن الناصر على ذلك الهجوم بأن أرسل قوة بحرية تحت قيادة أمير البحر غالب الى شواطئ تونس ، فعاث فيها . وفي نفس الوقت أمر عبد الرحمن الناصر بلعن الخلفاء الفاطميين على منابر الأندلس . وكان عبد الرحمن يراقب تحركات الفاطميين في المغرب الأقصى ، ويقوم بأرسال المزيد من الأساطيل البحرية الأندلسية الى هناك حتى تمكن أخيرا من أخراج الفاطميين من المغرب الأقصى (٢) .

ويصور لنا ابن حيان تقدير الناصر لأهمية عدوة المغرب في الدفاع عن الأندلس ، ومقاومة الدعوة الفاطمية بقوله : " استوى للناصر لدين الله من الطائفتين أولياء أقاموا بدعوته ، ورفعوا فوق أعلامه ، وعاطوا ضطهدا ، عبيد الله الشيعي صاحب أفريقيه بدعوته ، وقلبوا مجانهم

(١) : السلاوي : الأستقصا ، جـ ١ ، ص ١٨٥- ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨
— عنان : المرجع السابق ، ص ٤٢٦
(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٢٠
— ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ، ٣٠٤

اليه ،ونصبوا الحرب لرجاله ، فكفكفوهم عن الأيغال فى بلدتهم من قاصية المغرب ، يهطنونهم بالكيد والمكر ،فتمكنت بذلك خدم الناصر لدين الله ،فيما حازه من مدينة سبته والقطعة التى استضمها اليها من أرض العدوة ،وأجتذب من أجله كثيرا من فرسان البربر وحماة رجالهم الى حضرته ، استعان بهم فى حروبه ،وتمكن من ارتياد عتاق الخيل بوادى البربر ، فمتنت بذلك أسباب ملكه ،وجل مقداره وبعد صيته ،وهابته ملوك الأمم حوله" (١) .

وفى عهد الخليفة الحكم المستنصر استمر نفوذ الأمويين فى المغرب الأقصى . وكان الأدارسة فى آواخر عهد عبد الرحمن الناصر قد عادوا وخرجوا عليه لما رأوه من تقليص نفوذهم فى المغرب . فقد خرج عليه أميرهم الحسن بن كنون ،الذى أتخذ من قلعة حجر النسر قاعدة لأمارته وعاد الى الدعوة للفاطميين ، ولكن ما لبث ان خشى سطوة عبد الرحمن الناصر فعاد فى آواخر سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠م الى طاعة الأمويين والدعاء لهم فى المغرب . ولما توفى عبد الرحمن الناصر أعلن الحسن بن كنون ولاءه لأبنه الحكم المستنصر ،ولم يكن ذلك منه سوى مصانعة للأمويين ،اذ كان الأدارسة يبغضون بنى أمية ، ويترقبون فرص الخروج عليهم ،اذ لم تكن طاعتهم لهم الا خوفا من بطشهم (٢) .

وفى أوائل سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١م سار بلكين بن زيرى الصنهاجى الموالى للفاطميين ودعوتهم الى المغرب الأقصى ليعيد سلطان الفاطميين هناك فانضم اليه زيرى عامل الخليفة المعز على المغرب الأقصى . فلما سمع الحكم

---

(١) : عنان : المرجع السابق ،ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ (نقلا عن ابن حيان) .

(٢) : السلاوى : الأستقصا ،جـ ١ ،ص ٢٠٠
— عنان : نفس المرجع ، ص ٤٩٢

المستنصر بذلك أمد قبائل زناته الموالية لدعوة الأمويين فى المغرب بالسلاح والمال والرجال ، فأجتمعت قوات كبيرة من بنى خزر الزناتية وأنضم اليها القائد ان يحيى وجعفر أبناء على بن حمدون المعروفبالأندلسى ، ودارت بين الموالين للأمويين والموالين للفاطميين معارك عنيفة فى وادى ملوية عند مشارف المغرب الأقصى ، وهى المعارك التى أنهزم فيها أتباع الفاطميين وقتل معظمهم ،ومن بينهم زيرى عامل الفاطميين الذى أرسل رأسه مع رؤوس عدد من أصحابه الى الحكم المستنصر فى الأندلس (١) .

وقام الفاطميون بعد ذلك بأرسال المزيد من الحملات على المغرب الاقصى ،وقام الحكم المستنصر من جانبه بأرسال جيش كبير لمقاتلة الحسن بن كنون الأدريسى ،فوصل الجيش سبته فى شوال سنة ٣٦١هـ / يوليه سنة ٩٧٢ م ووقعت الحرب بينه وبين قوات الحسن بن كنون ،وهى التى أنهزم فيها الحسن بن كنون وفر هاربا . وفى السنة التاليه جمع الحسن ابن كنون فلول قومه وحارب الأمويين فى المغرب الأقصى مرة أخرى فى مكان يعرف بفحص مهران وتمكن من الأنتصار عليهم (٢) . ورد الحكم المستنصر على ذلك بأن جهز جيشا بقيادة كبير قواده غالب بن عبد الرحمن الناصرى لطرد الأدارسة من المغرب وقتل الحسن بن كنون . فوصل غالب المغربفى رمضان سنة ٣٦٢ هـ ،ولما علم الحسن بن كنون بقدوم هذا الجيش الأندلسى هرب الى قلعة حجر النسر فتبعه القائد غالب وفرض الحصار عليها ،وفى نفس

---

(١) : أحمد العبادى : فى تاريخ المغربوالأندلس ،ص ٢٣٠ - ٢٣١
— عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٤٩٣
(٢) : عنان : نفس المرجع ،ص ٤٩٥

الوقت عين الحكم المستنصر محمد بن أبي عامر قاضيا للعدوة المغربية وبعث معه الأموال لتوزيعها على أكابر البربر . كما واصل الحكم المستنصر أمداد القائد غالب بالرجال والعتاد الأمر الذى مكنه من أيقاع الهزيمة بالحسن بن كنون وأستيلائه على مدن الأدارسة . وهكذا أنتهى أمر الحسن ابن كنون بأن طلب الأمان من الحكم المستنصر ،وكان ذلك فى شهر جمادى الثانية سنة ٣٦٣ هـ (١) .

وفى أوائل محرم سنة ٣٦٤ هـ وصل القائد غالب الى قرطبة وفى صحبته الحسن بن كنون وأشراف الأدارسة ، وقد أعطاهم الحكم المستنصر الأمان ، وأسكنهم قرطبة . الاّ انه فى السنة التالية أراد الخلاص من الحسن بن كنون وبقية أشراف الأدارسة ،فسمح للحسن بن كنون بالسفر الى تونس ،ومن هناك ذهب الحسن بن كنون الى مصر حيث نزل فى كنف خليفتها الفاطمى العزيز بالله (٢) .

العلاقات بين الأندلس والمغرب فى عهد المنصور :-

كانت العلاقات بين المغرب والأندلس فى عهد الأمويين ،وكذلك فى عهد المنصور بن أبي عامر وأبنه عبد الملك ،علاقات مد وجزر . وكانت العدوة المغربية تشكل بالنسبه للأندلس الشريان العسكرى ،والتى يستمد منها الأندلس أعدادا وافرة فى الجيش ساعدت الأمويين على أستقرار ملكهم على الأندلس وفى

---

(١) : أحمد العبادى : المرجع السابق ،ص ٢٣٣
— عنان : المرجع السابق ، ص ٤٩٧ ، ٤٩٩
(٢) : السلاوى : الأستقصا ،جـ ١ ،ص ٢٠١

حروبهم ضد الممالك المسيحية فى الشمال الأسبانى المتاخم لحدود المسلمين فى الاندلس . وقد قدم جيش العدوة المغربية خدمات جليلة وتضحيات جمة للأندلسيين فى ساحات القتال . وكان الأمويون ومن بعدهم العامريون يعطون المغرب الأقصى اهتمامهم الكبير وذلك لأن موقعه الجغرافى جعله الحد الفاصل بين الأمويين ومن بعدهم العامريين فى الاندلس وبين الفاطميين فى مصر ، اضافة الى حرص الأمويين والعامريين على السيطرة على المغرب الاقصى وذلك لاختلاف المذهب مع الفاطميين ، ولان المغرب الاقصى كان بالنسبة لهم بمثابة خط دفاعهم الامامى ضد الخطر الفاطمى فى بلاد المغرب .(١)

لذلك حرص الأمويون على وجودهم فى المغرب الأقصى للقضاء على نفوذ الفاطميين فى العدوة المغربية ، فتحالفوا مع بنى خزر وغيرهم من امراء زناته ، وكان قد حالفهم الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ثم الحكم المستنصر ، الذى استقدم يحيى بن على بن حمدون مع عدد كبير من امراء زناته فى سنة ٣٦٠ هـ ، وقد أحسن الحكم المستنصر استقبالهم ، وكان فى مقدمة المستقبلين محمد بن ابى عامر الذى كان يشغل منصب صاحب الشرطة للحكم المستنصر فى ذلك الوقت .(٢)

ولما استبد المنصور بن ابى عامر بالسلطة دون الخليفة هشام اتبع نفس هذه السياسة ، فواصل حروبه فى العدوة المغربية للاحتفاظ

---

(١) : جواد المرابط : عبر وعبرات من دمشق الاندلس ، ص ٧٣ - ٧٤

(٢) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ، ص ٣٢٥ - ٣٢٦
ـ عنان : المرجع السابق ، ص ٤٩٣

بهـــا . وقـــد نجح فـــى ذلك نجاحـــا طيبـــا ،اذ تمكـــن من توسيـــع رقعـــــة حكمـــه فـــى المغـــرب فاستولـــى علـــى المدن الهامـــة فيهـــا والتى لم يكن الأمويـــون من قبلـــه قـــد بلغوهـــا . فدخلت فـــى طاعته كل بلاد المغـــرب الممتدة الى سجلماسة (تافيلات) جنوبـــا سنة ٣٧٠ هـ ،ثـــم الـــى ولايتى تلمســـان وتاهـــرت شرقـــا سنة ٣٨١ هـ . وقـــد عبر صاحب كتـــاب مفاخـــر البربـــر عن سياســـة المنصـــور بـــن أبـــى عامـــر فـــى المغـــرب بقولـــه : " اقتصـــر محمد بن أبـــى عامـــر لأول قيامـــه علـــى ضبط مدينة سبته ومـــا والاهـــا بجند السلطـــان الأندلســـى ،وقلد هـــــــا كبـــار رجالـــه من أصحـــاب السيوف والأقـــلام علـــى حسب الحاجـــة الى تغيير طبقاتهم . وعول فـــى ضبط ما وراء ذلك علـــى ملوك زناتـــه ،ومنحهـــم الجوائـــز والخلـــع ،وأكـــرم وفودهـــم ببابـــه ،وأثبت من رغب منهـــم الاثبـــات فـــى ديوانـــه ،فأحبوا محمـــدا وجـــدوا فـــى المحامـــاة عن الدولـــة " (١) .

ففى بدايـــة عهـــد المنصـــور بن أبـــى عامـــر بالحجابـــة فى الأندلـــس زحـــف خزرون بن فلفول ،أحـــد زعمـــاء زناتة الموالين لبنى أمية فى المغـــرب الى مدينة سجلماســـة فـــى شعبان سنة ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م ،وكانت هـــذه المدينة قد عادت الـــى أيدى الخوارج الأباضيـــة بعـــد فتح جوهـــر الصقلـــى قائد الفاطميين لهـــا ،وأشـــره لمحمـــد ابن الفتح صاحبهـــا الخارجـــى . فقد قـــام رجـــل منهـــم وتسمى بالمعز بالله سنـــة ٣٥٢ هـ ،ولم يـــزل يحكمهـــا الـــى ان خرج عليـــه خزرون بن فلفـــول ،وهـــزم جيشـــه وقتلـــه وأستولـــى علـــى سجلماســـة سنـــة ٣٧٦ هـ ،ثـــم أقـــام خـــزرون الدعـــوة فيهـــا للخليفـــة هشـــام المؤيد باللـــه ،وكانت هـــذه أول دعـــوة قامـــت

---

(١) : أحمد العبادى : فـــى تاريخ المغرب والأندلس ،ص ٢٥٠ - ٢٥١
(نقلا عن كتاب مفاخـــر البربـــر) .

للأمويين بذلك الصقع الجنوبي من المغرب ، كما قام خزرون ببعث رأس المعز باللثمه مع كتاب الفتح الى الخليفة هشام المؤيد في قرطبة حيث نصب رأسه هناك بباب السدة . ثم عين خزرون حاكما على سلجماسة من قبل المنصور ابن أبي عامر الذي ينسب اليه فضل هذه الانتصارات التي حققها خزرون . ولما مات خزرون أمر المنصور بن أبي عامر بتعيين أبنه وانودين خلفا له على سلجماسة وقد استمر وانودين في حكم سلجماسة الى ان قضى على دولة بني خزرون . (١)

وعلى الرغم من نجاح المنصور في تثبيت نفوذه في العدوة المغربية ، الا انه قد قامت هناك عدة ثورات معارضه لهذا النفوذ الاندلسي . وكان على المنصور ان يرسل العديد من القوات لاخمادها ، لدرجة انه جعل مدينة الجزيرة الخضراء الواقعة في جنوب الاندلس ، والقريبة من الحدود المغربية قاعدة عسكرية يشرف منها على العمليات الحربية في العدوة المغربية . كما أمر ان تبنى القصور والمنازل في طريقه اليها ، وذلك على غرار ما قام به في الطرق المؤدية الى الثغور الاندلسية شمالا والمتاخمة لحدود الممالك النصرانية المسيحية (٢)

حروب المنصور بن أبي عامر مع بلكين الصنهاجي :-

حينما تربع المنصور بن أبي عامر على حكم الاندلس ، كانت الدولة الفاطمية قد أعطت أكبر أهتمامها نحو الشرق وذلك لملاحقة القرامطه والتصدي للخطر البيزنطي في الشام الذي مالبث ان زال بعد هزيمتهم

---

(١) : أحمد العبادي : المرجع السابق ، ص ٢٥١ - ٢٥٢

(٢) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ، ص ٣٤٦

— علي أدهم : منصور الاندلس ، ص ٨٥

سنة ٣٦٨ هـ . ومع ذلك لم يحول الفاطميون أنظارهم كليا عن المغرب الذى كان فيه نجاح دعوتهم وقيام دولتهم . فما ان كانوا يرون الفرصة تسنح لهم فى بلاد المغرب حتى كانوا يعودون الى تثبيت سيادتهم ونفوذهم هناك بواسطة أنصارهم والموالين لهم . ومن ذلك ان الخليفة العزيز بالله الفاطمى طلب من زعيم صنهاجة بلكين بن زيرى ان يتوجه من مصر الى المغرب الاقصى سنة ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م على رأس جيش كبير للقضاء على نفوذ الامويين هناك .(١)

فسار بلكين الى المغرب على رأس هذا الجيش ،وأستولى على مدينة فاس ، وقتل عاملها محمد بن على بن قشوش صاحب عدوة القرويين والذى كان قد عين على فاس من قبل الحكم المستنصر سنة ٣٦٣ هـ . وقام أيضا بقتل عبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الاندلس ، وولى مدينة فاس محمد بن عامر المكناسى . وبعد سيطرة بلكين على مدينة فاس خافت منه أمراء زناته من بنى خزر المغراويين ،وبنى محمد بن صالح اليفرنيين ، فما كان منهم الا ان أصبحوا من أنصاره ،وذهبوا معه الى سبته ، وبذلك أعاد بلكين السيادة الفاطمية على المغرب الاقصى . الا ان محمد بن الخير ،وهو من آل خزر الموالين للأمويين فى المغرب الاقصى اتجه الى الاندلس ،واستنجد بالمنصور بن أبى عامر ليساعده على بلكين .(٢) وكان المنصور يعطى أكبر أهتمامه فى ذلك الوقت للقيام بغزوات على الممالك النصرانية الواقعة على الحدود الشمالية للاندلس . وعند ما علم المنصور بأعادة السيادة الفاطمية فى المغرب الاقصى ، حول أنظاره وأهتمامه اليها فجهز أعدادا كبيرة من الجيش ،وجعل

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٤٤ - ٥٤٥

(٢) : السلاوى : الاستقصا ،جـ ١ ،ص ٢٠٧ .

الجزيرة الخضراء مركزا لعملياته العسكرية المتجهة الى المغرب ، فمنها انطلقت جيوشه الى المغرب . كما جعل المنصور الجزيرة الخضراء مركزا لمراقبة التحركات الثورية التي تقوم في المغرب الأقصى للتخلص من سيادته ونفوذه عليه (١) .

وشهدت الجزيرة الخضراء صراعات عنيفة قامت في المغرب الأقصى بين المنصور وبعض زعماء البربر هناك والموالين للسيادة الفاطمية ، الاّ ان المنصور استطاع ان يقلص من وجود الفاطميين هناك . فقام بأعداد جيش كبير ، وعهد الى جعفر بن علي بن حمدون المعروف بالاندلسي ، وهو أحد أمراء زناته بمحاربة بلكين الصنهاجي ، وأمده بأموال وفيرة لتوزيعها على زعماء زناتة الذين ينضمون معه في الحرب . فسار جعفر بن علي بن حمدون على رأس الجيش ، وأجتاز البحر ، فوصل الى سبته (٢) ، وانضمت اليه أعداد كبيرة من أمراء زناته (٣) . وجاء بلكين الصنهاجي وصعد الى جبل تطوان ، فنظر الى عساكر زناته وأهل الاندلس بساحة سبته ، فدهش من كثرة عددهم ، وقال : " هذه أفعى فغرت الينا فاها " ، فما كان منه الاّ ان هرب الى وطنه خوفا من ملاقاة جيش المنصور (٤) .

---

(١) : ابراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ٣٤٦

(٢) : مدينة سبته : تقع على هضبة البحر الرومي وهو بحر الزقاق من البحر المحيط ، ويحيطها سور عظيم من الصخر ، ويشرف عليها جبل منيف : انظر البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ـ القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٥٧ - ١٥٨

(٣) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٤٥

(٤) : أحمد العبادي : المرجع السابق ، ص ٢٥٢

حروب المنصور بن أبي عامر مع الحسن بن كنون الأدريسي ومقتله :-

بعد ان أخرج الخليفة الحكم المستنصر الحسن بن كنون من قرطبة وذلك للخلاص من نفقاته ، ذهب الى مصر سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م وبقي فيها ،غير ان الخليفة الفاطمي أراد بدوره الخلاص من نفقات الحسن بن كنون فشاور وزيره يعقوب بن كلس في أمر الحسن بن كنون والخلاص منه . وكان الحسن لديه الرغبه في العودة الى بلاده في المغرب الأقصى لأستعادة ملك أبائه الأدارسة هناك . فأيده الخليفة الفاطمي ووزيره في تحقيق رغبته ،وأقره على ولاية المغرب الأقصى ،وكتب الى بلكين الصنهاجي لمساعدة الحسن بن كنون ،وأمر بطرد الأمويين ودعوتهم من المغرب الأقصى. فسار الحسن بن كنون من مصر الى المغرب الأقصى في سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣ م في جيش صغير ،والتقى ببلكين الصنهاجي الذى أمده بالجند والمال ، والتف حوله عدد كبير من البربر . وعلى الرغم من قوة سلطة الأمويين في المغرب الأقصى الاّ ان الحسن نجح في نشر دعوته لأستعادة ملك الأدارسة . وفي تلك الاثناء مات بلكين الساعد الأيمن للحسن بن كنون وخلفه ابنه المنصور بن بلكين الذى ترك الحسن بدون مساعدة ، فأنفض عنه أكثر من كان قد التحق به (١).

ولما سمع المنصور بن أبي عامر خبر دخول الحسن بن كنون الى المغرب الأقصى جهز جيشا بقيادة ابن عمه الوزير أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن

---

(١) : مؤرخ مجهول : نبذه تاريخيه في أخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ،ص ١٩
- ابراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا ،ص ٣٤٦

أبـي عامـر المعـروف بعسقلاجـه لمحاربتـه ، وخـرج المنصـور معه الى الجزيـرة الخضـراء في شهـر ربيع الأول سنة ٣٧٥ هـ ،وقـد سـار مع عسقلاجـه محمد بن أحمـد بن جابـر الذى زوده المنصـور بالأموال لصرفهـا عند الحاجـه ،وأيضـا صهـره الوزيـر عبد الرحمـن محمد التجيبى وغيره من كبار قواد الجيش الأندلسى . كما انضم الـى عسقلاجـه زعمـاء مغراوة وفـى مقدمتهـم زيرى بن عطيـه بن خزر (١) .

كمـا أمـد المنصـور ابن عمـه عسقلاجـه بجيش آخـر تحت قيـادة أبنـه عبد الملك الذى كان سنة آنذاك أثنتي عشـرة سنة . فمـا كان من الحسـن بن كنون الاّ أن لجأ لحيلتـه الأولـى ،فطلب الأمـان من عسقلاجـه الذى أجا بـه الى طلبـه ، وبعثـه الـى قرطبـة تحت حراسـة مشـددة . وكـان المنصـور بن أبـي عامـر قـد رأى انه لا ذمـة لحسـن بن كنـون مع كثرة نكثـه وسعيـه بالفسـاد ضد الدولـة ، فبعث من يثـق فيـه لأستقبالـه ،وقتلـه ، فأستقبلـوه بالقـرب من بريد الثنية ، فخرجـوا بـه عن الطريق المعد لـه ،وضربوا عنقـه ،فقتـل وحمـل رأسـه الى المنصور ابن أبـي عامـر (٢) . وكان مقتلـه في شهـر جمادى الأولـى سنة ٣٧٥هـ / آخـر سنة ٩٨٥م ،وبذلك زالت دولـة الأدارسـة من المغـرب الأقصـى ودان لسلطـان المنصـور بن أبـي عامـر (٣) . وهـذه المحاولـة من جانب الفاطميين لأستعادة نفوذهـم في المغـرب الأقصـى بالتعاون مع الأدارسـة والزعمـاء المحليين كانت آخر العهـد بسيادتهـم هناك ،ولو فـي صورة رمزيـة ،حيث انـه بعد فترة من الزمن ما لبثت الحركات

---

(١) : مؤرخ مجهول : نفس المصدر ،ص ٢٠
ـ أحمد العبادى : مقال بعنوان : سياسة الفاطميين في المغرب والأندلس ، مجلة معهد الدراسات الأسلامية في مدريد ،المجلد الخامس

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢٨١ . العدد ١، ٢ ،ص ٢١٤
-DOZY:Op.cit.,PP.501-502

(٣) : السلاوى : الأستقصا ،جـ ١ ،ص ٢٠٣ - ٢٠٤
ـ عنان : المرجع السابق ،ص ٥٤٥

الاقليمية في المغرب ان أتخذت طابعا أستقلاليا ، يدفعها الوقوف في وجه التيارين المتنافسين الاموي والفاطمي (١) .

وقد أثار مقتل الحسن بن كنون الادريسي استياء الادارسة العلويين وغضبهم على المنصور بن أبي عامر ، فأخذوا يهجونه في أشعارهم ومما قيل في ذلك قول شاعرهم ابراهيم بن أدريس الحسني :

فيما أرى عجب لمن يتعجب ... جلت مصيبتنا وضاق المذهب

انى لأكذب مقلتي فيما أرى ... حتى أقول غلطت فيما أحسب

أيكون حيا من أمية واحد ... ويسوس ضخم الملك هذا الأحدب (٢)

تمشي عساكرهم حوالي هودج ... وأعواده فيهن قرد أشهب

أبني أمية أين أقمار الدجى ... منكم ومالوجههـا لا تتغيب (٣)

وقد عاد عسقلاجه الى الاندلس بعد ان أستدعاه المنصور بن أبي عامر ، ثم عين المنصور على المغرب الاقصى الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي في سنة ٣٧٦ هـ ، وأوصاه بمغراوة ، ولا سيما مقاتل وزيري أبناء عطية ، وذلك لاخلاصهم للدعوة الاموية في المغرب . فنزل الوزير حسن بن أحمد ابن عبد الودود السلمي بمدينة فاس (٤) ، وقام بضبط المغرب ، وحسنت أدارته فيه (٥) .

---

(١) : ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨١
— ابراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ٣٤٧

(٢) : يبدو ان المنصور بن أبي عامر كان أحدبا بدليل ان صهره القائد غالب بن عبد الرحمن قائد الثغر الاعلى كان يسميه بالاحدب .

(٣) : أحمد العبادي في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٥٣

(٤) : مدينة فاس بالمغرب الاقصى واقعة في الاقليم الثالث من الاقاليم السبعة ، وهي مدينتان مقترنتان بسورين بينهما نهر وعدوة القرويين . انظر : البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيه والمغرب ، ص ١١٥ - القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ١٥٢

(٥) : السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٥٠٨

علاقة المنصور بن أبي عامر مع أبي البهار الصنهاجي :-

كان أبو البهار بن زيرى الصنهاجي قد خالف ابن أخيه منصور بن بلكين بن زيرى الصنهاجي أمير أفريقية ، فمال أبو البهار الى دعوة الأمويين تحت قيادة المنصور بن أبي عامر ، واستولى على المهدية ، وتونس ، وشلشال وتلمسان ، ووهران وشلف ، ومعظم بلاد الزاب ، وخطب فيها للخليفة هشام المؤيد بالله ولحاجبه المنصور بن أبي عامر . ثم بعث ببيعته الى المنصور في سنة ٣٧٧ هـ ، فولاه المنصور على ما تحت يده من المدن المغربية ، وبعث اليه أربعين الف دينار . فلما قبض أبو البهار هدية المنصور بن أبي عامر ، استمر على دعوته لمدة شهرين ، ثم عاد الى دعوة الفاطميين . ولما بلغ خبره الى المنصور كتب الى زيرى بن عطية زعيم مغراوة الموالين له في المغرب يحثه على محاربة أبي البهار والاستيلاء على ما بيده من البلاد ، فسار اليه زيرى بجيشه من قبائل زناته ، فهرب أبو البهار من أمام زيرى ولحق بابن أخيه المنصور بن بلكين ، وترك لزيرى البلاد ، وبذلك ملك زيرى بن عطية تلمسان وسائر بلاد أبي البهار ، وتوسع سلطانه من السوس الأقصى الى الزاب ، وكتب بذلك الفتح الى المنصور بن أبي عامر الذى استبشر بذلك ، وكتب الى زيرى بالدخول الى الأندلس ، فحضر زيرى الى قرطبة واحتفى المنصور ابن أبي عامر بمقدمه وأظهر له العطف والتكريم (١) ، ثم أوعز اليه المنصور بمقاتلة بني يفرن الموالين للسيادة الفاطمية ، فلما عاد زيرى الى المغرب ، سار مع الوزير الحسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي حاكم المغرب الى

---

(١) : السلاوى : الأستقصا ، جـ ١ ، ص ٢١٠
ـــ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦٤٥

قتال بنى يفرن وزعيمهم يدو بن يعلى ، ولكنه هزم وأما الوزير الحسن ابن أحمد السلمى فقد جرح ثم مالبث ان توفى متأثرا بجراحه سنة ٣٨١هـ (١) .

علاقة المنصور بن أبى عامر مع زيرى بن عطية زعيم مغراوة :-

وعند ما علم المنصور بن أبى عامر بموت الوزير حسن بن أحمد ابن عبد الودود السلمى حاكم المغرب ، عقد لزيرى بن عطية على المغرب وندبه لحكمه ، وأمره بضبط الأمور فيه بالتعاون مع جيش المنصور المقيم هناك ، فاضطلع زيرى بمهام الحكم فى المغرب بمقدرة وكفاية (٢) . فاتخذ زيرى مدينة فاس مقرا له ، وقام بالدعوة للخليفة هشام المؤيد بالله ولحاجبه المنصور بن أبى عامر . وكان زيرى هذا زعيم مغراوة أحد فروع زناته التى هى أهم القوى السياسية التى أعتمد عليها المنصور ابن أبى عامر فى المغرب ، ورغم جنوح فروع منها بين الحين والآخر ، الا انها ظلت فى صف واحد تناصر دعوة الأمويين فى المغرب والممثلة فى شخص المنصور بن أبى عامر (٣) . ويقول ابن الخطيب فى تفسير علاقة الزناتيين بالأمويين فى الأندلس : " كان لهؤلاء الملوك الزناتيين ذكر وشهرة وحروب تضمنتها كتب التاريخ ، وكان جدهم حربن حفص بن صولات بن وازمار مغراو مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان أتى به اليه من سبى أفريقية

---

(١) : عن مقتل الوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمى ، انظر ، مجهول : نبذة عن تاريخه عن أخبار البربر ، ص ٢٢ - ٢٣

(٢) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٥٤٦

(٣) : القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ١٨٥

فى أول فتحهـــا ، فأسلم علـى يده وحسن أسلامـه . فمن هـذه النسبه وهـذه الوسيلـة كان ميلهـم الـى بنى أميـة بالأندلس وتفرقهـم عـن اضداد هـم من بنى عبيد اللـــه العلويـة (١) .

وكان المنصور قد اعتمد ايضا فى تنظيـم جيشـه على هذه القبيلـة التى أمدتـه بأعداد وافرة من الرجال . وقد تمتع المغرب بالهدوء والأستقـرار زهـاء عشر سنوات (مـن ٣٧٦ هـ حـتى ٣٨٦ هـ) اذ كانت العلاقات بين المنصـور والزناتيين ودية وتتسـم بالتعاون ، كما نال زعيم الزناتيين زيرى بن عطية مكانـة رفيعـة لدى المنصـور بن أبى عامر. (٢)

وفى سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢م استدعـى المنصـور بن ابى عامر زيرى بن عطيـة للقدوم عليـه مرة ثانية ، فاستخلـف زيرى بن عطية علـى المغـرب ولده المعـز ، وسـار الى قرطبة . وقدم الى المنصـور ومعـه هدايا عظيمة (٣) . وأعجب المنصـور بتلك الهدايا ومنح زيرى لقب الوزارة وجدد لـه عهـده علـى المغـرب . ولكـن زيرى لم يبتهـج بلقب الوزارة ، بل علـى العكس ساءه ذلك ، حيث كان يعتبر نفسـه فى مرتبـة الأمـارة . ولذلك قال زيرى بعد عودتـه الـى المغـرب : " الآن علمت انك لـى " ويقصد بذلك بلاد المغـرب . فسـار الـى طنجـة وهنـاك أشـاع خبر استقلالـه بالمغرب ، حيث قال لبعض رجالـه يتوعـد المنصـور : " واللـــه لـو كـان بالأندلس رجـل مـا تركـه علـى حالـه ، وان لـه منا يومـا" ، وصـل المنصـور بن أبـى عامـر

---

(١) : ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ١٥٣

(٢) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨

(٣) : عن نوع وعدد تلك الهدايا ، انظر السلاوى : الأستقصا ، جـ ١ ، ص ٢١٠

خبر غضب زيرى عليه ، فتركه المنصور حيثان الوقت لم يكن مناسبا للتمرد عليه ، ومع ذلك لم يبدأ زيرى بأشهار معاداة المنصور لا سيما وان المنصور قد حقق له رغبته فتى حكم المغرب ، ومن ثم فقد استمرت العلاقات بين المنصور وزيرى بن عطية طيبة حتى عام ٣٨٦ هـ كما سنرى . (١)

ومنا كان زيرى بن عطية يصل الى طنجة بعد قدومه من الاندلس حتى علم بأن خصومه من بنى يفرن تحت قيادة زعيمهم يدو بن يعلى الذى انتهز فرصة غياب زيرى عن المغرب ، وزحف على فاس واستولى عليها فى شهر ذى القعدة عام ٣٨٢ هـ وقتل كثيرا من رجال مغراوة فى فاس . فجهز زيرى جيشا لملاقاة يدو بن يعلى ، وقامت بينهما معارك عديدة قتل فيها أناس كثير . وقد انتهت تلك المعارك بهزيمة يدو بن يعلى وقتله ، ثم أرسلت رأسه الى المنصور بن أبى عامر فى أوائل سنة ٣٨٣ هـ (٢) .

وأصبح زيرى بن عطية بعد هزيمته لبنى يفرن ولزعيمهم ، أعظم أمراء المغرب قوة وبأسا ، وعلى الرغم من انه استمر يتظاهر بولائه للمنصور بن أبى عامر وللدعوة الأموية فى المغرب ، الا انه كانت لديه نية الأستقلال بالمغرب . ولما كانت مدينة فاس بموقعها فى الطرف الغربى للمغرب ، وعلى مقربة من مواطن القبائل المعادية له ، فقد أصبحت لا تصلح لمشاريعه المستقبلية . لذلك انشأ لنفسه مدينة جديدة وهى مدينة وجده

---

(١) : السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٠ - ٢١١
ـ على أدهم : منصور الاندلس ، ص ١١٦ - ١١٧
(٢) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٤٦ - ٥٤٧

الواقعة جنوب شرقي مليلة ، وعلى مقربة من جنوب غربي تلمسان ، فقد شرع في بنائها سنة ٣٨٤ هـ وابتنى فيها قصبة منيعة وقصرا ، واحاطها بأسوار ضخمة ، ثم انتقل اليها بماله وسلاحه وجنده واتخذها مقرا لحكمه في سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م وذلك لموقعها المتوسط بين المغربين الأوسط والأقصى (١) .

ولما ادرك المنصور بن ابي عامر نوايا زيرى بن عطيه الاستقلالية بعث كاتبه عيسى بن سعيد اليحصبي الى المغرب في جيش ضخم ، وقلده النظر في شأن زيرى بن عطية . ولما وصل عيسى الى المغرب قام بعدة محاولات مع زيرى لتصفية خلافاته مع المنصور ، ولكنه لم يستطع تصفيتها نظرا لعدم موافقة زيرى على مصالحة المنصور ، فمكث عيسى في المغرب بقية سنة ٣٨٦ هـ (٢) .

تغيرت فجأة العلاقات الودية بين المنصور بن ابي عامر وزيرى بن عطية في سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م ، واعلن زيرى الثورة علنا على المنصور ، وذلك بسبب استبداده بالسلطة والنفوذ في الاندلس وحجره على الخليفة هشام المؤيد بالله . وكانت السيدة صبح ام هشام قد حرضت زيرى على المنصور لحجره ابنها هشام . وبعثت اليه الاموال ليتمكن من الدخول الى الاندلس بجيشه للاطاحة بالمنصور بن ابي عامر واعادة سلطات الخلافة لابنها هشام . وكان أول ما قام به زيرى ان طرد

---

(١) : القلقشندي : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٨٥ - ١٨٦
ـ احمد العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤

(٢) : مؤرخ مجهول : نبذة تاريخية في أخبار البربر منتخبة عن المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ، ص ٢٧ - ٢٨

عمال المنصور من المغرب ، ماعدا عماله على القواعد الأندلسية المطلة على المضيق ، مثل سبته ، ومليلة . ويذكر ان أسباب ثورة زيرى على المنصور ، هو ان زيرى استقل العطاء الذى كان يجريه عليه المنصور فى كل سنه . ومن تلك الأسباب ايضا ما سبق ان أشرنا اليه ، وهو ان زيرى احتقر لقب الوزارة الذى منحه اسه المنصور . فقام زيرى وجعل شعاره وصيحات جنده فى حروبه مع المنصور عبارة " هشام يامنصور" . بينما كان شعار جند المنصور ابن أبى عامر عبارة : " يامنصور" ، وهذا يوضح سبب ثورة زيرى بن عطية على المنصور . ومهما اختلفت الأسباب فى الخلاف بينهما ، الا ان زيرى كان يرغب فى قرارة نفسه فى الأستقلال بحكم المغرب بعيدا عن الولاء للمنصور ابن أبى عامر . وقد اتخذ زيرى من المبررات السابقة ، ومن تمسكه بالولاء للخليفة هشام ذريعة لتحقيق أهدافه فى الأستقلال بالمغرب . فعن خروج زيرى ابن عطية على المنصور بن أبى عامر ، يقول ابن عذارى : " نكث زيرى بن عطية المغراوى طاعته للمنصور ، بعد الحب الشديد والولاء الأكيد ، وطعن على ابن أبى عامر تغلبه على هشام وسلبه ملكه " (١)

فما كان من المنصور الا ان قطع رزق الوزارة عن زيرى ، ومحى اسمه من ديوانه وتبرأ منه فى شهر شوال سنة ٣٨٧ هـ . فرد عليه زيرى بطرد عماله الذين لجأوا الى سبته ، وقطع ايضا ذكره من الخطبة فى المساجد واقتصر على ذكر الخليفة هشام المؤيد بالله (٢)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢
— احمد العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ - ٢٥٥

(٢) : السلاوى : الأستقصا ، جـ ١ ، ص ٢١٣ .

وجهز المنصور جيشا كبيرا وأسند قيادته الى فتاه واضح الصقلبي قائد مدينة سالم ، حيث كان المنصور يثق في مقدرته القتالية وزوده بالمال والسلاح ، فعبر واضح بالجيش المضيق في نهاية شهر شوال سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م ، ونزل مدينة طنجة (١) . وكان المنصور قد أمد واضح بمن كان في الأندلس من زعماء زناته والخارجين على زيرى ، فتكاملت جيوش واضح . وفي طنجة انضم الى واضح عدد من زعماء زناته وحالفوه على محاربة زيرى ، فخرج واضح في جمع غفير من الجيش قاصدا مدينة فاس . وكان زيرى ابن عطية قد خرج لملاقاته ، فالتقى الجيشان بوادي زارات جنوب طنجة . ونشبت بينهما معارك حربية عنيفة ، استمرت على مدى ثلاثة أشهر ، إستطاع زيرى أخيرا ان يهزم واضح وجيشه ، وقتل معظمه . الا ان واضح ومن بقي معه من الجيش تمكن من الفرار الى طنجة ، وكتب للمنصور بن أبي عامر يستنجده بجيش آخر ، وشرح له ضراوة الحرب مع زيرى بن عطية طيلة الثلاثة الأشهر (٢).

وبعد سماع المنصور خبر هزيمة جيشه ، اضطر الى اتخاذ أجراءات أكثر فاعلية للقضاء على زيرى ، فأعلن الجهاد من المسجد الجامع بالزاهرة عقب صلاة الجمعة التاسع من شهر شعبان سنة ٣٨٨ هـ . ثم سار الى الجزيرة الخضراء في أعداد كبيرة من الجيش ، وقد استخلف مكانه على الزاهرة ابنه عبد الملك . وكان المنصور قد اصطحب معه ابنه عبد الرحمن الذي كان يرغب في أسناد قيادة هذا الجيش له ، الا انه عدل عن ذلك وأسند قيادة هذا الجيش الى ابنه عبد الملك لما كان يتمتع به من مهارة قتالية ، وسمعة طيبة في صفوف الجيش.

(١) : أحمد العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٥٦
— مدينة طنجة تسكن بها قبيلة صنهاجة ، وتبعد عن سبته نحو ميل على الطريق الساحلي
(انظر : أبو العباس القلقشندي : صبح الاعشى ، جـ ٥ ، ص ١٠٤

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٥٧

ولذلك أمر المنصور ابنه عبد الرحمن بالعودة الى الزاهرة لينوب عنه في الأندلس ، ويقوم بالاشراف على مهام الدولة ، وفي نفس الوقت استدعى ابنه عبد الملك ليتولى قيادة الجيش ، فحضر عبد الملك من الزاهرة الى الجزيرة الخضراء في أوائل شهر رمضان سنة ٣٨٨ هـ حيث انضم اليه عدد من زعماء البربر وأعداد كبيرة من جيش الأندلس .(١)

ثم عبر عبد الملك وجيشه الى سبته لملاقاة زيرى بن عطية وبقي أبوه المنصور في الجزيرة الخضراء يراقب العمليات الحربية . وشاع خبر وصول عبد الملك الى زيرى بن عطية ، فقام وتأهب لملاقاته ، وكتب الى جميع انصاره من قبائل زناتة يستجندهم ، فأتته القبائل من ملوية ، وتلمسان والزاب ، وسائرهم بوادي زناتة . وخرج عبد الملك والفتى واضح من طنجة في جيش لا يحصى عدده ، والتقى الجيشان بوادي منى من أحواز طنجة ، ودارت بينهم معارك قتالية عظيمة استمرت يوما وليلة قتل فيها من الجانبين عدد كبير من الرجال . وكان في معسكر زيرى غلام أسود اسمه كافور بن سلام كان زيرى قد قتل أخاه ، فوجد هذا الغلام الفرصة مواتية للانتقام من زيرى . واستطاع هذا الغلام الوصول الى خيمة زيرى ، وضرب زيرى بسكين في نحره ثلاث ضربات لم تمته . ثم أقبل الغلام مسرعا الى عبد الملك وبشره بقتل زيرى ، فلم يصدقه عبد الملك ، الى ان جاءه أحد من أصحابه وأخبره بأن زيرى قد جرح جرحا خطيرا ، فهجم عبد الملك على جيش زيرى وهزمهم ، واثخن عبد الملك في رجال زيرى قتلا ، واستولى على ما بيد زيرى من مال وسلاح . الا ان زيرى تمكن من الهرب وهو مجروح الى موضع يعرف بمضيق الحية قرب

---

(١) : مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص ٢٩- ٣٠

مكنـــاس ، واجتمـــع حولـه فلول قومـه ،وعـزم علـى العـــودة لمحاربـــة عبد الملك . ولمـا علـم بذلك عبد الملك بعث اليـه الفتى واضـح ومعـه خمسـة آلاف فارس، فسـار واضـح بجيشـــه الـــى مضيـــق الحية ،وتوغـل فـى جيش زيرى علـى غـرة فـى الليـل وقتل منهـم أعدادا كثيرة ، وأسـر منهـم من أشـراف مغـراوة نحـو الفى رجـل ، وكانت تلك المعركـة فـى منتصـف شهـر رمضـان سنة ٣٨٨ هـ . ثـم فـر زيرى مـع نفـر من أصحابه وبـنى عمـه الـى فـاس ، فأغلـق أهـل فـاس أبواب المدينه فـى وجهـه ،وكانوا قد علمـوا بهزيمتـه ، فطلـب منهـم زيـرى أن يخـرجوا اليـه أسرتـه ، فأجابوا طلبـه ،وسلمـوه أهلـه وزودوه بالـزاد والدواب ، فانصـرف بهـم الـى الصحـراء قاصداً بلاد صنهاجة .(١)

وبعـد هزيمـة زيرى بن عطيـة ، دخـل عبد الملك مدينة فـاس يوم السبـت نهايـة شهـر شوال سنة ٣٨٨ هـ ،وكتب الـى أبيـه المنصـور يبشـره بالنصـر ، فقـرئ كتـاب عبد الملك علـى منابـر الأندلس ، وأعتق المنصـور بهـذه المناسبة الف وثلاثمائـة مملوكـة انثى ،وخمسمائـة عبد ،وذلك من جملـة صدقـات كثيرة أعدهـا بمناسبـة فتـح المغـرب تحت قيـادة ابنـه عبد الملك . ثـم كتب المنصـور الى أبنـه عبد الملك بولايـة المغـرب ، وأوصـاه بحسـن معاملـة أهلهـا ، فقـرئ كتـاب المنصـور على منبر القرويين فـى آخـر جمعـة من شهـر ذى القعـدة سنـة ٣٨٨ هـ . ثـم عـاد الفـتى واضـح الـى الأندلـس ومكث عبد الملك فـى فـاس ستة أشهـر ، عـاد بعدهـا الـى الأندلس وكـان أهـل فاس قـد أعجبـوا بعـدلـه وحسن معاملتـه لهـم . ثـم تعاقب على حكـم فـاس فـى المغـرب ولاة كثيرون بعـد عودة عبد الملك الـى الأندلس ،فمنهـم عيسى بـن سعيد صاحب الشرطـة الـى ان عـزله المنصـور فـى شهـر صفر سنة ٣٨٩ هـ ،وعين بـدلا منـه الفتى واضح .(٢)

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ،ص ١٥٨- ١٥٩
— السلاوى : الاستقصا ،جـ ١ ،ص ٢١٤ - ٢١٥
(٢) : ابن الخطيب : نفس المصدر ،ق ٢ ،ص ١٥٩- ١٦٠
— السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ،جـ ٢ ، ص ٥١٢ - ٥١٣

وأمـــا زيـــرى بن عطيـــة بعد هزيمته فـــي مضيق الحيـــة فقد فر هاربـــا كما ذكرنـــا الى بلاد صنهاجـــة ، فوجـــد أهلهـــا قـــد اختلفـــوا على ملكهـــم باديس بن منصـــور بن بلكين الصنهاجـــي صاحب افريقيـــه ، فزحف زيرى بجيشـــه وتوغـــل فـــي بلاد صنهاجـــة وهـــزم جيشهـــم ، ودخـــل مدينة تاهـــرت ، وبعض بلاد الـــزاب وملك تلمســـان ، وشلف ، والمسيلـــة ، وأقـــام بهـــا الدعـــوة للخليفة هشام المؤيد . كما حاصـــر مدينة آشـــير قاعـــدة بلاد صنهاجـــة . ثـــم كتب الى المنصـــور بن أبـــي عامـــر يسترضيـــه ويطلب منه الأمـــان ، ويشترط علـــى نفســـه الرهـــن والاستقامـــة والولاء اذا أعـــاده المنصـــور الـــى حكـــم بلاد المغـــرب فعفـــا عنه المنصور وأعيـــد الـــى ولايتـــه علـــى المغـــرب وبينمـــا كان زيرى علـــى حصـــار آشـــير انتفضت عليـــه جراحـــه القديمـــه ، فمات زيرى بسببهـــا فـــي شهـــر محـــرم سنة ٣٩١هـ / ١٠٠١ م فولـــى زناتـــه من بعده ابنـــه المعـــز بن زيرى كما أقـــره المنصور على ولايته للمغرب .(١)

علاقة عبد الملك وأخيه عبد الرحمن مع المغـــرب :-

اتبع عبد الملك سياسة أبيـــه المنصـــور الحازمـــة فى العدوة المغربية مما جعـــل زعماء زناتـــة يبايعونـــه ، ويدعـــون لـــه مع الخليفـــة هشام على منابـــر المغرب الأقصـــى . كمـــا ســـار عبد الملك على نهج ابيـــه فى استخدام رجال زناتة فى جيشـــه(٢) ، وأحكم السيطـــرة على المغرب الأقصـــى ، وخاصـــة المواقع الساحلية الهامة فيه ولذلك فى اكتساب محبة البربـــر ، لاسيما قبيلة زناتـــة الحليفـــة القديمة للأمويين . بـــل ان عبد الملك فى سبيل ابعاد شبح

(١) : السلاوى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١٦ - ٢١٧
— ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ، ص ٣٤٩
(٢) : احمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٦٨

الفاطميين عن المغرب الأقصى ، ذهب الى حد اكتساب بعض زعماء الزيريين من قبيلة صنهاجة والموالين للدولة الفاطمية الى جانبه ، فدعاهم الى الأندلس وأحاطهم بالحفاوة والتكريم . وكان على رأس هؤلاء زاوى بن زيرى الصنهاجي الذى عينه عبد الملك في خطة الوزارة (١) .

ولكي يكسب عبد الملك ثقة الزناتيين من بني مغراوة ، جدد البيعة للمعز بن زيري بن عطية على حكم المغرب الأقصى في سنة ٣٩٣هـ على ان يؤدى اليه كل سنه مالا معلوما ، وخيولا ودرقا ، فأجابه المعز بن زيرى الى ذلك ، وقدم ولده معنصر رهنا عند عبد الملك وبذلك عاش المغرب الأقصى خلال عهد عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر في أمن وأستقرار (٢) .

كما استمرت ولاية المعز بن زيرى بن عطية على المغرب الأقصى خلال حكم عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر في الأندلس. بل انه في فترة حكم عبد الرحمن بن المنصور توطدت العلاقات بينه وبين المعز بن زيرى . فقد قدم المعز لعبد الرحمن بن المنصور هدية ثمينة فيها خمسون فرسا ، وحينما وصلت هذه الهدية لعبد الرحمن ، أطلق سراح معنصر بن المعز وأعاده الى أبيه في المغرب ، فرد المعز على ذلك الصنيع بأن بعث الى عبد الرحمن هدية ثانية ، وكانت تلك الهدية هي تسعمائة فرس. وبعد مقتل عبد الرحمن بن المنصور ، ظل المعز بن زيرى يحكم بلاد المغرب الى ان توفي في سنة ٤١٧هـ (٣) .

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، جـ ٢ ، ص ٦٤٧ ، ٦٤٨
ـــ ابراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ٣٥٦

(٢) : مؤرخ مجهول : نبذة تاريخيه في أخبار البربر في القرون الوسطى ، منتخبة عن المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ، ص ٣٦ ، ٣٧

(٣) : السلاوى : الأستقصا ، جـ ١ ، ص ٢١٧ ، ٢١٩
ـــ السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ٥١٣ - ٥١٤

العلاقات بين الأندلس والممالك الأسبانية النصرانية

نظرة عامة على أحوال الممالك الأسبانية النصرانية وعلاقاتها بالأندلس قبل عهد المنصور :-

فى اواخر عصر الأمارة تهاوت سلطة أمراء بنى أمية وأنقسمت الى أمارات مستقلة فيما يشبه عصر ملوك الطوائف ، وقام الصراع بين هذه الأمارات بعضها البعض وبين حكومة قرطبة . كذلك انقسمت مملكة جليقية النصرانية واستقل عنها الباسك أو النافاريون وكونوا مملكة (نبرة (نافار) كما ظهرت أمارة قطلونية فى الشمال الشرقى لأسبانيا النصرانية ، وقام الصراع ايضا بين هذه الدويلات المسيحية ،واستعان بعضها بالمسلمين فى الأندلس ، واستعان البعض الآخر بالفرنجة فى صراعهم ضد بعضهم البعض .

وأدى هذا التماثل فى الأوضاع السياسية لكل من الأندلس الأسلامية وممالك شمال أسبانيا النصرانية فى آواخر عصر الأمارة الأموية الى وجود توازن بينهما سواء على الصعيد العسكرى أو السياسى . الآ انه فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، اختل هذا التوازن ومال ميزان القوة الى جانب الممالك النصرانية ، حيث تحقق لبعض هذه الممالك بعض التقدم فى أراضى المسلمين فى الأندلس ، فوصلت حدودها الى نهر دويرة . ومع ذلك كانت الأمارة الأموية تقاوم هجمات النصارى فى بلاد الأندلس .(١)

أما فى عصر الخلافة الأموية فى الأندلس ، فقد مال هذا الميزان السياسى والعسكرى طوال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى

---

(١) : عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى، ص ٢٤٤ - ٢٤٥

فى جانب الأندلس الاسلامية ، وذلك لعدة أسباب منها ان الأندلس أصبحت فى عصر الخلافة دولة واحدة تسيطر على كافة أراضيها حكومة واحدة ، وهى الخلافة الأموية فى عهد عبد الرحمن الناصر الذى أخمد الثورات فى الأندلس ووحد الأراضى الأندلسيه وجعلها تحت سيطرته (١) ، واستمرت وحدة الأندلس وتفوقها العسكرى على الممالك النصرانية طوال عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، ثم فى عهد المنصور بن أبى عامر وابنه عبد الملك (٢) .

أما فى الشمال الأسبانى والخاضع للممالك النصرانية ، فقد كانت هناك مملكتان هما مملكة ليون ، ومملكة نبرة ، وأمارتان هما أمارة قطلونية (برشلونة) ، وأمارة قشتالة ، والأمر الجدير بالملاحظة انه فى الوقت الذى نجح فيه عبد الرحمن الناصر فى توحيد الأندلس تحت سلطان حكومة قرطبة ، نجد ان النبلاء فى أسبانيا النصرانية وبخاصة فى مملكة ليون كانوا لا يزالون عاملا من عوامل الاضطراب السياسى ، وقد بلغ الأمر بأحد هم

---

(١) : اقتضى توحيد الأندلس ان يقوم عبد الرحمن الناصر بالقضاء على الحركات الانفصالية التى شملت معظم أنحاء الاندلس فى أواخر عصر الامارة . وكان من أشهر هذه الحركات ثورة بنى حفصون التى قضى عليها عبد الرحمن الناصر عام ٣١٥ هـ ، وثورة أهل طليطلة التى قضى عليها عام ٣٢٠هـ وثورة بنى مروان الجليقى بغربى الاندلس والتى قضى عليها ... وكذلك الحركات الانفصالية التى قام بها بالثغر الاعلى بنو قسى ، وبنو الطويل ، وبنو تجيب . انظر فى هذا الصدد :

— ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠-٢٦١ ، ٢٦٧ - ٢٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩- ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣

— ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ، ص ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥- ٣٧٦

— العذرى : نصوص عن الأندلس ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٦٦ - ٧٣

(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٩٩

وهو كونت قشتالة فرناند جونثالث (FERNAN GONZALEZ) ان يقيم أمارة جديدة وهي أمارة قشتالة منذ بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، وظل يصارع مملكة ليون ومملكة نبرة حتى وفاته في سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م وقد أجهد ذلك الصراع جميع الممالك الأسبانية النصرانية . فلم تكن الحروب بين هذه الممالك لتهدأ بعض الوقت حتى تعود أكثر أشتعالا ، أما بسبب التنازع على العرش أو بسبب التنازع على الحدود بين هذه الممالك ، أو الطمع في ضم مملكة أو أمارة الى أخرى بالقوة ، أو انفصال أمارة عن أخرى . وكانت المصاهرات عاملا قويا في أذكاء هذه الأطماع وفي اضطراب العلاقات بين ممالك الشمال النصرانى بعضها البعض .

ومما ساعد الخلافة الأموية في أنتصاراتها على الممالك الأسبانية النصرانية انقطاع معظم المساعدات التى كان يقدمها ملوك الفرنجة للممالك النصرانية في شمال أسبانيا ، وذلك بسبب ما أبرموه من اتفاقيات مع أمراء بنى أميه الآواخر ، والتي تنص على الا يتدخل أى منهما فى شئون الآخر ، والا يساعد الفرنجة نصارى الشمال الأسبانى نظير ان يتخلى المسلمون عن برشلونة . كما أدى نجاح عبد الرحمن الناصر في القضاء على الحركات الأنفصالية التى قام بها المولدون والعرب بالثغر الأعلى (سرقسطة) من بنى قسى وبنى الطويل ، وبنى تجيب الى ان تدين مناطق الثغور للخلافة بالطاعة وان تتشتخد مها الخلافة كقواعد لضرب الممالك الأسبانية النصرانية . وبذلك فقدت هذه الممالك الأسبانية النصرانية العون الخارجى سواء من المولدين والعرب بمناطق الثغور أو من الفرنجة .

كل هذه العوامل أدت الى سيطرة الخلافة وبخاصة فى عهد

عبد الرحمن الناصر وفي عهد ابنه الحكم المستنصر ، ليس فقط على الأندلس الموحدة ، وانما على الممالك الأسبانية النصرانية .(١)

ورغم كثرة الفتن والحروب بين الممالك الأسبانية النصرانية بعضها البعض ، الاّ أنها كانت تتوحد في أهدافها لغزو بلاد المسلمين ، وكثيرا ما قامت بغارات على حدود الأندلس ، مما جعل الخليفة عبد الرحمن الناصر بعد اخماده للثورات والحركات الانفصاليه في داخل الأندلس ان يقوم بأعداد جيش قوى لغزو هذه الممالك ، وقد غزاها كثيرا وانتصر عليها في معظم غزواته الأمر الذى جعل هذه الممالك تطلب الصلح معه وتعمل على كسب رضائه .(٢)

وهكذا يتضح لنا انه اذا كانت غزوات الأمويين في عصر الأمارة على البلاد الأسبانية النصرانية بقصد صد هجمات النصارى على حدود بلاد المسلمين ، الاّ ان تلك الغزوات في عصر الخلافة على عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر أخذت لطابع القوة والهجوم مما جعل تلك الممالك والأمارات النصرانية تخشى قوة الخلافة . ومع ذلك فلم يكن الخليفة عبد الرحمن الناصر وكذلك ابنه الحكم المستنصر يخطط في غزواته للأستيلاء على بلاد النصارى ، وانما كانت غزواته تستهدف اظهار قوة جيش الخليفة ، وارهاب الممالك النصرانية في عقر دارها لتدفعها الى المسالمة والتخلى عن العدوان على أراضى المسلمين .(٣)

---

(١) : انظر في هذا الصدد : رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس والممالك الاسبانية النصرانية منذ عصر الامارة حتى القرن الخامس الهجرى . الفصل الثاني من الباب الثاني ، ص ١٤٢ - ١٥٨

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٢٥
— ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١٤٢

(٣) : عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ، ص ٢٩٨- ٢٩٩

فبعد الهزيمة التي حلت بملك ليون أردون الثالث وبحليفه كونت قشتاله فرناند جونثالث في عام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ، أرسل يطلب الصلح والسلام مع الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر . وكان عبد الرحمن الناصر يرغب هو الآخر في السلام لكي يتفرغ لمواجهة الفاطميين الذين كان قد أزداد نفوذهم وقتذاك في المغرب الأقصى ، ولذلك وافق على ما طلبه أردون الثالث ، وانتهت المفاوضات بينهما بأن يتنازل أردون الثالث عن حصون منيعة للخليفة نظير السلام . وفي العام التالي طلب أردون الثالث من عبد الرحمن الناصر أدخال كونت قشتاله فرناند جونثالث في أتفاقية السلام فرحب الخليفة بذلك .

الا انه بعد ان توفي أردون الثالث رفض أخوه شانجة الملك الجديد (٣٤٥- ٣٥٥ هـ / ٩٥٦- ٩٦٦ م) تنفيذ المعاهدة التي كان أخوه قد أبرمها في العام السابق مع عبد الرحمن الناصر فرفض تسليم الحصون المتفق عليها في هذه المعاهدة ، فاضطر الناصر الى شن الغارة عليه وسحق جيوشه في عام ٣٤٦ هـ . بالاضافة الى ذلك مالبث ان قام الصراع بين شانجة وابن عمه أردون الرابع على العرش ، وفي هذا الصراع انحاز كونت قشتالة الى أردون الرابع الذي كان صهرا له ، ونجح في ان يتغلب عليه وان يقيم أردون الرابع على عرش مملكة ليون مما أجبر شانجة على الفرار الى بلاط جدته الملكة طوطه والتي كانت تحكم مملكة نبرة بوصفها وصية على ابنها الطفل غرسية شانجة (٣١٤ — ٣٥٩هـ / ٩٢٦ - ٩٦٩ م) .

وكانت الملكة طوطه من الد أعداء عبد الرحمن الناصر ، فقد حاربته

طوال ثلاثين عاما تحالفت أثناءها مع مملكة ليون وزوجت أبنتها أوراكه من ملك ليون رد مير الثاني وأشتركت معه في هزيمته للناصر في معركة الخندق عام ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م .

ولما لجأ شانجة الى جدته الملكه طوطه وجدت هذه الملكة انها لا تستطيع مواجهة مملكة ليون وأمارة قشتالة بمفردها ، لذلك لم يكن أمامها الاّ الخليفة عبد الرحمن الناصر تلجأ اليه كحليف قوى فتناسست عداءها له وللمسلمين طوال الثلاثين سنة السابقة .

وقد مت الملكه طوطه مع حفيدها شانجة (ملك ليون المخلوع) الى قرطبة عام ٣٤٧ هـ / ٩٥٩ م ، ومعها ابنها غرسيه بن شانجة الأول ملك نبرة تطلب من عبد الرحمن الناصر المساعدة لأعادة حفيدها الى عرش ليون ولمعالجته من السمنة المفرطة على يد أطباء قرطبة الماهرين ، وذلك نظير التخلي عن عشرة حصون . وقد وافق عبد الرحمن الناصر على طلبها وعقد معها معاهدة اعترفت له فيها بالطاعة ودفع الجزية والتخلي عن هذه الحصون العشرة مقابل قيامه بمساعدتها في أعادة حفيدها شانجة الى عرش مملكة ليون . وبمقتضى هذه الأتفاقية قامت القوات الاسلامية بمهاجمة ليون ، ففر أردون الرابع ملك ليون الى جبال اشتريس ، كما قامت قوات نبره بمهاجمة قشتالة وأسر كونت قشتالة فرناند جونثالث صهر أردون الرابع . وبذلك أصبح الخليفة عبد الرحمن الناصر السيد الفعلي لشبه الجزيرة الأيبرية كلها .

وقد تابع الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٦ م) سياسة أبيه أزاء نصارى الشمال ، فوقف في وجه سياستهم التوسعية . أما

شانجة الذى عاد بفضل عبد الرحمن الناصر الى عرش مملكة ليون ، فقد سارع الى تقديم الاعتذارات للحكم المستنصر لتأخيره فى تسليم الحصون التي نصت عليها الاتفاقية بينه وبين أبيه عبد الرحمن الناصر . وأما غرسيه ابن شانجة الاول ملك نبرة فقد قام بأطلاق سراح كونت قشتاله فرناند جونثالث ، الذى ما لبث أن انضم الى صهره أردون الرابع ملك ليون المخلوع وأخذا يعيثان فى الاراضى الاسلامية .

ولذلك أعد الحكم المستنصر حملة كبرى للقضاء على أردون وكونت قشتالة ، فخاف أردون على مصيره ، ووفد الى قرطبة عام ٣٥١هـ / ٩٦٢ م ضارعا الى الحكم أن يعيده الى عرشه ، وانه ليس مثل ابن عمه شانجة الذى خالف شروط الاتفاقية مع أبيه عبد الرحمن الناصر ، وأنه يضع نفسه وأرضه وشعبه تحت أمر الخليفة . فأكرمه الحكم المستنصر ووعد بأعادته الى عرشه على شرط أن يتعهد بحفظ السلام بينه وبين الخلافة ، والا يحالف كونت قشتالة وأن يترك إبنه رهينة لديه ضمانا لتنفيذ الاتفاق . وما ان وقع أردون هذا الاتفاق حتى وضع الحكم المستنصر تحت امرته جيشا على رأسه القائد غالب .

ولما أدرك شنانجة ملك ليون مدى حرج موقفه بادر بالذهاب الى قرطبة حيث قابل الخليفة الحكم المستنصر وتعهد له بتنفيذ كل بنود الاتفاقية التى كان قد عقدها مع أبيه ، فوجد الحكم المستنصر أنه حصل على كل ما يريده وأنه لا فائدة من الوعود التى بذلها له أردون اذا ما عاد الى العرش . ومالبث أن مات أردون بعد ذلك بقليل فحلّت مشكلة الصراع

على عرش مملكة ليون .

الا أن شانجة ملك ليون بعد أن اطمأن على عرشه بعد موت منافسه أردون الرابع ، نكث وعوده وأتفاقه مع الحكم المستنصر وأخذ يستعين بحلفائه القدامى من أخواله ملوك نبره ، وكونتات امارة برشلونة بوريل (BORRELL)وميرون MIRON ، وكذلك كونت قشتالة العدو اللدود للخلافة . واضطر الخليفة الحكم المستنصر لقتالهم ، وبدأ أولا بقشتالة واستولى على قلعة شنت اشتين عام ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م ، وأجبر حاكمها فرناند جونثالث على طلب الصلح . واستطاع القائد غالب أن يهزم جيوش ليون ونبره في موقعة اتينسه (ATENZA) ،وكذلك هزمهم قائد الثغر يحيى بن محمد التجيبي حاكم سرقسطه واستولى على مدينة قلهرة الهامة ، وقام قائد وشقة واستولى على مطونية ،وعاثت قوات الثغور الأسلامية في برشلونة . وقد غنم المسلمون في هذه الغزوات من الأموال والسلاح والدواب والأطعمة والسبى مالا يحصى . وبذلك أجبر الحكم المستنصر أعداءه ملوك وأمراء الأسبان النصارى على طلب السلامة .

وقد حالف الحظ الحكم المستنصر بوفاة شانجة ملك ليون عام ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م وخلفه ابنه الطفل ردمير الثالث (٣٥٥ - ٣٧٢ هـ / ٩٦٦-٩٨٢ م) وتولت عمته الوصاية عليه . وكان لتولى هذا الطفل الصغير عرش ليون أثر في أنتشار الفوضى وانقسام الدولة الى أمارات صغيرة وأخذ كل أمير من أمرائها يتوجه الى قرطبة للأستعانة بخليفتها الحكم المستنصر ضد خصومه ،فيما يشبه عصر ملوك الطوائف الذى ظهر في الأندلس بعد انهيار الخلافة الأموية أثر سقوط الدولة العامرية فيها وتوالت

السفارات المسيحية من جميع دول الشمال الأسباني النصراني على بلاط الحكم المستنصر تطلب السلام وتجدد معاهدات الصلح منذ عام ٣٥٥هـ / ٣٦٦ هـ وقد امتد هذا السلام بين الأندلس وهذه الممالك الأسبانية النصرانية حتى وفاة الحكم المستنصر في عام ٣٦٦هـ / ٩٧٦ م . (١)

هذا ويمكن تقسيم العلاقات بين الأندلس وممالك وأمارات الأسبان النصارى في عصر الخلافة الى أربع فترات : فترة الصراع المتوازن وتبدأ من بداية عهد عبد الرحمن الناصر في عام ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م وتنتهي بعام ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ، وهو عام السلام الذي تم فيه عقد معاهدات السلم بين عبد الرحمن الناصر ونصارى الشمال الأسبان . والفترة الثانية ، وهي فترة السلام وتبدأ من هذا العام وتنتهي بوفاة الحكم المستنصر عام ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م . وفي هاتين الفترتين استخدم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر الأساليب الدبلوماسية في معظم الأحيان لفض تحالف نصارى الشمال حتى أصبح كل منهما السيد الفعلي لشبه الجزيرة الايبرية كلها . والفترة الثالثة هي فترة الحرب التي قادها المنصور ابن أبي عامر في عنف وشراسة ضد نصارى الشمال ، وحطم فيها دولهم وخرب بلادهم وأذل كبريائهم . وكان هدفه من جهاده لو أمتد به العمر هو تطهير أسبانيا من هذه الدول النصرانية . وبمعنى آخر كان المنصور يريد ان يقضي على دول الشمال الأسباني النصراني وان يخضعها جميعا لسلطة الخلافة . وقد خالف في ذلك خطة من

---

(١) : عن العلاقات بين هذه الممالك الأسبانية النصرانية والأندلس في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، انظر رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٦٣ - ١٧٢

تقدمه من خلفاء بنى أمية وأمرائهم . اذ كان هؤلاء جميعا يحاربون للدفاع ورد الغزوات ، أما هو فكان يبدأ بالحرب دائما تحدوه فى ذلك روح قوية فى الجهاد . ثم تأتى الفترة الرابعة ،وهى فترة سقوط الخلافة منذ بداية القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ،وفيها انقلب ميزان القوى لصالح نصارى الشمال وأصبحوا يتدخلون فى تولية الخلفاء الضعاف وفى عزلهم (١) .

العلاقات بين الممالك الأسبانية النصرانية والدولة العامرية :-

كانت علاقات المنصور بن أبى عامر مع الممالك النصرانية فى اسبانيا ، هى علاقات حرب طوال حكمه للأندلس ، اذ كانت لديه نزعة دينية قوية فى حربه مع هذه الممالك تتمثل فى حماية الدولة الأسلامية فى الأندلس وحدودها من أعدائها المسيحيين . ولذلك توسع المنصور بن أبى عامر فى غزو أراضى المسيحيين ،اذ كان يطمح فى الأستيلاء على بلادهم .

وكان المنصور يغزو فى السنه الواحده مرتين ،تعرف الأولى بالصائفة وتعرف الثانية بالشاتية . وتقدر عدد غزواته بأكثر من أثنين وخمسين غزوة خرج المنصور بن أبى عامر فنها منتصرا . الا ان معظم الروايات الأسلامية لم تقدم الينا تفاصيل واضحة عن تلك الغزوات . هذا ومجمل أخبار تلك الغزوات وتفاصيلها ووقائعها ذكرت فى كتاب المآثر العامرية ، أو كتاب أخبار الدولة العامرية ،ولكن مع الأسف فقد فقد هذا الكتاب كما

(١) : رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ،ص ١٥٩ - ١٦٣

تذكر المصادر التاريخيه الاسلامية . ويجمل ابن خلدون فى ذكر غزوات المنصور بن ابى عامر بقوله : وردد الغزو بنفسه الى دار الحرب ففزا اثنتين وخمسين غزوة فى سائر ايام ملكه ، ولم ينكسر له فيها راية ، ولا فل له جيش ، ولا أصيب له بعث ، ولا هلكت سرية (١)

وقد اختلف المؤرخون فى عدد غزوات المنصور بن ابى عامر ، فالبعض يذكر انها اثنتين وخمسين غزوة ، والبعض الآخر يذكر انها سبع وخمسون غزوة (٢) .

كما كانت غزوات المنصور بن ابى عامر موضع الدراسة التحليلية ، فقد قام خالد الصوفى فى كتابه (عصر منصور الاندلس) بدراسة لهذه الغزوات ولاحظ انها متفاوته من سنة الى اخرى او من فترة الى اخرى خلال حكم المنصور ،وخرج من هذه الدراسة بهذا الجدول :

التاريخ	ارقام الغزوات	مجموع الغزوات
من سنة ٣٦٦ - ٣٧١ هـ (٩٧٦ - ٩٨١م)	من ١ - ٤	٤ غزوات
ثم من سنة ٣٧١ - ٣٧٩ هـ (٩٨١ - ٩٨٩م)	من ٤ - ٤٥	٤١ غزوة
من سنة ٣٧٩ - ٣٨٧ هـ (٩٨٩ - ٩٩٧ م)	من ٤٦ - ٤٨	٣ غزوات
من سنة ٣٨٧ هـ - ٣٩٢ هـ (٩٩٧ - ١٠٠٢م)	من ٤٨ - ٥٢ أو أكثر	٤ غزوات
		٥٢ غزوة

وفى رأيه ان هذا التفاوت فى عدد الغزوات من فترة الى اخرى انما يرجع الى ان المؤرخين لم يذكروا الا المهم من غزواته ،او انهم اهملوا غزواته الثانوية

---

(١) : ابن خلدون : العبر ،جـ ٤ ،ص ٣٢٠

* JAN READ : OP..cit.,P.89

كما يرجع ايضا الى ان بعض المؤرخين حسبوا في عدد غزواته الغزوات الصغيرة الجانبيه التي كانت تتفرع أحيانا عن أحدى غزواته الأساسية الكبرى التي لا نعرف عددها على وجه اليقين . فاحدى غزواته التي جمع منها بين بنبلونة وبسيط برشلونه كانت صائفة ذات دخلات ثلاث .(١)

كما تصدى أيضا رجب محمد عبد الحليم في دراسته عن العلاقات بين الأندلس والممالك الأسبانية النصرانية الى دراسة تحليلية لغزوات المنصور ابن أبي عامر وعددها ، وقد اثبت في هذه الدراسة نقلا عن العذري انه في خلال الفتره الأولى من حكم المنصور من سنة ٣٦٦ هـ حتى سنة ٣٧٦ هـ بلغ عدد غزواته أربعا وعشرين غزوة ، منها أربع عشرة غزوة فيما بين سنة ٣٦٦ هـ وسنة ٣٧١ هـ وليس أربع غزوات كما يذكر الصوفي .

كما أثبت ان غزوات المنصور لم تكن موجهة كلها الى نصارى الشمال - كما يعتقد البعض - وانما دخل فيها ما قام به المنصور من غزوات في الأندلس نفسها ضد بعض المتمردين ، ومن غزوات في جنوب الأندلس ضد نشاط الفاطميين هناك . مثال ما ذكره العذري نقلا عن ابن حيان من ان المنصور خرج في غزوته الثامنه عام ٣٦٨ هـ لضبط شئون الجزيرة بسبب تزايد نشاط الفاطميين هناك .

ثم يخلص في هذه الدراسة الى القول بأن المنصور بن ابي عامر قام بأربع وعشرين غزوة في العشر سنوات الأولى من حكمه ، وان غزواته الباقيه والبالغة حوالى ست وعشرين غزوة أو أكثر كانت في السنوات الباقية من حكمه وهي ستة عشر عاما على أساس غزوتين كل عام كحد أقصى حسبما

---

(١) : رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٣ - ١٧٤ (نقلا عن غنيالد الصوفي : عصر المنصور الأندلسي ، ص ١١٧ - ١١٩) .

أشـــار الـــى ذلك معظـــم المؤرخين (١) .

وتشـــير الروايات الأسلامية الـــى ان بواعـــث هـــذه الغـــزوات المتتاليـــة هـــى نزعة المنصـــور بن أبـــى عامـــر للجهـــاد ، ويبدو ان المنصـــور بقيامـــه بتلك الغـــزوات علـــى الممالك النصرانيـــة كان يرمـــى الـــى غايـــة سياسية بعيدة المدى حيث لم يفكـــر أحـــد من قبلـــه من حكـــام الأندلس فى القيـــام بمثل تلك الغـــزوات أو لـــم تكـــن لديهـــم القـــدرة القتاليـــة للقيـــام بهـــا . وذلك ان المنصور أراد من كثرة غزواتـــه علـــى الممالك المسيحيـــة ان يقضـــى علـــى استقلالهـــا القومى ،وان يجعلها خاضعـــة لنفوذه وسلطانـــه . وكان المنصـــور قـــد خالف من سبقـــه من حكـــام الأندلس فـــى طريقـــة حرب المسيحيين ، حيث كـــان حكـــام الأندلس يحاربون للدفـــاع وصـــد غـــارات النصـــارى علـــى حدود بلاد الأندلس الأسلاميـــة ،ولكن المنصـــور كان على عكـــس هؤلاء فقـــد كان هـــو الذى يبدأ بالحـــرب عليهـــم فـــى عقـــر بلادهـــم . وكـــان لا يقبـــل من أعدائـــه المسيحيين صلحـــا أو مهادنـــة ،ولا يقنـــع الا بالنصـــر عليهـــم فـــى ساحـــة القتـــال . وعلـــى الرغـــم من انشغالـــه بالقضـــاء على خصومـــه فـــى الداخـــل ،الا ان تلك الأمـــور لـــم تكـــن تشغلـــه عن الجهـــاد فى سبيـــل اللـــه (٢) .

كـــان المنصـــور دائمـــا متأهبـــا للغـــزو ، وكانت اذا وقعت له نية فـــى الغـــزو وهـــو فـــى صلاتـــه بالمسجـــد فانـــه لم يكـــن يرجـــع الى قصـــره ،وانمـــا مـــن المسجـــد كان يعلـــن الجهـــاد ويذهب للغـــزو . فحدث انه كان فى مصلـــى

---

(١) : رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ،ص ١٧٤ - ١٧٥

(٢) : عنـــان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٥٤٠- ٥٤١
ـــ على محمد حموده : تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ،ص ٢٣١

يوم العيد فعزم على الجهاد وخرج بعد انصرافه من الصلاة الى الغزو فتتبعته الجيوش حيث لحقت به أولا فأول ، فلم يصل الى بلاد الأسبان المسيحيين الاّ وقد لحق به كامل جيشه ، وقد فتح الكثير من المدن والحصون المسيحية ، ووصل الى معاقل مسيحية حصينة كان قد تعذر على من قبله من حكام المسلمين في الأندلس فتحها (١) .

وكان المنصور بن أبي عامر يرى ان غزوه للممالك النصرانية يدعم سلطانه في الدولة ويكسبه شرعية في الحكم ويرغب الناس في الأندلس في ميولهم وولائهم له . فكان محافظا على القيام بغزوتين في كل عام في الربيع والخريف ، وهي ما تسمى بالصوائف والشواتي (٢) ، ويقود هذه بنفسه ويعود منها منتصرا محملا بالأموال والسبي . كما قام بتوسيع دائرة الجيش ورتب للجند المعاشات الشهرية المغرية التي جعلتهم يواصلون بكفف المنصور ، اضافة الى منحهم المكافآت بعد كل غزوة (٣) . كما ان الأندلس لم تبلغ قط ما بلغته في عهد المنصور بن أبي عامر من القوة العسكرية المعدة للجهاد ، ولم تبلغ أيضا أسبانيا النصرانية ما بلغته في عهده من التمزق والضعف ، فقد ملاء المنصور الأندلس بالغنائم ومن السبي من بنات وأولاد ونساء ورجال الأسبان النصارى (٤) .

---

(١) : الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٧٩
ـــ علي أدهم : منصور الاندلس ، ص ١٢٣

(٢) : أحمد العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤٧

(٣) : البتنوني : رحلة الأندلس ، ص ٦٩

(٤) : الضبي : بغية الملتمس ، ص ١١٦
ـــ عنان : تراجم اسلامية ، ص ٢٠٨

ويشير بعض المؤرخين فى العصر الحديث الى ان من العوامل التى ساعدت المنصور بن أبى عامر فى انتصاراته فى غزواته على الممالك النصرانية المسيحية ،وانتصاراته فى المغرب الأقصى ، هى انتقال مقر الخلافة الفاطمية الى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ حيث أصبحت بعيدة عن التدخل فى شئون المغرب الأقصى ، وبذلك سنحت للمنصور القيام بالكثير من الغزوات على المسيحيين . وكذلك ساعدته المنازعات الداخلية بين الممالك النصرانية فى شمال أسبانيا فى انتصاراته عليهم . ولكن على الرغم من هذه المنازعات بين الممالك النصرانية فقد القضّى المنصور فى أكثر من غزوة بملوك النصارى مجتمعين فى تحالف مسيحى ضده ، ومع ذلك كان ينتصر عليهم فى حروبه معهم (١) . فقد كانت خطته فى الجهاد تأخذ طابع الهجوم وأنتزاع المبادرة من أعدائه النصارى الذين ارغموا بدورهم على تغيير استراتيجيتهم العسكرية من الهجوم الى الدفاع ،وذلك ما لم يكن له مثيل فى العهود السابقة حتى عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر (٢) .

وللمنصور بن ابى عامر شعر فى غزواته على بلاد المسيحيين ، منه :

لم ترنى بعت الاقامة بالسرى ... ولين الحشايا بالخيول الضوامر

تبدلت بعد الزعفران وطيبه ... صدا الدروع من مستحكمات المسامر

اروني فتى يحمى حماى وموقفى ... اذا اشتجر الاقران بين العساكر

انا الحاجب المنصور من آل عامر ... بسيف أقدم السهام تحت المغافر

فلا تحسبوا أنى شغلت بغيركم ... ولكن عهدت الله فى قتل كافر (٣)

---

(١) : على محمد حموده : المرجع السابق ،ص ٢٣٢

(٢) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ،ص ٣٣٩- ٣٤٠

(٣) : ابن الابار: الحلة السيراء ،جـ ١ ،ص ٢٧٦

ويضف ابن الأبـــار غزوات المنصـــور بن ابـــى عامـــر لبلاد النصـــــارى بقولـــه : " هـــو بقـــوة نفســـه وسعـــادة جـــده ، يعـــد النصـــر ولا يتمرى فـــى الظهـــور ، ويستعجـــل الأسبـــاب المعينة علـــى الفتح ، حـــتى أسعـــف ولقســـى العـــدو فهزمـــه ، وولـــى غـــزو بلاد الـــروم عالـــى القـــدم ، منصـــور العلـــم ، لا يخفـــق لـــه مسعـــى ولا يبـــوء دون مغنـــم ـ كرة بعـــد أخـــرى ـ الـــى ان صـــار صاحب التدبير ، المتغلب على جميـــع الأمـــور ، حـــتى أذعـــن لـــه ملـــوك الـــروم فرغبـــوا فـــى مصاهرتـــه " (١) .

كمـــا يصـــفه ابن عـــذارى نقـــلا عـــن ابن حيـــان بقولـــه : " تمرس المنصـــور ببلاد الشـــرك أعظـــم تمرس ومحـــا من طواغيتهـــا كـــل تعجـــرف وتغطرس ، وغادرهـــم صرعـــى البقـــاع ، وتركهـــم أذل مـــن وتد بقـــاع ، ووالـــى علـــى بلادهـــم الوقائـــع ، وســـدد الـــى أكبادهـــم سهـــام الفجائـــع وأغـص بالحمـــام أرواحهـــم ، ونغـــص بتلك الآلام بكورهـــم وأرواحهـــم " (٢) .

---

(١) : ابن الابـــار : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٩

(٢) : ابن عذارى : البيان المغـــرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٧ (نقلا عن ابن حيان) .

الغـــزوات ضـــد مملكـــة ليـــون :-

استغـــل ملك ليـــون ردمير الثالث (٣٥٥ - ٣٧٢ هـ / ٩٦٦ - ٩٨٢م) انشغـــال أهـــل الأندلس بعد مـــوت الخليفـــه الحكـــم المستنصـــر وتولية ابنه الطفـــل هشـــام المؤيد الخلافـــة فزحفت جيوشـــه ومن ساندهـــا من أهـــل قشتالة ، فغـــاروا علـــى قلعـــة رباح بالثغـــر الأعلـــى لحدود الأندلس ، وعاثـــوا فيهـــا وقتلـــوا عـــددا من أهلهـــا المسلمين . وتقدمت جيوشهـــم فواصلت زحفهـــا على مدن الأندلس . فصرخ أهـــل الثغـــر الأعلـــى مستنجدين بالحاجب جعفـــر المصحفى القائم بامر دولـــة الأندلس فـــى بدايـــة عهـــد الخليفـــه هشـــام المؤيد بالله . وذلك لنصرتهـــم علـــى جيوش ليـــون والقشتاليين ، الاّ أن الحاجب جعفـــر رغـــم توافـــر أعداد كبيرة من جيش الأندلس ورغـــم وفـــرة الأمـــوال فـــى خزائـــن الدولـــة وقتهـــا قد دخله الخـــوف والجبن من مواجهـــة جيوش النصـــارى ، فأشـــار الـــى أهـــل قلعـــة رباح بقطـــع ســـد نهـــر آنـــه لعمقـــه وسوء دجلتـــه ، وذلك لحجـــز العـــدو مـــن العبور اليهم ، حيث لـــم تتســـع حيلتـــه لأكثر من ذلك . وقـــد كـــان ذلك مما أخـــذ على الحاجـــب جعفـــر ،(١)

وقـــد أشـــار عليـــه محمد بن أبـــى عامـــر بتجهيز جيش واستئناف الجهاد لصـــد عدوان النصـــارى علـــى بلاد المسلمين ، وكـــان المنصـــور قـــد أنف تخـــاذل جعفـــر المصحفـــى فـــى نصرة أهـــل الثغـــر وأبـــدى أستعداده لقيادة الجيـــش .(٢)

فجهـــز الحاجـــب جعفـــر جيشـــا بقيـــادة محمـــد بن أبـــى عامـــر الذى خـــرج

---

(١) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ج ١ ، ص ٤٤- ٤٥

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦٤

— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٣٢٧- ٣٢٨

علـى رأس هذا الجيش من قرطبة فى الثالث من شهر رجب سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٧م مستهد فـا أراضى ليون وقشتالة ، فحاصـر حصن الحامة فى جليقية (١) . وأنزل به ضربة قوية وفتـح ربضه الذى بناه رد مير الثالـث (٢) . وكان ذلك الهجوم رد ا على هجـوم ملك ليون على قلعـة رباح . وعاد بن أبى عامـر الى قرطبة منتصـرا ومحملا بالغنائـم والسبى ، وذلك بعـد ثلاثة وخمسين يوما من خروجـه للغـزو ، وهى الغزوة الأولى له . وكان لهذه الغزوة صدى أرتياح لدى أهل الأندلس ، حيث انها أتت بنتائج حسنة ، منها ارتداد جيوش ليون وقشتالـة الى بلاد هم منهزمين ، ولم يجرؤا بعد ها على غزو بلاد المسلمين فى الأندلس على عهـد المنصـور بن أبى عامـر ، وكذلك كشفت هذه الغزوة عن مواهب المنصور بن أبى عامـر العسكرية وقد رته الفائقـة فـى القتال ، ومن ثم بدأ نجمـه يظهـر فى الأندلس (٣) .

ولم يمض وقت قصـير على عودة المنصور بن أبى عامـر من غزوتـه الأولـى حـتى استعـد للخـروج لغـزو أراضـى ليـون فى غزوته الثانية . فخرج من قرطبة يوم عيد الفطـر سنة ٣٦٦ هـ / مايو سنة ٩٧٧م ، واجتمـع مع غالب قائد الثغـر الأعلى الأندلسى فـى مدينة مجريط (مدريد) على طريق وادى الحجارة (٤) ، ثم اخترق الجيشان أراضى ليون فاستوليا على حص

(١) : حصن الحامة : مكانه اليوم محلة تسمى بالأسبانية " لوس بانيوس" (Los Banos) أى الحمامات ، وهى على مسافة بعيد ة من سلمنقة (ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٦٠) .

(٢) : ابن الخطيب : نفس المصدر ، ق ٢ ، ص ٦٠
ـ ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، جـ ١ ، ص ٤٥

(٣) : انيس النصولى : الدولة الأموية فى قرطبة ، جـ ١ ، ص ١٢٨ - ١٢٩

(٤) : وادى الحجـارة : على بعد مسافة ٥٧ كم من مدريـد (شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ٢ ، ص ٦٩ - ٧٠) .

مولـة ، وغنمـوا كثيرا من العتـاد والسبي[١] . وكـان جيش غالـب فـي هـذه الغـزوة متفوقـا فـي القتـال ، الاّ ان غالب نسب هـذا النصـر الـى المنصـور بن أبـي عامـر . وفـي هـذه الغـزوة تحالف المنصـور بن أبـي عامـر مع غالب قائـد الثغر الأندلسي للأطاحـة بالحاجب جعفـر المصحفـي فعـاد غالب بجيشـه الـى الثغـر الاعلـى ، وقفـل المنصـور راجعـا الـى قرطبة منتصـرا ، فأزدادت شهرتـه ، وأصبح لـه نفـوذ قـوى لدى الخليفـة هشـام المؤيد باللـه[٢] .

وقـام المنصـور بن أبـي عامـر بأعداد الجيش وتجهيزه ، وخـرج فـي غزوتـه الثالثة فـي بداية شهـر صفـر سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ، قاصـدا طليطلـة واجتمـع فيهـا مـع صهـره غالب قائد الثغـر الاعلـى . فسـار الاثنـان بجيشهما فاقتحمـا حصـن المـال وحصـن زنبـق ، وفتح مدينـة سلمنقـة الواقعـة جنـوب غرب مملكـة ليـون وعاثـا فـي أرباضهـا[٣] واستوليـا علـى كثير من السبي والغنائـم ، ثـم عـاد المنصـور الـى قرطبـة بعـد أربعـة وثلاثين يومـا من خروجـه منهـا ، ومعـه عدد كبير من رؤوس النصـارى ، فأعجب بـه الخليفـة هشـام ورفعـه الى خطـة الوزارتين أسوة بصهـره غالب ، ورفع راتبـه الـى ثمانين دينـارا فـي الشهـر وذلـك تقديرا لانتصاراتـه علـى النصـارى ، وهـذا الراتب هـو راتب الحاجـب فـي ذلـك العصـر[٤] .

ومن أهـم غـزوات المنصـور بن أبـي عامـر ، غزوته الرابعـة ، حيث سـار بجيشـه الـى مملكـة ليـون النصرانية لمعاقبـة ملكهـا ردمير الثالث علـى مساعدتـه لخصمـه القائد غالب . وتقدمـت جيـوش المنصـور فحاصـرت سمورة الواقعـة

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦
-DOZY:OP.cit.,PP 476-477

(٢) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٢٨

(٣) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٦٧

(٤) : عنان : نفس المرجع ، ص ٥٢٩

شمال سلمنقة وذلك في شهر صفر سنة ٣٧١ هـ / يولية سنة ٩٨١م ، فهزم ملكهارد مير الثالث وهدمها واستباحها لجيشه . وقتل في هذه الغزوة أعدادا كبيرة من النصارى وأسر من المسيحيين عددا كبيرا ، كما هدم المنصور قرى مسيحية في هذه الغزوة ، وعاد راجعا الى قرطبة بعد ان كسب أموالا وسلاحا وأسرى من هذه الغزوة . (١)

وبعد هزيمة ملك ليون رد مير الثالث في هذه الغزوة سارالى غرسية فرناند كونت قشتالة ودخل معه في تحالف وانضم اليهم فيه ملك نبرة شانجة بن غرسية المعروف بسانشو أباركا (SANCHO ABARKA) وبذلك عقد ملوك المسيحية الثلاثة تحالفا لمحاربة المنصور. ولما علم المنصور بذلك ، خرج للغزو فسار الى طليطلة ، ووصل الى وادى دويرة الأوسط حيث كانت تقيم فيه جموع جيوش التحالف النصراني ، ونشب القتال بينه وبين ملوك التحالف المسيحي في ظاهر بلدة روضه (RUEDA) في شهر أغسطس سنة ٩٨١م في مقاطعة بلد الوليد على بعد خمسة وعشرين كيلو مترا من جنوب غربي شنت منكش . ودارت هناك معارك عنيفة بين الجيش الأسلامي الاندلسي والجيش الأسباني المسيحي كتب النصر فيها لجيش المسلمين ، وهزم جيش التحالف الثلاثي المسيحي ، وقتل منه عدد كبير ، واستولى المسلمون على قلعة شنت منكش ، وأسر المنصور بن أبي عامر في تلك الغزوة ما يقرب من عشرة آلاف أسير نصراني . (٢)

ثم عاد المنصور الى غزو مدينة ليون وذلك في ربيع الأول سنة

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٦٦ - ٦٧

(٢) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، ص ٣٣١ - ٣٣٢

٣٧٢ هـ / سبتمبر سنة ٩٨٢م . وحاول راميرو الثالث ملك ليون على رأس قوة من جيش ليون أعتراض المنصور ومنعه من دخول المدينة ، ولكنه لم يستطع مقاومة المنصور ، حيث هجم المسلمون على أبواب مدينة ليون ، ولكنهم لم يتمكنوا من فتحها وذلك لدخول الشتاء عليهم وكان قاسيا في هذا الفصل ، مما جعل المنصور يعدل عن فتح مدينة ليون ، ويعود بجيشه الى قرطبة منتصرا على التحالف المسيحي ضده . وبعد هذه الغزوة تلقب بالمنصور (١)

وبعد عودة المنصور بن أبي عامر من غزوة ليون ، ساءت الأحوال الداخلية في مملكة ليون ، وذلك لكثرة هزائم ملكها رامير الثالث. فقد قامت ضده ثورة في جليقية أهم ولايات مملكته حيث هزمهم برمود الثاني (٣٧٢ - ٣٨٩ هـ / ٩٨٢ - ٩٩٩م) - ابن عمه - عندئذ فر رامير و الثالث الى استرقة ، والتمس مساعدة المنصور بن أبي عامر ، الا انه توفي في عام ٣٧٤ هـ / يونيه ٩٨٤ م ، فحاولت أمه ان تحكم البلاد بمساعدة المنصور ابن أبي عامر ، ولكن المنصور رفض مساعدتها ،وعند ذلك أدرك برمود انه لا يستطيع وحده أخضاع النبلاء النصارى الذين رفضوا الاعتراف بحكمه على عرش مملكة ليون . لذلك لجأ الى المنصور بن أبي عامر ووضع نفسه تحت حماية المنصور الذى ساعده على مقاومة بعض نبلاء ليون . وأبقى المنصور حامية كبيرة من الجيش الاسلامي في ليون ، كما وافق برمود على دفع جزية سنوية للمنصور ، وبذلك أصبحت مملكة ليون أول مملكة نصرانية تابعة للدولة العامرية الاسلامية في الاندلس وتتقيد بأوامرها . (٢)

---

(١) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا ،ص ٣٤٠

(٢) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٤٢

لم يدم السلم طويلا بين المنصور بن أبي عامر وملك ليون برمود الثاني . وذلك بعد ان ترك المنصور حامية من الجيش الأسلامي في مملكة ليون النصرانية في حملته سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٤م ، اذ أنه لم تستقر الأحوال في مملكة ليون نظرا لما كان يحدث من شغب مستمر بين الحامية الأسلامية فيها والنصارى . فلما استتب لبرمود الثاني أمر مملكة ليون أخذ يترقب الفرصة لأخراج الحامية الأسلامية من ليون ، فتم له ذلك ، حيث أعد جيشا من النصارى استطاع بمعونته طرد المسلمين الى خارج حدود مملكته . وعند ما علم المنصور بن أبي عامر بخبر طرد الحامية الأسلامية من ليون ، قام بأعداد الجيش وتأهب لغزو مملكة ليون ، وذلك ردا على طرد المسلمين منها . فاتجه شمالا مخترقا أراضي ليون ، وسار غربا الى مدينة قلمرية الواقعة شمال البرتغال وهي على مقربة من المحيط ، فاستولى عليها في سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧م ، ثم دمرها حتى أصبحت قاعا صفصفا مدى سبع سنوات .

وفي العام التالي (٣٧٨ هـ / ٩٨٨م) عاد المنصور لغزو ليون حيث خرج في ربيع هذا العام في جيش ضخم عبر به نهر دويرة وأخترق أراضي ليون . وعند ما سمع برمود الثاني ملك ليون بوصول المنصور على رأس جيشه ، رابط بقواته في سمورة (١) اعتقادا منه ان المنصور سيبدأ بالهجوم عليها . ولكن المنصور اتجه رأسا الى مدينة ليون فقاومته حينا لمناعتها ، الا انه استطاع اختراق أسوارها بعد قتال عنيف ، وقد قتل في هذه المعركة قائد مدينة ليون الكونت جونز الفوكنتثالث ، ودخلها المسلمون فخربوها وقتلوا معظم من فيها ، وتركها المنصور أطلالا . ثم اتجه

(١) : مدينة سمورة : تقع على هضبة عالية يجرى تحتها الوادى الجوفى ، وقد استولى عليها العرب في عهد عبد الرحمن الداخل وسكنها المسلمون ، وبعد موت الحكم المستنصر استرجعها النصارى الى ان جاء المنصور بن ابى عامر فاستولى عليها سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م . (شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ٢ ، ص ٥٧) .

الى سمورة ، وفى طريقه اليها أحرق عددا من الأديرة المسيحية منها دير اسلونزا ، وسهاجون العظيمين ، وحاصر سمورة مما اضطر برمود الى مغادرتها سرا ، وقام سكانها بتسليم المدينة الى المنصور بن أبى عامر الذى أمر بنهبها معاقبة لأهلها على حمايتهم لبرمود الثانى ملك ليون ، كما اضطر معظم نبلاء مملكة ليون الى الاعتراف بسيادة المنصور بن أبى عامر عليهم ، وبذلك لم يبق فى حوزة برمود الثانى من مملكته سوى الرقعة الجبلية الشمالية الغربية من جليقية (١) .

ظل السلام قائما على الجبهة الليونية الأندلسية ، كما استطاع برمود الثانى بعد فترة طويلة اخضاع مملكة ليون لحكمه . واستمر الهدوء على مملكة ليون حتى خريف عام ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م حيث اكتشف المنصور مؤامرة ابنه عبد الله وعبد الله بن عبد العزيز المروانى للاطاحة به . وكان عبد الله بن المنصور قد فر الى قشتالة ، وفر عبد الله بن عبد العزيز المروانى الى برمود الثانى ملك ليون الذى منحه الحماية . وكان برمود الثانى قد ساءت أحواله فى ليون ، حيث أصبح النبلاء الاقطاعيون مسيطرين على سائر أراضى ليون وضياعها . ولم يبق لبرمود الثانى سوى الأسم فقط ، فاضطر الى مغادرة ليون الى استرقة وجعلها عاصمة لملكه . ففزاها المنصور فى تلك السنه وتقابل مع برمود الثانى فى استرقة ، ونشبت بينهما معارك قتالية ، هزم فيها برمود الثانى ، وطلب الصلح والسلم مع المنصور ، وسلمه عبد الله بن عبد العزيز المروانى ، وتعهد بدفع الجزية

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٤٧ - ٥٤٨
ـ على أدهم : منصور الأندلس ، ص ٩٣

للمنصور . واستمر المنصور مواصلا غزواته ، فاستولى على مدينة سمورة ، واسكن بها المسلمين ، وولى عليها أبو الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبى عاملا له عليها .(١)

أما أشهر غزوات المنصور بن أبى عامر على الاطلاق فهى غزوة شنت ياقب . حيث أعد لها جيشا ضخما مزودا بالسفن الحربية . ومدينة شنت ياقب ، قاصية غليسية ، وأعظم مشاهد النصارى الكائنة بأسبانيا ، وما يتصل بها من الأرض الكبيرة(٢) . وهذه الغزوة هى غزوته الثامنة والأربعون . وعزم المنصور أولا السير الى جليقية ، وهى منطقة فى قاصية أسبانيا الغربية وتعتبر لنأيها ووعورتها أمنع مناطق أسبانيا النصرانية وأبعدها عن متناول الفاتحين . ولم يفكر أحد من المسلمين الفاتحين منذ أيام طارق بن زياد ان يقصد تلك المنطقة الجبلية الوعرة ، لما يعترض الوصول اليها من صعاب هائلة .

ولكن المنصور قرر ان يغزو جليقية لسببين ، الأول انها كانت ملاذا وملجأ لملوك ليون يلجأون اليها كلما أرهقتهم الغزوات الأسلامية . والسبب الثانى انها كانت مستقرا لمدينة شنت ياقب الدينية ، وكنيستها مقصد أسبانيا النصرانية ومزارها المقدس ، ورمز علاقاتها الروحية (٣) واليها يحجون من أقصى بلاد رومة وما ورائها ، ويزعمون ان القبر المزار فيها قبر ياقب (يعقوب) أحد الحواريين الاثنى عشر ، وكان أخصهم بعيسى عليه السلام ،

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩
— عنان : المرجع السابق ، ص ٥٥٢

(٢) : أى بلاد الغال

(٣) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٥٩

وهم يسمونه أخاه للزومة أياه ، وقد زعم جماعة منهم انه ابن يوسف النجار. ومدينة شنت ياقب (أى القديس يعقوب) بها مدفن ياقب ، وياقب بلسانهم يعقوب ، وكان أسقفا ببيت المقدس ، فجعل يستقرى الأرضين داعيا لمن فيها ، فجاز الأندلس حتى انتهى الى هذه القاصية المسماه بشنت ياقب ، ثم عاد الى أرض الشام ، فقتل بها ، وله من العمر مائة وعشرون سنة ، فحمل أصحابه جثته ودفنوها بهذه الكنيسة التى كانت أقصى أثره ، ولم يطمع أحد من ملوك وأمراء الأسلام فى الأندلس فى قصدها ولاء الوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبعد شقتها .(١) وبعد دفن يعقوب أقاموا على قبره تلك الكنيسة العظيمة التى يحجون اليها من جميع أنحاء العالم المسيحى ، ولا تزال مدينة شنت ياقب هى القاعدة الدينية للأسبان . والأساطير الأسبانية القديمة تشير الى ان شنت ياقب كان يخرج للجنود المحاربين الأسبان على شكل ملاك بيده سيف ويمتطى فرسا أبيض ، ثم يأخذ فى معاونتهم على قتال المسلمين فى المعركة حتى يكتب لهم النصر ، ولذلك أطلق عليه الأسبان Matamoros أى (قاتل المسلمين) . وعلى الرغم من ان بعض المؤرخين الأسبان المحدثين قد أبدوا شكا كبيرا فى ان شنت ياقب مدفون فى اسبانيا ، الا ان الأسبان فى العصر الوسيط قد آمنوا بهذا القديس وبمعجزاته وأتخذوه رمزا قوميا فى حروبهم مع المسلمين . وعلى هذا الأساس كانت نظرة الأسبان الى شنت ياقب تخالف بعض الشىء نظرة العالم المسيحى له ، فالأوربيون بصفة عامة ينظرون اليه على انه القديس الذى يحجون اليه أما الأسبان فينظرون اليه على انه شنت ياقب الملاك المحارب(٢) .

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ،ص ٢٩٤
— ابن الخطيب : أعمال الاعلام ،ق ٢ ،ص ٦٧-٦٨

2-JAN READ:OP.cit., PP 89-91

ومن هنا ندرك حرص المنصور بن أبي عامر في هذه الغزوة على الوصول الى كنيسة شنت ياقب (سنتياجو) وهدمها ، وكان غرضه بدون شك هو تحطيم الأسطورة الحربية لشنت ياقب المزعوم ، وطعن الأسبان في صميم زعامتهم الدينية والقومية (١) .

فخرج المنصور بن أبي عامر لهذه الغزوة في الثالث والعشرين من جمادى الثانية سنة ٣٨٧ هـ / ٣ يوليه سنة ٩٩٧م ، على رأس جيش عظيم من رجال الأندلس ، ودخل مدينة قوريية وواصل زحفه الى مدينة غلسية ، حيث وفد عليه عدد كبير من القوامس (الكونتات) المتمسكين بطاعته فصاروا في عسكر المسلمين يجاهدون معه في هذه الغزوة ، ثم تحرك المنصور بن أبي عامر على رأس هذا الجيش . وفي الوقت نفسه تحرك الأسطول البحري الأندلسي الذي أعده المنصور لهذه الغزوة الكبرى من مرساه أمام قصر أبي دانس على ساحل الأندلس الغربي ، مجهزا برجاله البحريين وصفوف المشاة ، والأقوات والأسلحة التي ملأ بها استظهارا على نفوذ العزيمة (٢) . فخرج المنصور الى موضع برتقال على نهر دويرة ، فدخل في النهر الى المكان الذي أعده للعبور منه ، فعقد هناك من هذا الأسطول جسرا بقرب الحصن الذي هناك ، ووزع المنصور ما كان فيه من الميرة على الجند ، فتوسعوا في التزود منه الى أرض العدو ، ثم تابع سيره قاصدا شنت ياقب فوصل الى بسائط جليلة من بلاد فلطاريش ومباسيطه والدير وما يتصل بها ، ثم أفضى الى جبل

---

(١) : أحمد العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٤٨ - ٢٤٩

(٢) : المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢١٧

شامخ شديد الوعورة لا مسلك فيه ، ولا طريق ، ولم تهتد الأدلاء الى سواه ، فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعابه وتسهيل مسالكه ، فقطعه الجيش وعبروا بعده وادي منية ، وساروا في بسائط عريضة ، وقصدوا دير قسطان وبسيط بلبنوط على البحر المحيط ، وفتحوا حصن شنت بلاية ، وعبروا الى جزيرة من جزر البحر المحيط ، لجأ اليها خلق عظيم من أهل تلك النواحي من النصارى ، واسر المسلمون من فيها ممن لجأ اليها (١) .

وواصل المنصور بجيشه مسيرته الى جبل مراسية المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط ، فتخللوا أقطاره ، وأخرجوا من كان فيه ، وغنموا منه غنائم كثيرة ، ثم أجتاز المسلمون بعد ذلك خليج اورقى في معبرين أرشد الأدلاء اليهما ، ثم الى نهر أيلة ، ثم دخلوا بعدها في بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة ، منها بسيط أوبنة وقرجيلة وديرشنت برية ، ثم انتهوا الى خليج ايلياء ، وهو من مشاهد ياقب صاحب القبر ، يتلو مشهد قبره عند النصارى في الفضل ، يقصده نساكهم من أقاصي بلادهم ، ومن بلاد النوبة وبلاد القبط وغيرها ، فغادره المسلمون قاعا (٢) . وأشرف المسلمون على مدينة شنت ياقب في يوم الأربعاء من شهر شعبان سنة ٣٨٧ هـ / ١١ أغسطس سنة ٩٩٧م ، فوجدوها خالية من أهلها وكانوا قد غادروها حين أقترب المنصور بجيشه منها . فدخلها المسلمون وأستولوا على غنائم ضخمة فيها ، وهدموا أسوارها ومصانعها وكنيستها العظمى ، وأستولوا على سائر ما فيها من الذخائر والتحف ، وأمر

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٥
- علي أدهم : منصور الأندلس ، ص ١٢٣ - ١٢٦ -JAN READ:OP.cit.,P 89

(٢) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٣٢
- شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ٢ ، ص ٦٥ - ٦٦

المنصور بصون قبر القديس ياقب القائم وسط الكنيسة ، والمحافظة عليه . ولم يجد المنصور في الكنيسة سوى رجل واحد من شيوخ الرهبان جالسا عند القبر ، فسأله المنصور عن مقامه ، فأجابه الراهب بقوله : أونس يعقوب . فتركه وأمر بالكف عنه . واستمر المنصور في زحفه على بلاد النصارى فوصل جزيرة شنت مانكش منقطع هذا الصقع على البحر المحيط ، وهي غاية لم يبلغها قبله أي مسلم ، ولا وطأها لغير أهلها قدم ، فلم يكن بعدها للخيل ولا وراءها انتقال (١).

وأخذ المسلمون أبواب كنيسة شنت ياقب ونواقيسها وأجراسها (٢) وحملها أسرى النصارى على رؤوسهم حتى وصلوا بها قرطبة ، حيث وضعت الأبواب فيما بعد في سقف الزيادة التي أنشأها المنصور في المسجد الجامع بقرطبة ، وعلقت النواقيس ثريثات للمسجد (٣) ، كما أستخدمت أجراس الكنيسة مشاعل ينيرون بها على منازلهم ، ولم يعرف عهد في تاريخ الأندلس - اذا استثنينا عهد عبد الرحمن الناصر - تألق فيه نجم الأسلام كما تألق في عهد المنصور بن أبي عامر موسس الدولة العامرية في الأندلس (٤).

وقد نظم الشاعر بن دراج القسطلي في تهنئة للمنصور بغزو شنت ياقب قصيدة مطولة مطلعها :

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦

(٢) : يقول جان ريد : انه عند ما سقطت قرطبة في أيدى المسيحيين الأسبان ، أعيدت هذه الأجراس مرة أخرى الى كنيسة شنت ياقب : أنظر
-JAN READ:OP.CIT.,P91

(٣) : أحمد العبادى : المرجع السابق ، ص ٢٤٩

(٤) : فليب حتى : تاريخ العرب ، جـ ٢ ، ص ٦٣٤ - ٦٣٥

اليوم أنكس ابليس على عقبه ... مبرءا سبب الغاوين من سببه

واستيقنت شيع الكفار حيث نأت ... في الشرق والغرب ان الشرك من كذبه

بشنتاقة لما ان دلفت له ... بالبيض كابد ريسرى في سنا شهبه

وجلة الدين والأسلام عاطفة ... عليك كالفلك الجارى على قطبه (١) .

ولم يلبث ان مات برمود الثاني ملك ليون عام ٣٨٩ هـ / ٩٩٩م وترك طفلا صغيرا يسمى الفونس الخامس الذى قام الصراع بين النبلاء على الوصاية عليه . وبتولية الفونس الخامس الطفل عرش مملكة ليون انتقل مركز الثقل السياسي الى قشتاله التى أصبح بلاطها أقوى البلاطات في شمال أسبانيا النصرانية في ذلك الوقت . ومن جهة ثانية لم يلبث ان مات المنصور بن أبي عامر سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٢ م ، فتنفس ملوك النصارى جميعا الصعداء لأنهم كانوا يكرهونه من أعماق قلوبهم وذلك لما سبب لهم من غزو وتخريب بلادهم وقتل وسبى الكثير من الأسبان النصارى (٢) .

وتولى بعده حكم الأندلس ابنه عبد الملك (٣٩٢- ٣٩٩هـ) . الذى واصل سياسة أبيه في غزو بلاد النصارى ، التى كانت قد نقضت عهد الصلح الذى أبرمته مع أبيه ، فغزاهم عبد الملك أثناء حكمه للأندلس سبع غزوات (٣) .

وأول ما قام به عبد الملك بعد توليته مقاليد الحكم في الأندلس أن وطد الأمن والأستقرار ، ثم قام بأعداد الجيش الأندلسي لمواصلة غزوات أبيه في الممالك النصرانية ، حيث كانت تأتيه أخبار الثغور عن خروج

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٦١

(٢) : ابن بسام : الذخيرة ، ص ٦٤ - ٦٥

(٣) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٤

— السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٣٣٦

بعض ملوك النصارى من السلم الذى عقدوه مع أبيه (١) .

وكان عبد الملك قد عقد صلحا فى سنة ٣٩٣ هـ مع كونت قشتاله سانشو غرسية الذى كان دافعه الى عقد هذا الصلح كراهيته الشديدة لكونت جليقية الذى فاز بالوصاية على الفونسو الخامس ملك ليون الطفل .

وفى سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م جرد عبد الملك حملة لغزو ليون ، ولما وصل الى طليطلة لحق به الفتى واضح على رأس قواته ، وايضا سانشو غرسية فى بعض قواته القشتاليين . وفى طليطلة سار عبد الملك بجيشه شمالا نحو أراضى ليون ، وبعث فتاه واضح فى جيشه الى سمورة ففتحها ، وكانت قد خربت فى عهد المنصور . وواصل عبد الملك زحفه الى جليقية والى جانبه كونت قشتاله سانشو غرسية ، وفى طريقه اليها أقتحم أراضى بنى غومس ، ودمر القرى والمدن التابعة الى مملكة ليون وأهمها بلدة لونة الحصينة . وقد استولى عبد الملك فى هذه الغزوة على كثير من الغنائم والسبى ، وعاد بعدها الى مدينة الزاهرة عاصمة الدولة العامرية (٢) .

وفى سنة ٣٩٩ هـ مات عبد الملك وتولى بعده حكم الدولة العامرية أخوه عبد الرحمن المعروف بشنجول الذى لم يكن فى مقدرة أخيه أو كفاءة أبيه . وقد ارتكب عبد الرحمن غلطة العمر عندما أجبر الخليفة هشام المؤيد بالله على تعيينه وليا للعهد ، فأثار بذلك الأمويين وعامة أهل الأندلس .

---

(١) : ابن بسام المصدر السابق ، قـ ٤ ، ص ٦٣- ٦٤

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١١ - ١٢

— على محمد حموده : تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ، ص ٢٣٤- ٢٣٥

وكانت غزوة عبد الرحمن في جليقية أول وآخر غزوة له أثناء حكمه للأندلس . وقد توغل في جليقية ، ولكن جيشها لم يتقدم للقائه وأوقف زحفه بعد أن اكتفى كونت جليقية باعتصامه بالجبال القريبة من جليقية ، ولم ينقذه من أيدى القوات الأسلامية الا أنباء الثورة التى قامت فى قرطبة ضد عبد الرحمن وضد الخليفة هشام المؤيد بالله ، الأمر الذى أجبر عبد الرحمن على العودة الى قرطبة . وهناك قتل ثم صلب على أحد أبواب قرطبه سنة ٣٩٩هـ ، وبمقتله أنتهت الدولة العامرية (١) .

الغزوات ضد مملكة نبرة

فى أثناء غزوة المنصور لمملكة ليون سنة ٣٧٨ هـ / يونيه سنة ٩٨٧م قام البشكنس (النافاريون) بقيادة ملكهم سانشو بالاغارة على أراضى الثغر الشمالى للأندلس ، فعاد المنصور لقتالهم ، وزحف الى مدينة بنبلونة عاصمة مملكة نبرة . وهنا تقول الروايات النصرانية ان البشكنس هاجموا المسلمين ثم انتصروا عليهم فى آخر هذه السنة . وتضيف هذه الروايات الى ذلك ان جيشا من الفرنسيين سار فى نفس الوقت الى برشلونة تعززه السفن من البحر ، فأستولى عليها من المسلمين . وسنرى فيما بعد ان المنصور عند ما غزا برشلونة لم يكن يقصد الأحتفاظ بها ، وانما أكتفى بتأديب كونتها بأن خربها وأحرقها .

الا ان الرواية الأسلامية تحدثنا عن غزوة المنصور بن أبى عامر هذه لمملكة نبرة النصرانية دون ان تشير أية أشارة الى هزيمة المسلمين فيها .

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٣٩
ـ ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، المجلد الثامن ، ص ٦٧٩

وهذه الغزوة تسمى بغـزوة البياض ، وقد حدثت سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩م عاد بعدها المنصور ابن أبى عامر بجيشه الى سرقسطـه حيث التقـى بولـده عبد الملك أثـر عودته منتصـرا من حروبـه فـى المغـرب الأقصـى (١) .

وواصل المنصـور بن أبى عامـر الجهـاد . وكانت لـه فى كل غـزوة من غزواتـه التى تزيد عن الخمسين غـزوة مفخـرة من المفاخـر الأسلامية . ومن أمثلة ذلك الدالـة علـى قوة بأسـه وشدة مهابتـه فـى قلوب النصارى انه حدث فى أحدى غزواته ان أحـد الجند فى جيشـه نسى رأيتـه مركوزة علـى جبـل بقـرب أحدى مدن النصارى ، فبقيت عـدة أيـام . وكـان النصارى يعتقدون ان المنصـور لا زال مقيمـا بجيشـه خلـف الجبـل ،فلم يجرؤوا علـى الأقتراب من المكـان الذى نصبت عليـه الرايـة ، وهـذه مفخـرة من مفاخـر أهـل التوحيـد علـى أهل الشرك النصارى (٢) .

ومن مفاهـره ايضـا انه فـى بعـض غزواتـه علـى بلاد النصـارى اجتاز بجيشـه فـى طريق ضيق بين جبلين عظيمين فـى طريق بريد فـى بلاد الأفرنج (٣) فأوغل فـى بلاد هـم وشـن الغارات عليهـا ، فغنـم وسبى منهـا الكثير ، وخـرب أكـثر مدنهـا النصرانيـة ، ولـم يجرؤ أحـد من الأفرنج علـى لقائـه . وعند ما أراد الخروج من ذلك الممـر ، رأى ان النصارى قـد سدوا عليه الطريق الضيق الذى بين الجبلين ، وكان وقت شتاء ، ولمـا رأى المنصـور ما عملـه الأفرنج ، قام فأظهـر انه يريد المقام فـى بلاد هـم ، فأمـر بنـاء المنـازل وزرع الأرض ،وبث السرايا لشن الغارات علـى المـدن المجـاورة مـن مكانـه ، وغنمـت

---

(١) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٤٧ ، ٥٤٨

(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ،ص ٥٩٥ - ٥٩٦

(٣) : أى الأسبان النصـارى .

جيوشه كثيرا من المال والسلاح ، وقتل عددا كبيرا من الأفرنج ، والقى جثثهم حتى سد بها مدخل الممر من جهته (١) .

وعند ما طال بقاء المنصور فى الممر ، بعث اليه الأفرنج النصارى رسلهم لتفاوضه ، وتطلب الصلح معه على ان يخرج من بلادهم محملا بغنائمه وسبيه . فأجابهم المنصور بقوله : ان أصحابى أبوا ان يخرجوا ، وقالوا أننا رأينا ان الوقت لا يتسع للعودة الى قرطبة ، لأن موعد الغزوة التاليه أصبح قريبا ، لهذا عزمنا على الاقامة هذه الفتره القصيرة . ففزع الأفرنج من بقاء المنصور وأحتلال المسلمين لبلادهم ، فواصلوا مفاوضاتهم مع المنصور (٢) . فطلب منهم ان يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبى ، وان يمدوه بالميرة حتى يصل الى بلاده ، وان ينحوا له جيف قتلاهم عن طريقه بأنفسهم ، فوافقوا على طلبه ، وعاد الى قرطبة محملا بالأموال والسبى . وكان المنصور لا يعود من غزوة الا ويستعد لتجهيز غزوة أخرى . ومن أخباره أثناء عودته من هذه الغزوة ان لقيته أمرأة وشكت اليه ان لها أبنا أسيرا فى بلاد الأفرنج ،وعرفته بأسم تلك البلاد فلمأنها المنصور ، وأعد جيشا لغزو تلك البلاد المسيحية ، وأطلق سراح أسرى المسلمين منها (٣) .

وتولى عرش مملكة نبرة بعد وفاة شانجة إبنه غرسية (٣٨٤ - ٣٩٠ هـ /٩٩٤ - ١٠٠٠ م) . ولم يكن هذا الملك فى مقدرة أبيه فقد أطلقت عليه الروايات النصرانية لقب غرسية المرتعد . ولم يحاول هذا الملك ان يرفع

---

(١) : ابن الأثير : المصدر السابق ، المجلد الثامن ،ص ٦٧٨
(٢) : لين بول : قصة العرب فى أسبانيا ،ص ١٥٠ - ١٥٢
(٣) : المقرى : المصدر السابق ، جـ ١ ،ص ٥٩٧

راية العصيان على المنصور بن أبي عامر ، واكتفى بأن أقام معه ومع جيرانه من أمراء قشتاله علاقات الصداقة والسلم (١).

ولم تمض فتره حتى توفى غرسية ملك نبرة وتولى الملك من بعده أبنه الصغير المسمى شانجة الأول (٣٩٠- ٤٢٩ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٣٩ م) ، وكان قد رحل مع امه الى برغش عاصمة قشتاله وتربى هناك . وبعد سنتين توفى المنصور ، وخلفه على حكم الأندلس ابنه عبد الملك . وفى سنة ٣٩٦ هـ /١٠٠٦م قام عبد الملك بغزوته الرابعة لمملكة نبره.وقد خرج من الزاهرة يوم الجمعة ١٢ شوال قاصدا بلبلونة عاصمة نبره ، وبدأ بالاغارة على بسيط حصن بنيونش ، وشنت يوانش ، وعاث جيش المسلمين فى أراضى نبره وقتل عددا كبيرا فيها ، وكتب الله النصر لعبد الملك . وبينما كان عبد الملك يواصل الغزو فى هذه الغزوه انقضت على المسلمين عاصفة رعد وبرق ومطر غزير ، تخللها قصف ورعد مفزع وبرد شديد قارس ، ألبست المسلمين خشوعا واستكانة ، فدعوا الله ضارعين فى كشف ما بهم ، والاّ يشمت بهم عدوهم وعدو الأسلام ، فاستجاب الله لدعائهم ورحم تضرعهم ونشر رحمته عليهم فى هذه الغزوة ، فعادوا الى بلادهم وهم منتصرون على عدوهم (٢).

ولم يسفر هذا الصراع الطويل بين مملكة نبره وبين حكام الدولة العامرية فى الأندلس ومن قبلهم الأمويين فى القرن الرابع الهجرى ، الاّ عن تدمير شامل للعاصمة بنبلونة ولكثير من المدن والحصون فى مملكة نبرة وصارت نبرة مملكة خاضعة لحكومة قرطبة طوال القرن الرابع الهجرى (٣).

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ، ص ١٤٤

(٢) : ابن عذارى : نفس المصدر ،جـ ٣ ،ص ١٢- ١٣
— السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ،ص ٣٤١- ٣٤٢

(٣) : رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٨٢- ١٨٤

الغـــزوات ضـــد امـــارة قشتالـــه :-

كـــان المنصـــور بن أبـــي عامـــر قـد تمرس فـي بلاد المسيحيين وأوقع بهـــم هـــزائم عديدة وجعـــل بلاد هـــم لا تنعـــم بالأستقـــرار . وأضافـــة الى غزواته علـــى بلاد النصـــارى كان يبعث رسلـــه الـى الممالك النصرانيـــة ليطلـــع على أخبـــار تلك الممالك أولا بأول ؛ ومـــن ذلك أن أحـــد رسلـــه ســـار الى غرسيه كونت قشتاله فأكرمـــه . وبينمـــا هـــو يتجول علـــى كنائس قشتالـــه أوقفتـــه أمرأة قديمـــة الأســـر فى الكنيســـة ، وأخبرتـــه بنفسهـــا ،وقالت : أيرضـــى المنصـــور أن ينســـى بتنعمـــه بؤسهـــا ، ويتمتـــع بلبوس العافيـــة وقـــد نضب لَبُوسهـــا . وزعمت ان لهـــا عدة سنيين مسجونة بتلك الكنيســـة ، وناشدتـــه اللـــه فـــى فك حبسهـــا . ولمـــا وصـــل المبعوث الى الأندلس أخـــبر المنصـــور بقصـــة تلك المرأة ، فقـــام المنصـــور وســـار بجيشـــه غازيا بلاد قشتاله . وعند مـــا علـــم غرسيه بمقدمـــه ، كتب اليـــه يخبره بأنـــه ما أرتكب ذنبـــا ولا خرج عـــن طاعتـــه ،فاعلمـــه المنصـــور بقضية تلك المرأة السجينة فـــى أحدى الكنائس ،فبعث اليـــه غرسيه بتلك المرأة ، وأقســـم انه لم يبصرهـــا ولا سمع عنهـــا . وتحقيقا لطاعته للمنصـــور أمـــر غرسيه بهـــدم تلك الكنيســـه ، فعـــاد المنصـــور الـــى قرطبـــه . (١)

الا ّ ان غرسيـــه لـــم يستمـــر فى ولائـــه للمنصـــور ، فقد لجأ اليـــــه عبد الله بن المنصـــور الذى ثار علـــى أبيـــه المنصـــور ،وهـــرب الـــى غرسيه الذى وجـــد الأمـــان عنـــده وحرضـــه علـــى الثورة ضـــد أبيـــه . فما كان من المنصـــور بن أبى عامـــر الا ّ ان أعـــد جيشـــا قويـــا لغـــزو قشتالـــه عقابا لأميرهـــا غرسيه بن فرناند يز لمناصرته لأبنـــه عبد اللـــه ،فاستولـــى علـــى حصـــن أوسمـــه (وخشمـــه) وأسكنه بالمسلمـــين .

---

(١) : ابن عذارى : نفس المصدر ،جـ ٢ ،ص ٢٩٧ - ٢٩٨

وعند ذلك أعلن غرسيه قبوله لشروط المنصور بتسليم ابنه عبد الله اليه ، حيث أمر المنصور بقتله وذلك في عام ٣٨٠ هـ / ٩٩٠م .(١) ولم يصفح المنصور عن غرسيه كونت قشتاله لأيوائه ابنه عبد الله ، فقام بتحريض ابنه سانشو غرسيه على الثورة على أبيه ، وأمده المنصور بعدد من كونتات النصارى . وبينما كان غرسيه منشغلا في حرب أهليه مع ابنه سانشو ، قام المنصور وهجم على حصون سان ستيفان (شنت اشتين) وكلونيه ،واستولى عليهم . وبعد هذا تقابل جيش المنصور مع غرسيه على ضفاف نهر دويرة على مقربة من بلدة القصر،وأسر غرسيه في تلك المعركه ، وذلك في ١٥ ربيع الثاني سنة ٣٨٥ هـ /٢٥ مايو سنة ٩٩٥م .(٢) وحمل غرسيه الى مدينة سالم لمعالجة جراحه التي حدثت له في تلك المعركه ،الاّ انه مات بعد ذلك متأثرا منها ، وحز رأسه وأرسل في تابوت الى قرطبة ،وأمر المنصور بتسليم جثته الى ولده سانشو الذي تولى حكم قشتاله (٣٨٥ - ٤٠٧ هـ / ٩٩٥ - ١٠١٧ م) وعقد مع المنصور صلحا تم بموجبه ان يدفع له الجزيه.(٣)

ومن عجائب القدر أن شاعر المنصور أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادي ،أهدى المنصور ايلا وفي عنقه حبل ، وسماه غرسيه باسم كونت قشتاله ، وبعثه الى قصر المنصور،وذلك في ١٥ ربيع الثاني سنة ٣٨٥ هـ ،في اليوم الذي أسر فيه غرسيه ، وقد كتب عليه أبياتا شعرية . منها :

---

(١) : ابن عذارى : نفس المصدر ،جـ ٢ ،ص ٤٢٤

(٢) : عنان : دولة الأسلام في الأندلس ، ع ١ ،ق ٤ ،ص ٥٥١ - ٥٥٢

(٣) : ابن بسام : الذخيرة ،ق ٤ ،م ١ ،ص ٣٠ - ٣١

-JAN READ:OP.cit.,P.89

يا حرز كل مخوف وأمـان كـل	مشـرد ومعـــز كـل مذلـــل
يا سلك كل فضيلة ونظـام كـل	جزيلة وثـراء كـــل معيـــل
عبد جذبت بضبعـه ورفعـــت	من مقداره أهدى اليـك بأيـل
سميته غرسيـه وبعثتـــــه	من حبله كيما يتـاح تفاؤلـــى
فلئن قبلت فتلك أنفـــــس	منـه أسدى بها ذو منحة وتطول(١)

وقـام المنصـور بغزوات علـى بلاد النصـارى ، بعـد غـزوة شنت ياقب، الاّ ان المصـادر الأسلاميـة لم تذكـر تفاصيلهـا ، كمـا قـام بغـزو نبره فـى عـام ٣٨٩ هـ / ٩٩٩م . وفـى العـام التالـى أى سنة ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م سـار المنصـور بجيشـه قاصـدا أراضـى قشتالـه ،وكانت هـذه الغـزوة من أشـد الغزوات حربـا علـى المنصـور ، وذلك ان قشتالـه نجحت فـى انشـاء جبهـة موحـده ضـد المنصـور تشمل جميـع ملوك النصرانيـة من بنبلـونة الـى استرقـه فـى أقصـى الغـرب حيث تحالفـوا علـى محاربتـه ، وذلك تحت زعامـة سانشـو غرسيه كونت قشتاله . وحشـد أمـراء نبره وقشتالـه وليون قواتهـم ، وكانت القيادة العليـا للنصـارى فـى يد أمـير قشتالـه ، ذلك ان ملك نبره كان طفـلا صغيرا يعيش فـى بلاط قشتالـه ، وكذلك الفونسـو الخامس ملك ليـون كان ايضـا طفـلا تحت وصايـة أحـد كونتات جليقيه . لذلك كانت قشتالـه هـى محـور المقاومـه ومركز الثقـل فـى الصدام العسكـرى مـع المسلمين منذ ذلك الحين . فجمع سانشـو غرسيه سائـر قومـه فى وسط قشتالـه بوادى دويره الأدنـى خلف الحاجـز الجبلـى الوعـر المسمى بصخـرة جربيره ،وتعاهـد ملوك وأمـراء النصـارى علـى الثبات فـى القتـال وعـدم الفـرار . وتجمع جيش النصارى

(١) : ابن الخطيب : أعمـال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٦٨ - ٦٩

فـي جبـل جربيره الـذى اتخـذوه معسكـرا لهـم . فرأى المنصـور ان يباد ر أعداءه بالقتـال ، فاقتحـم قشتالـه من ناحيـة مدينة سالـم ، ووجـد سانشـو فى جمـع عظيـم ومعـه جيوش النصـارى وملوكهـا وأمراؤهـا . فهالـه ما رأى من وعـورة جربيرة ، وحصانـة المراكـز التى تحتلهـا جيوش النصـارى ، ووفرة جموعهـم وكثرة عد دهـا . ورأى سانشـو أن يعجـل بمهاجمـة المسلمين قبل ان يوطـدوا مراكزهـم ، فاند فـع النصـارى فـي هجـوم عنيف علـى المسلمين ، واشتعلت المعارك مـن كـل ناحيـة فاند فـع النصـارى علـى الميمنـة والميسـرة د فعـة واحـد ة ، ود ارت الحـرب واشتد القتـال ، ونظـر من خلف هؤلاء المحامين من المسلمين الـى ضنك المقـام ، فد هشـوا وانحلت قلوبهـم ، وقصـر أكثرهـم وعمـد الـى الفـرار كثير منهـم . وكاد ت الهزيمـة تقـع بالمسلمين لولا عنايـة اللـه ونصره أياهـم ، ثـم صبر المنصـور حيث لـم يبق معـه سوى أشخـاص قليلين من جيشـه ، فرفـع المنصـور يد ه الـى السمـاء وقال : اللهـم انهـم خلونـى فانصرهـم ، وافرد نى فاصحبهـم . وكان ولد اه عبد الملك وعبد الرحمن يقود ان قلب الجيش الأسلامى الذى كـان يتألـف معظمـه من البربـر الذين صمد وا معهمـا فـى مواجهـة النصـارى وطلـع المنصـور الـى رابيـة مشرفـة علـى المعركـة ، وأخـذ يحث رجالـه على الثبـات ، فلـم يمض سـوى قليـل حتى انقلبت موازيـن المعركـة لصالح المسلمين فهـزم جمـوع النصـارى ، كمـا تمكـن أحـد البربـر فـى الجيش الأسلامـى من قتل أحـد كونتات أمـراء بنى غومس ، وجـاء برأسـه الـى المنصـور ، فضاعف المسلمون هجومهم علـى النصـارى ، وقتلـوا منهـم أعد ادا كثيرة ، ونصـر الله المسلمين فـى هـذه المعركـة بنصـر ما سمـع بأعظـم منه ، كمـا استشهـد فى هـذه المعركـة ما يقـرب مـن

سبعمائة جندى مسلم . وكان وقوع هذه المعركة يوم الأثنين الرابع والعشرين من شهر شعبان سنة ٣٩٠هـ / ٣٠ يوليه سنة ١٠٠٠ م (١) .

وتابع المنصور غاراته على أراضى قشتاله ، مدمرا كل شئ فى طريقه حتى اقتحم عاصمتها برغش فى يوم عيد الفطر المبارك الرابع من سبتمبر من نفس السنه . وواصل سيره الى سرقسطه ومنها قام بغزوة على أراضى نبره ووصل عاصمتها بنبلونة (٢) دون ان يعترضه أحد من النصارى . ثم قفل عائدا الى قرطبة ، بعد ان أمضى فى هذه الغزوات مائة وتسعة أيام . ووجه على أثر عودته كتابا الى قواده ليقرأوه فى الجيش ، وفيه ينحى المنصور باللائمة على جنده لما بدأ منهم من التخاذل والنكوص فى معركة جربيرة ، ويذكرهم بأنه لولا شجاعة فئة قليلة منهم ، علونت بثباتها على أحراز النصر ، ومحو العار ، لانتهى الأمر باقالتهم جميعا من الجيش الأسلامى (٣) .

وفى ذلك يقول صاعد شاعر المنصور بن أبى عامر يهنئه بالنصر فى معركة جربيرة من قصيدة مطولة ، وهى من أفخر شعره منها :

وقفت فى ثانى حنين وقفة	فرأيت صنع الله يؤخذ باليد
من فاته بدر وأدرك عمره	جربيرة فهو من الرحيل الأسعد
فودت لو حتم القضاء بأننى	فى القوم أول طالع مستشهد

---

(١) : ابن الخطيب : نفس المصدر ، ق ٢ ، ص ٦٩ - ٧٢

(٢) : بنبلونة : عاصمة مملكة نبره ، وبينها وبين سرقسطه ١٢٥ ميلا وتقع على روافد أرغه أحد روافد الأبرو (أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٣٤)

(٣) : عنان : نفس المرجع ، ق ٢ ، ص ٥٦٢ - ٥٦٣

ومنها أيضا :

حملت ميامنهم عليك نشيجة ... كالسيل يحطم جلمدا عن جلمد

ورأوك فارتدوا على أعقابهم ... مثل أرتداد تنفس المتهند

فانجزوك وفي الجوانح موضع ... لتعبر ومكانه لتجلد

طال الشقاء عليهم وتبرموا ... بالجيش في الذل المقيم المعقد

فتحالفوا المحنث وتجمعوا ... لمغرق وتألفوا المبدد (١)

وآخر غزوة للمنصور بن أبي عامر سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٢ م كانت على قشتاله . ففي هذه السنه جهز جيشه استعدادا للغزو كعادته ، ثم سار بجيشه غازيا أراضي قشتاله،وواصل زحفه حتى بلدة قناليش الواقعة جنوب ناجره ،ثم اتجه غربا الى برغش وعاث في تلك المنطقه وهزم فيها جيوش قشتاله .

ولم تقدم لنا الرواية الأسلامية عن هذه الغزوة تفاصيل أخرى ، كما لم تحدثنا عن أية موقعه حاسمة وقعت بين المسلمين والنصارى . ولكن بعض الروايات النصرانية الأسبانية القديمه تذكر في هذا الصدد ان الجيوش النصرانية المتحالفه ،والمكونه من جيش برمود الثاني ملك ليون ،وغرسيه فرناندير كونت قشتاله ،وغرسيه سانشير . ملك نبره ، وقفت في وجه المنصور في ظاهر بلدة صغيرة تسمى " قلعة النسور" وتقع في غربي مدينة سريبة ، وانه قامت معركة في هذه البلدة بين جيش المنصور وجيش النصارى . وفي هذه المعركة هزم المسلمون وقتل منهم عدة آلاف ، وان المنصور انسحب بجيشه تحت جنح الظلام ،

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ،ق ٢ ،ص ٧٣

ثم توفي بعد ذلك بقليل حزنا وغما ، أو من الجراح التي أصابته في تلك المعركة (١) . ويضيف الأستاذ محمد عنان في تقديم خلاصة ما تذكره الرواية النصرانية من تفاصيل الموقعة قول المؤرخ لا فونتي الذي يرجع بداية حواد ثها الى سنة ١٠٠١ م ، أنه في هذا الوقت كان ملك ليون الفونس الخامس الطفل ولد برمود الثاني ، وكان تحت وصاية منتد و كونتالث كونت جليقيه وزوجته د وينا مايور ، وكان يحكم قشتاله الكونت سانشو غرسيس ، ولد غرسيه فرناند يز ، ويحكم نبره الملك سانشو غرسيس الكبير . ويقول لا فونتي ايضا : انه في هذه السنه أي سنة ١٠٠١ م بدأت في قلب أسبانيا المسلمة طلائع أستعدادات عظيمة ، وجمع ولاة شنتربن وبطليوس ومارد ة كل قواتهم ، وعبرت حشود عظيمة من الجند البربر الى الجزيرة ، وكانت هي الأمدادات التي وعد بأرسالها المعز بن زيري بن عطية من المغرب الى المنصور . وجمعت جيوش افريقية والأندلس و البرتغال المسلمة في طليطلة ، فهل كان المنصور يزمع ان يضرب قشتاله التي اتعبته مقاومتها الضربه الأخيرة ؟ لقد تفاهم سانشو أمير قشتاله مع قريبيه ملكي ليون ونبره على التعاون على مقاومة الجيش الأسلامي العظيم ، وأدرك جميع النصارى ضرورة الأتحاد والتحالف ، واجتمعت الجيوش النصرانية المتحده في السهل الواقع جنوب سريه عند منابع نهر د ويره قريبا من مدينة نوماثيا القديمة ، وكان يقود جيوش ليون وجليقيه والأستریاس الكونت منتد و وصي الملك الطفل الفونسو الخامس ، ويقود قوات قشتاله ونبره ملكيهما . (٢)

وقدم المسلمون وقد انقسمت قواتهم الى شطرين ، قوات الأندلس وقوات

1-JAN READ:OP.cit., P.91

(٢) : عنان : دولة الأسلام في الأندلس ، ع ١ ق ٢ ، ص ٥٦٣ - ٥٦٤

البربـــر ، وســـاروا نحـــو ضفـــاف نهـــر دويـــره حيث التقـــوا بالنصـــارى فى مكـــان يسمـــى قلعـــة النســـور . وهنـــاك وقعـــت بين الفريقين مناوشـــات ختمهـــا مقـــدم الليـــل ، وفـــى فجـــر اليـــوم التالـــى تأهـــب كل فريـــق وحشـــد قواتـــه ، واختلـــط ضجيـج المسلمين بصيحـــات النصـــارى ، وأصوات المزامـــير بدوى الطبول ، واشتبك الفريقان بعنف ، وأخـــذ زعمـــاء كـــل فريـــق يحثون رجالهـــم ويشجعونهـــم . وكان المنصـــور يثب هنـــا وهناك كأنـــه نمـــر ، وقـــد شقت فرسانـــه صفوف القشتاليين ،وساءه مالقـــى مـــن مقاومـــه ، فاندفعـــت قواتـــه الـــى الهجـــوم بعنف ،واستمـــر القتـــال تحت جو قاتـــم من الغبـــار المتصاعـــد حـــتى دخـــل الليـــل ، فانفصـــل الجيشـــان دون ان يكتب النصـــر لأحدهمـــا . وأصيب المنصـــور خلال القتـــال بجراح عديده ،فآوى الـــى خيمتـــه ، وقـــد علـــم ان كثيرا من قادتـــه قتلـــوا ، وأدرك مبلـــغ الخســـارة الفادحـــه الـــتى حاقت بجيشـــه ، فأصـــدر أمـــره قبـــل الصبح بالأرتداد ، وعبر نهـــر دويـــره ، وهـــو علـــى أهبـــة الحـــرب حـــتى لا يفكـــر النصـــارى فـــى مطاردتـــه . ثـــم شعـــر المنصـــور خلال السير بالأعيـــاء والخـــور ولم يستطـــع أن يستمـــر فوق صهـــوة جواده لخطـــورة جراحـــه ، فحمـــل علـــى محفـــة الـــى مدينة سالم . ثم يقول لافنتى : ان بعـــض مؤرخينـــا ومنهـــم ماريانـــا ، يحـــاول أن يرد هـــذه الموقعـــه الى ماقبـــل ثلاثـــة أعـــوام ،وانـــه يوجـــد منهـــم من يقرنهـــا بأخطـــاء ومغامـــرات خرافيـــه بـــل مضحكـــه .

تلك هـــى خلاصـــة التفاصيـــل الـــتى ساقتهـــا الروايـــة النصرانيـــة علـــى موقعـــة قلعـــة النســـور. ويلاحظ ان هـــذه الروايـــة ترجـــع الموقعـــه الـــى سنة ١٠٠١ م ،وان المـــؤرخ يحدثنـــا هنـــا عن طبقـــة جديدة من ملوك النصارى ،

وهم خلف أولئك الذين تزعم الروايات النصرانيسة الأخرى تحالفهم على قتال المنصور بن أبي عامر.

ويسطرد عنان مضيفا الى قول لافونتي محاولة بعض الباحثين الأسبان المحدثين ، مثل سافدرا وكوديرا التدليل على صحة هذه الرواية وقبولها . ولكن فريقا آخر من أقطاب البحث الحديث وفي مقدمتهم دوزي ، يرون بطلان هذه الرواية ومخالفتها للحقائق التاريخية الثابتة . ذلك ان برمود ملك ليون كان قد توفي في سنة ٩٩٩م ، وتوفي غرسيه فرنانديز كونت قشتاله في سنة ٩٩٥م ، وتوفي غرسية سانشير ملك نبره في سنة ١٠٠٠ م ، فكيف تتحدث الرواية هنا عن تحالف الملوك الثلاثة ، وقد ماتوا جميعا قبل الموقعة المزعومة ؟ هذا ومن جهة أخرى فأن الرواية الأسلامية لا تذكر شيئا عن هذه الموقعة ، وهي لا تضن علينا في مواطن كثيرة بالتحدث عن هزائم المسلمين وصمتها في هذا الموطن قرينة على انه لم يك ثمة موقعة ولا هزيمة . ويعلل مؤرخ أسباني معاصر وهو منتديث بيدال أصل هذه الأسطورة بما أحرزه سانشو غرسيه كونت قشتاله من نجاح جزئي في بعض المواقع ، وهو ما حرصت الأساطيل القشتاليه على تسجيله في شيء من المبالغة .(١)

وبعد معركة قلعة النسور عاد المنصور بجيشه الى مدينة سالم ، وقد اشتد المرض عليه . وكان من أعز أماني المنصور ان تدركه منيته خلال الغزو مجاهدا في سبيل الله ، وكان دائما يحمل

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥٦٤ - ٥٦٦

معه أكفانه في جميع غزواته ، وقد استجاب الله لدعائه ، وتوفي غازيا في ليلة الاثنين ٢٧ رمضان ٣٩٢ هـ / ١١ أغسطس ١٠٠٢م ، ودفن بقصره في مدينة سالم عن عمر يناهز الأربعة والستين عاما (١).

وما ان تولى عبد الملك الحكم بعد أبيه حتى بادر بأعداد جيش كبير لغزو كونت قشتالة الذى نقض الصلح الذى كان قد عقده مع أبيه كما قام بغارات فاشلة على أجزاء من حدود الأندلس .

وقد وصف ابن حيان هذه الغزوة التى قام بها عبد الملك لقشتالة في رجب سنة ٣٩٣ هـ بقوله ان عبد الملك قام بدفع المصاريف الى طبقات الأجناد الغازين معه فيها . وقد وافت الحضرة طوائف كثيرة من المتطوعة فيهم جماعة كبيرة من رجال وأمراء العدوة المغربية وفقهائها ، وذلك لرغبتهم في مشاهدة هذه الغزوة التى احتفل لها هذه السنة ، وكذلك انعم عبد الملك على أمراء قبائل المغرب بأن وزع عليهم خمسة آلاف دينار بحسب مقاديرهم ، معونة لهم على جهادهم . وقد كتب الله النصر لعبد الملك على كونت قشتاله ، فرجع عبد الملك الى الأندلس محملا بالغنائم والسبى (٢).

وبذلك أرغم عبد الملك ملوك النصارى على ان يهابوه كما كانوا يهابون أباه ، وهذا ما دفعهم الى ان يحتكم اليه كونت قشتاله سانشو غرسيه وكونت جليقية منديث كونثالث الوصى على ملك ليون الطفل الفونسو الخامس . وقد قضى عبد الملك بينهما بأن يستمر منديث كونثالث وصيا

(١) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٠٩ .
— ابراهيم بيضون : الدولة العربية في أسبانيا ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥
(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٤ (نقلا عن ابن حيان) .

على ملك ليون الطفل ،وظل يباشر وصايته عليه الى ان قتل غيلة سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٨ م . الا ان سانشو غرسية كونت قشتالة لم يرضه هذا الحكم ،فبدأت منه أعمال عدوانية ، فقام عبد الملك بغزو بلاده في سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٤م ، وهي غزوته الثانية ،وأوغل في أرضه وعبث فيها . الا ان سانشو غرسية لم يجرؤ على التصدى له ، فعاد عبد الملك الى قرطبة ، وأضطر سانشو غرسية الى ان يفد بنفسه على عبد الملك في قرطبة وان يطلب الصلح معه ، كما تعهد بأن يساعد عبد الملك في غزوته على مملكة ليون . وفعلا سار مع عبد الملك سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م لغزو بني غومس الذين أخذوا الوصاية على ملك ليون والتى كان يطمع فيها كونت قشتالة (١) .

ولما نمى الى عبد الملك ان كونت قشتالة سانشو غرسية قد أعد جيشا لمحاربته ناقضا الصلح الذى عقده معه ، خرج اليه سنة ٣٩٧هـ /١٠٠٧م وهي غزوته الرابعة المعروفة بغزوة قلونية أو غزوة النصر . وفي هذه الغزوة تلاقى عبد الملك مع كونت قشتالة وجميع زعماء التحالف النصرانى ، ملك ليون ، وملك نبره ، وعددا من زعماء النصارى وفي مقدمتهم بني غومس ، والتحمت الجيوش الأسلامية بالجيوش النصرانية وكتب الله النصر لعبد الملك وهزم هذا التحالف المسيحي في ظاهر مدينة قلونية الواقعة شمال نهر دويرة على مقربة من شنت اشتين . وعقب هذا الأنتصار بعث عبد الملك بكتاب الفتح الى قرطبة حيث قرئ على الناس كما جرت عليه العادة في هذه

---

(١) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ،م ١ ،ص ٦٥- ٦٦
— عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦١١

المناسبات ثم قفل عائدا الى قرطبة حيث خلع عليه الخليفة هشام المؤيد بالله كل ألوان التكريم ولقبه بالمظفر (١).

ولم تكن هذه الغزوة آخر حربه مع قشتالة ، فقد أضطر الى غزوها مرة أخرى في العام التالي . ففي يوم الأثنين الثامن عشر من شهر صفر سنة ٣٩٨ هـ خرج من قرطبة في غزوته السادسة هذه ، واخترق أراضي قشتاله الوسطى حتى ضفاف نهر دويرة ، وهاجم حصن شنت منرتين المنيع الواقع على مقربة من غربي قلونية . وحاول النصارى في البداية ان يقاوموا المسلمين في ظاهر الحصن ، ولكن المسلمين صدوهم بعنف ، فالتجأوا الى الحصن وحاولوا الدفاع من وراء الأسوار ، فهاجم المسلمون الحصن بشدة وثلموا أسواره بالمنجانيق والنار ، فاضطر النصارى الى التسليم وفتحوا الحصن للجيش الأسلامي . وبعد هذا الأنتصار عاد عبد الملك الى قرطبة في بداية شهر ربيع الثاني من نفس السنه (٢).

وفي شهر شوال من نفس العام قام عبد الملك بغزوته الأخيرة لقشتالة ، وهي التي تعرف بغزوة العلة . ولم يفصل لنا المؤرخون أخبار هذه الغزوة ، وانما تحدثوا عن علة عبد الملك المظفر ومرضه وموته ، وانه قصد في هذه الغزوة كونت قشتالة ، ولكن المرض لم يمكنه من اتمامها وتحقيق هدفه . فما كاد يصل الى مدينة سالم حتى اشتد عليه المرض ، فمكث بها حينا يرقب تحسن صحته ، وأحس الجند بدنو أجله فتفرغ عنه أكثر المتطوعة . ولما أدرك ذلك عبد الملك صرف نظره عن تلك

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٣ - ١٤
ـ ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٦
(٢) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص ٢١ - ٢٢

الغـزوة وعـاد الـى قرطبة فـي منتصف شهـر محـرم سنة ٣٩٩هـ . وما كـاد يشعـر بقليـل من التحسـن في صحته حـتى خـرج للغـزو فـي منتصف شهـر صفـر من نفس السنة لغـزو قشتالـه ، الاّ ان مرضـه اشتد عليـه وهـو في الطريـق ، فحمـل علـى محفـة الـى قصـره فـي الزاهـرة ، وتوفـي على أثـر مرضـه فـي ١٦ صفـر سنة ٣٩٩ هـ / ٢١ أكتوبـر سنة ١٠٠٩ م ولم يكـن يتجاوز الرابعـة والثلاثـين مـن عمـره . (١)

الغـزوات ضـد أمارة برشلونـة :-

تحـول اهتمـام المنصـور بن أبـي عنامـر الـى شمـال شرق الأنـدلس فجمـع جيشـا عظيمـا لهـذه الغـزوة والتي قصـد بهـا برشلونـة (٢) ،وهـي غزوتـه الثالثة والعشرون . فخـرج مـن قرطبـة فـي ١٢ ذي الحجـة سنـة ٣٧٤ هـ / ٥ مايـو سنة ٩٨٥م ،فمـر بالبـيرة (غرناطـة) ، وبسطـه ،ومرسيـة ، ومكث فـي مرسية ثلاثـة وعشرين يومـا فـي ضيافـة أحمـد بن عبد الرحمـن المعـروف بد حيـم بن مـروان بن الخطـاب ، وولـده أبـي صبغ موسـى . وكان الخطـاب من أعظـم رجالات الأندلس ثـراء ووجاهـة وكرمـا ، استضـاف المنصـور بن أبي عامـر وجيشـه خلال أقامته عنده ، وتكفـل بسائـر النفقـات ، وأصبح من أقـرب أصدقـاء المنصـور بن أبـي عامـر. (٣)

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ،ص ٢٣ - ٢٤ ، ٣٦ - ٣٧
ـ عنان : المرجع السابق ، ص ٦١٥

(٢) : برشلونة : كانت أعظم مدينة تجارية وصناعية في اسبانيا ،استولى عليها العرب سنة ٧١٣ م وكانت في زمن العرب من المدن العظيمة وهي من المدن البحرية على البحر المتوسط : (شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ٢ ،ص ٢٧٢ ، ٢٨٠) (ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ،ص ١٤٠)

(٣) : عنان : نفس المرجع ،ص ٥٤٣

وسار المنصور بجيشه قاصدا برشلونة وذلك بعد شهرين من خروجه من قرطبة ، وكان حاكم برشلونة بريل الثانى Borreel 11 وكانت هذه المدينة قد انتزعت من أيدى المسلمين أيام شارلمان ، وأصبحت عاصمة لاقليم مستقل يعرف بأسم قطلونية (١) الذى اندمج فى وقت متأخر مع مملكة أرغونة (أحد الممالك الأسبانية المناوئة للمسلمين) (٢) .

وأجتاح المنصور بجيشه برشلونة وفتحها يوم الاثنين منتصف شهر صفر سنة ٣٧٥ هـ / ٦ يولية سنة ٩٨٥ م ، وسبى الكثير من أهلها ، وقام بتخريبها بعد هزيمة حاكمها بريل الثانى ، وغنم منها أموالا كثيرة وسلاحا وعبيدا (٣) .

ولم يجرؤ حاكمها بريل الثانى على مواجهة المنصور لانقاذ مدينة برشلونة ، وكان من بين الأسرى أود لر نائب كونت برشلونة ، حيث اقتيد مع أسرى برشلونة الى قرطبة حيث قضى أعواما طويلة فى الأسر . وكان المنصور بن أبى عامر يقصد من فتح برشلونة تأديب النصارى وتدمير قوتهم فى هذا الطرف النائى من شبه الجزيرة الأسبانية (٤) .

---

(١) : قطلونية : حدودها جبال البرانس من الشمال وبلاد أرغونة من الغرب وولاية بلنسية من الجنوب والبحر المتوسط من الشرق . (شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ١٩٩) .

(٢) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ، ص ٣٤٣ - ٣٤٤

(٣) : ابن الكردبوس : الاكتفاء فى تاريخ الخلفاء ، ص ٦٣- ٦٤
— ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٧٤
— عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، ص ٢٣١ - ٢٣٢
3-JAN READ:OP.cit., P89

(٤) : عنان : المرجع السابق ، ص ٥٤٤
— أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٤٨

غير ان برشلونة لم تستمر طويلا فى أيدى المسلمين اذ ان الفرنجة انتهزوا فرصة اشغال المنصور بن أبى عامر فى حملته على بنبلونة عاصمة مملكة نبرة النصرانية سنة ٣٧٦ هـ ، وساروا الى برشلونة تعاونهم السفن من البحر واستولوا عليها .

لذلك كان أول عمل قام به عبد الملك بن المنصور بعد توليه حكم الأندلس عام ٣٩٢ هـ . هو الأستعداد لحملة يغزو بها قطلونية ، فجهز جيشا عظيما لهذه الغزوة وأمده بالمال والسلاح كما وصلت اليه فرق المتطوعين فى الجهاد من كل ناحية فى الاندلس والمغرب الاقصى ، وقام بتوزيع خمسة آلاف درع وخمسة آلاف بيضة حديد على طبقات الأجناد فى جيشه . وفى يوم الجمعة ٨ من شهر شعبان سنة ٣٩٣ هـ ، ركب عبد الملك الى المسجد الجامع فى قرطبة لشهود عقد الألوية على عادة أمراء الاندلس قبله (١) ، ثم خرج للغزو بعدها بثلاثة أيام من باب الفتح الشرقى أحد أبواب مدينة الزاهرة عاصمة الدولة العامرية . وكانت هذه الغزوة هى غزوته الأولى وقد أجتمع الناس لرؤيته ، فخرج عليهم شاكى السلاح فى درع جديد وعلى رأسه بيضة حديد مثمنة لشكل مذهبة شديدة الشعاع ، وقد اصطف القواد والموالى والغلمان الخاصة فى أحسن تعبئة . وسار عبد الملك ونزل أرملاط ثم غادرها الى طليطلة فوصلها فى الثالث والعشرين من شعبان من نفس السنه وبقى فيها الى يوم الجمعة ، ورحل فى يوم السبت الى مدينة سالم . وهناك انضم اليه الفتى واضح ، ووفد عليه فى نفس الوقت عدة زعماء من نصارى قشتالة وليون ، أرسلهم الكونت سانشو

(١) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٨٧

غرسية أمير قشتالة وفقا لمعاهدته مع المنصور وقد أحسن عبد الملك استقباله وضمهم معه في الغزو (١).

وخرج عبد الملك من مدينة سالم الى الثغر الأعلى ، فاحتل سرقسطة ، ثم رحل عنها ، وأخرج عبد الملك فتاه واضحا في نخبة من رجاله الى حصن مدنيش على مقربة من حصن مقصر الذى عمل على قصده ، فسار واضح الى ذلك الحصن واستولى عليه . ورحل عبد الملك بعد ذلك فتلقته رسل واضح مبشرة بالفتح ، فاستبشر عبد الملك بذلك ، وأشرف المسلمون على حصن مقصر فكبروا لما نظروا اليه تكبيرا عاليا وتتابع قرع الطبول من جميع جهات العسكر ، فذعر الفرنجة من المسلمين ، وأحتل عبد الملك وجيشه حصن مقصر من جميع جهاته ، وصعد المسلمون الى الحصن أفواجا أثر أفواج ، وقد برز المشركون الى الربض يمنعونهم عنه ، فنشب قتال عنيف بين الفريقين ، وصبر المشركون في ساحة القتال ، ولكن المسلمين تفوقوا عليهم واقتحموهم خلف الأسوار واضطروهم الى التحصن به (٢) فنشب قتال عظيم بين المسلمين والنصارى الى ان جاء الليل فانفض الجيشان وكان المسلمون قد عملوا ثلما كبيرا في السور ، وفي اليوم التالي للقتال قام المسلمون فناهضوا عدو الله بأصح عزيمة ، وقامت الحرب وصبر المسلمون على مباشرتها أكرم صبر سمع به ، حتى كتب الله لهم النصر ، فهزم النصارى في هذه المعركة ، وأقتحم المسلمون الأسوار واستولوا على الحصن ،

---

(١) : شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ٢ ، ص ٢١٣ ، ٢١٥

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٥-٦

وغنم المسلمون أموالا ضخمة ووقع في الأسر أعداد كبيرة من جيش النصارى .(١)

ثم رحل عبد الملك فأدركه عيد الفطر وهو بأرض برشلونة وذلك يوم الثلاثاء أول يوم عيد الفطر غرة شوال سنة ٣٩٣ هـ ، وأدركه وقت الصلاة وهم سائرون في فجاج سهل نزل المسلمون فيه للصلاة . وبعد ان انتهى عبد الملك من صلاة العيد ، جلس بمجلسه لأستقبال المهنئين من كبار قادة الجيش والناس على مراتبهم بما سن الله له من التعييد في سبيل جهاده وطاعة خالقه ، ثم رحل عائدا الى الأندلس . وقد أمر كاتب الرسائل أحمد بن برد بتدوين كتاب الفتح على ورقتين ، الأولى للخليفة هشام المؤيد بالله والثانية تقرأ على كافة المسلمين بقرطبة ، وتنفذ نسخته الى الأقطار الأندلسية . وقد ذكر في كتاب الفتح ان عدد السبي خمسة آلاف وخمسمائة وسبعون نفرا ، وعدد الحصون التي فتحت عنوة ستة حصون ، وعدد الحصون التي أخلاها العدو فخربت ودمرت خمسة وثمانون حصنا . ثم أذن عبد الملك للمتطوعة في العودة الى بلادهم ، ودخل قرطبة يوم الثلاثاء الخامس من شهر ذى القعدة سنة ٣٩٣ هـ حيث استقبل استقبالا عظيما ، وسلم على الخليفة هشام المؤيد بالله الذى هنأه بهذا النصر ، وبعد ذلك عاد الى مدينة الزاهرة حيث جلس للناس المهنئين بانتصاره وعودته من تلك الغزوة .(٢)

وقد نظم الشاعر ابن دراج القسطلي في تهنئة عبد الملك بهذه الغزوة قصيدة ، مطلعها :

---

(١) : شكيب أرسلان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٤ - ٢١٥

(٢) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٨- ٩

ـ علي محمد حموده : تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والأجتماعي ، ص ٢٣٤

بدا ريح السعد واستقبل النجح ... فبالله فاستفتح فقد جاءك الفتح

وقد قدم النصر العزيز لواءه ... وقبل طلوع الشمس ينبلج الصبح

فقد في سبيل الله جيشا كأنه ... من الليل قطع طبق الأرض أو جنح

كتائب في أقدامها النجح والهدى ... وألوية في عقدها اليمن والنجح (١)

وكانت هذه الغزوة درسا للفرنجة في برشلونة وغيرهم من نصارى الشمال الأسباني ، اذ انهم حافظوا على عهودهم مع عبد املك ،وأتى رسول أمير برشلونة الى قرطبة يمد يد الطاعة ويطلب السلام من عبد الملك الذى استقبله استقبالا رائعا . وكان هذا آخر يوم من أيام العظمة والمجد في تاريخ بني عامر ، اذ لم يمض بضع سنوات حتى مات عبد الملك المظفر وخلفه أخوه عبد الرحمن الذى كانت نهاية بني عامر على يديه (٢) .

استقبال المنصور بن أبي عامر وولديه عبد الملك وعبد الرحمن لوفود الممالك الأسبانية النصرانية :-

---

وكان المنصور بن أبي عامر يقيم علاقات مع بعض ملوك النصارى المسالمين معه ،والذين أضنتهم الحروب معه ، الا انه لم تفد اليه سفارات ملوك النصارى على نحو ما حدث في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، وذلك ان عهد المنصور كان كله عهد حروب مستمرة بين المسلمين في الأندلس وبين نصارى أسبانيا ولم يقع بين الفريقين تهادن أو سلم طويل الأمد يسمح بكثرة توافد الوفود النصرانية على المنصور بن أبي عامر ،ولكثرة حروبه معهم أذعن النصارى الى طلب الصلح والود معه . ومع ذلك وفد عليه

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦١١

(٢) : رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٩٩

ملك نبرة ،وملك ليـــون ، وكونت قشتالـــة .(١)

فقـــد وفـــد عليـــه شانجـــة الثانـــى بن غرسيـــة ملك نبرة ، وكـــان المنصـــور بن أبـــى عامـــر قـــد تزوج ابنتـــه ، والـــتى تطلـــق عليهـــا المصـــادر الأندلسية أســـم - عبـــده - والـــتى حســـن أسلامهـــا ، وكانت من خيرة نســـاءه ، فأنجبت لـــه أبنـــه عبد الرحمـــن وسمـــى تدليـــلا بشنجـــول مصغـــرا لأســـم جـــده شانجـــة الـــذى حضـــر الـــى قرطبـــة سنـــة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م لزيـــارة صهـــره المنصـــور بن أبـــى عامـــر الـــذى استقبلـــه فـــى احتفـــال كبير حشـــد لـــه معظـــم الجيش أثنـــاء دخولـــه مدينـــة الزاهـــرة . وأخـــرج المنصـــور فـــى الموكب أبنـــه عبد الرحمـــن (حفيـــد شانجـــة) وكان لا يزال طفـلا يرقـــد فـــى السرج ، فنزل جـــده شانجـــة اليـــه وقبـــل رجلـــه . ولمـــا قدم موكـــب شانجـــة الـــى مجلس المنصـــور الـــذى كـــان جالســـا علـــى سرير الملك يحيـــط بـــه رجـــال الدولـــة ، قبـــل يدى المنصـــور وقـــدم لـــه الطاعـــة وجـــدد معـــه الصلح . وبعـــد انتهـــاء الزيـــارة عـــاد منصرفـــا الـــى بلاده . وكـــان أحتفـــال استقبـــال شانجـــة فـــى الزاهـــرة من أيـــام الأندلس المشهـــودة .(٢)

ووفـــد عليـــه برمود الثانـــى ملك ليـــون سنـــة ٩٨٥ م ، مستجيرا بـــه ليعاونـــه علـــى مقاومـــة الأشـــراف الخارجين عليـــه ولتوطيـــد عرشـــه فى ليـــون ، فأجابـــه المنصـــور الـــى طلبـــه وبادر بمعونتـــه .(٣) كمـــا وفـــد عليـــه سانشـــو كونت قشتالـــه طالبـــا الصلح معـــه بعـــد ان منى أبـــوه بهزائـــم علـــى يد المنصـــور

---

(١) : عنان : المرجع السابق ،ص ٥٨٣

(٢) : ابن الخطيب: أعمال الأعلام ،ق ٢ ،ص ٧٤
- عبد الرحمن الحجى : أندلسيات ، ص ٧٩ - ٨٠

(٣) : عنان : نفس المرجع ، ص ٥٨٣

ومـــات فـــي أســـره .(١)

وفـــي عهـــد عبد الملك المظفـر أحتكـم اليـه فـي سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٤ م - كمـا سبق ان ذكـرت - أمـير قشتالـه الكونت سانشـو غرسية ، ومنند يث كونتثالث زعيم جليقيـة والوصـي علـى الفونسـو الخامس ملك ليـون الطفـل الذى كان يومئـذ مـا يـزال حد ثـا فـي العاشـرة من عمـره وذلك فـي الفصـل فـي الخلاف الذى نشـأ بينهمـا حـول أحقيـة كل منهمـا فـي الوصايـة علـى الفونسـو الخا مس وكانـت البيرة أم الفونسـو الخامس أختـا لكونت قشتالـه سانشـو غرسيه ،ولذلك كان يرى انـه أحـق من منند يث كونثالث فـي الوصايـة علـى ابن أخته الملك الطفـل ، وقد قضـى عبد الملك فـي هـذا الخلاف لصالح منند يث كونثالث وقبل الطرفان حكمـه .(٢)

وأمـا فـي عهـد عبد الرحمـن بن المنصـور ،فلـم يحـد ث ان وفـدت عليـه وفـود من قبـل أمـراء وملوك الأسبان النصـارى . غير انـه يذكـر ان أحـد أمـراء القوامس وفـد عليـه وهـو يغـزو فـي غزوتـه الأولـى والوحيدة ، فوافـاه وهـو فـي طريقـه لهـذه الغزوة يريـد منـه مساعد ته . ولمـا وصـل عبد الرحمـن طليطلـة وسمـع بخـروج محمـد بن هشـام عليـه قفـل راجعـا الى قرطبـة مصطحبـا معـه هـذا القومس ، فلاقاهمـا جند محمد بن هشـام فـي الطريق وقتلاهما .(٣)

---

(١) : أحمد العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ،ص ٢٦٥ - ٢٦٦

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٣ ،ص ١٠
ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ،ص ٣٤٠ - ٣٤١

(٣) : أحمد العبادى : نفس المرجع ،ص ٤٦٤

(البـــاب الرابـــــع)

أهـــم مظاهـــر التطور السياســـى والحضارى فى الدولة العامريه

- بنـــو عامـــر والخلافـــة الأُيـــــــــه .
- الحجابـــــــــــــــــــــــــــة .
- الجيـــش والأسْطـــــــــــــــــــول .
- الـــــــــــــــــوزارة .
- القضـــــاء والخطـــط المتصلـــه بـــــــــه .
- الرخـــاء الاقتصـــادى والازْدهار الاجتماعـــى .
- الحيـــــاة العلميـــــه .
- العمـــــــــــــــــــــــــران .

بنـــو عامـــر والخلافة الأمويـــــة :-

منذ أن دخـــل عبد الرحمن الداخـــل (صقـــر قريش) الأندلس سنـــــة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م ، أخـــذت الدولـــة الأموية تقـــوم فـــي الأندلس وتستقـــر قواعدهـــا تباعـــا ، وذلك بعـــد معارك طويلـــة متعددة بينهـــا وبين الزعامـــات المحلية والعناصر الثائرة ، واستمـــرت الدولـــة الأموية عصـــرا تتخـــذ ثوب الامارة ، الى ان جاء الـــى حكـــم الأندلس عبد الرحمـــن الناصـــر الـــذى أتخـــذ سمة الخلافـــة وأصدر بذلك مرسوما فـــي ١٢ ذى الحجـــة سنـــة ٣١٦ هـ / يناير سنـــة ٩٢٩ م ، وبهـــذا تحولـــت الدولـــة الأموية من أمـــارة الـــى خلافـــة ، وكـــان عبد الرحمـــن الناصـــر هو أول مـــن تلقب من أمرائهـــا بأمـــير المؤمنين .(١)

وبلغـــت الخلافـــة الأموية ذروة قوتهـــا ونفوذهـــا السياســـى والحضـــارى فـــي عهـــد الناصـــر وولـــده الحكم المستنصـــر ، ولكـــن بعد وفـــاة الحكـــم المستنصـــر سنـــة ٣٦٦هـ / ٩٧٦ م تربـــع علـــى الخلافـــة ابنـــه هشـــام المؤيد باللـــه وهـــو صغـــير الســـن لا يقـــدر علـــى القيـــام بمهـــام الخلافـــة كأسلافـــه الأمويين ، فبدأت طلائـــع تقليـــص سلطـــة الخلافـــة يقودهـــا محمد بن أبـــى عامـــر الملقـــب بالمنصـــور فقـــد أخـــذ نجمـــه يبزغ منذ اواخـــر عصـــر الحكـــم المستنصـــر ، وما كـــاد يتولـــى منصب الوزارة حـــتى كان قد جمع السلطة فـــي يده تدريجيا وخاصـــة بعـــد ان تربـــع علـــى عرش الخلافـــة الأموية هشـــام المؤيد باللـــه الذى أصبح فيما بعـــد لعبـــة فـــي يده . وبعـــد ان قـــوى نفوذ محمد بن أبى عامـــر

(١) : انظر عن الخلافة الأموية وتطورها :
— ابن حيان : المقتبس ، تحقيق د / مكـــى ، ص ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٦٥
— ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٥٣ ، ٧٢ ، ٨١ ، ١٠١ ، ١٣٣
— المسعـــودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ١٠٠
— ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ١٩٢

فـــى الدولـــة قـــام بأول عمـــل فـــى سحـــق معارضيـــه وكل من يقـــف فـــى سبيلـــه . فبدأ بقتـــل المغيره بن عبد الرحمـــن الناصـــر عـــم هشـــام المؤيد بالله ، وذلك حـــتى لا يتمكـــن من توليـــة الخلافـــة بعـــد الحكـــم المستنصـــر ، وبمقتـــل المغيرة بـــن عبد الرحمـــن تمت البيعـــة بالخلافـــة لهشـــام المؤيد باللـــه . وبواسطـــة الخليفـــة هشـــام المؤيد باللـــه ، قـــام محمـــد بن أبـــى عامـــر بقتل معارضيه فـــى السلطـــة أمثـــال الحاجب جعفـــر المصحفـــى وصهـــره غالب قائـــد الثغـــر الأعلـــى وغيرهـــم ، وانتهـــى بـــه الأمـــر الـــى أن فـــرض نفســـه حاكمـــا مطلقـــا فـــى الأندلس وأقـــام دولـــة نسبت اليـــه وتلقب بالمنصـــور وبألقـــاب الملك (١) وذلك بعـــد ان قـــام بالحجـــر على الخليفـــة هشـــام المؤيد باللـــه فـــى قصـــره ومنعه مـــن الخـــروج منـــه الا بأذن منـــه وتحت حراســـة مشددة مـــن قبلـــه ، كمـــا منع النـــاس مـــن الدخـــول عليـــه . واستكمـــالا لمظاهـــر الملك بنى المنصـــور مدينـــة الزاهـــرة لتكـــون مقـــرا لحكمـــه ولاقامتـــه هـــو وجنـــده وأتباعـــه (٢) .

وكـــان المنصـــور قـــد استشـــار أصحابـــه فـــى مصير الخلافـــة فقد جـــالت بخاطـــره فكـــرة انتزاعهـــا من هشـــام المؤيد باللـــه ، الا ان مستشاريـــه لـــم ينصحـــوه بأتخـــاذ هـــذه الخطـــوة نظـــرا لأن جميـــع السلطـــة فـــى الدولة كانـــت بيـــده ، ولأن الخلافـــة الأمويـــة فـــى نظـــر معظـــم الأندلسيين كانت بمثابـــة السلطـــة الشرعيـــة لما أجمـــع عليـــه الفقهـــاء من ان الخلافـــة فى قريش وان التخلص من الخلافـــة الأمويـــة سيظهـــر المنصـــور بمظهـــر الخارج على السلطة الشرعيـــة ، ومن ثـــم أقتنـــع المنصـــور بمشورتهـــم . الا ان السيدة صبح حاولت أكثر من مرة أستعادة

---

(١) : انظر الباب الأول (ظهور محمد بن أبى عامر ووصوله الى السلطة)

(٢) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٤٣
ـــ ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٦٢

السلطة لابنها هشام ، ولكن محاولاتها هذه باءت بالفشل مما دفع المنصور الى تجريد الخلافة من كل ما كان قد بقى لها من مظهر شكلى ، فحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله كما أسلفنا ، كما أمر بنقل الأموال من قصر الخلافة الى مدينته الزاهرة . وهكذا بقيت الخلافة الأموية خلافة أسمية ، ولم يعترض المنصور بن أبى عامر لها بشىء أو برسومها ، حيث كانت الخلافة فى ظل حكمه مجرد شبح باهت واسم بلا مسمى .(١)

وقد حرص المنصور فى وصيته لابنه عبد الملك على الابقاء على الخلافة الأموية والتمسك بها ، وذلك على الرغم مما كان يعترف به بينه وبين نفسه من تعديه على سلطان الخلافة وأنفراده بالسلطة واستبداده بكافة شئون الدولة ، فقد كان يبرر ذلك كما جاء فى وصيته بجهل الخليفة هشام المؤيد بالله وعجزه ، وفى نفس الوقت بتمسكه فى حكم الرعية بالكتاب والسنة . وهذا يتضح مما ورد فى هذه الوصية بخصوص الخلافة فى قوله " وصاحب القصر قد علمت مذهبه وانه لا يأتيك من قبله شىء تكرهه والآفة ممن يتولاه ويلتمس الوثوب بأسمه ، فلا تنم عن هذه الطائفة جملة ، ولا ترفع عنها سوء الظن والتهمة ، وعاجل بها من خفته على أقل بادرة ، مع قيامك بحق صاحب القصر على أتم وجه . فليس لك ولا لأوليائك شىء يقيكم الحنث فى يمين بيعته الا ما تقيمه لوليها من هذه النفقة . وأما الانفراد بالتدبير دونه ، مع ما بلوته من جهله وعجزه عنه ، فأنى أرجو أنى وأياك منه فى سعة ما تمسكنا بالكتاب والسنة "(٢) .

---

(١) : ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥٨ - ٥٩
— ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٢
(٢) : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٨١ - ٨٢

وليس أدل على صدق نظرة المنصور الى أهمية الأبقاء على الخلافة الأموية ، كما جاء في هذه الوصية ، ان ابنه عبد الرحمن لما انتزع من الخليفة هشام المؤيد بالله مرسوم ولاية العهد توطئة لتوليه الخلافة من بعده ، كان في ذلك هلاكه ومقتله وزوال الدولة العامرية (١) .

وكانت هناك محاولة قام بها بعض الجند بعد وفاة المنصور بن أبي عامر سنة ٣٩٢ هـ إبان ولاية أبنه عبد الملك السلطة بعده للخروج من طاعة عبد الملك وأعلان ولائهم للخليفة هشام المؤيد بالله الذي واصل عبد الملك حجبه في قصره ، الا ان عبد الملك قبض عليهم ونفاهم الى سبته في المغرب (٢) .

الحجابة :-

لم تختلف نظم الحكم في الأندلس أختلافا كبيرا عنها في المشرق الأسلامي ، الا ان أهم ما يميز نظم الحكم في الأندلس ، هو ان منصب الحاجب كان يختلف أختلافا كبيرا عن نظيره في الدولة الأموية بالشام والخلافة العباسية في بغداد . ففي المشرق كان الحاجب هو الذي يحجب الخليفة عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه (٣) . أما في الأندلس فقد كان الحاجب واسطة بين الأمير أو الخليفة وبين الوزراء ومن دونهم ، وفي هذا الصدد يقول ابن سعيد : " أما قاعدة الوزارة في الأندلس فأنها كانت مدة في بني أمية مشتركة في جماعة يعينهم صاحب

---

(١) : انظر الباب الثاني (عن مقتل عبد الرحمن بن المنصور)

(٢) : ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٢١٢
ـ ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٥٨ - ٥٩

(٣) : ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٠ - ابن الأبار الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢١٣
- ENCY.ISL., T.11 P.219

الدولة للاعانة والمشورة ويخصهم بالمجالسة ، ويختار منهم شخصا لمكان النائب المعروف بالوزير بتسمية الحاجب" (١) . وفي هذا الصدد يقول ايضا ابن خلدون : " وأما في الدولة الأموية في الأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم " (٢) .

ويمكن القول ان الحاجب في الأندلس هو الذي كان يرأس الوزراء ، فقد كانوا يجتمعون برئاسته في مجلس خاص ـ وهو ما يشبه في عصرنا الحاضر بمجلس الوزراء ـ والحاجب بهذه الصفة كان يقوم بممارسة سلطات الخليفة نيابة عنه ، ويقابله كل يوم ليعرض عليه شئون الدولة ويتلقى منه أوامره (٣) . وبهذه الصفة ايضا كان الحاجب الشخصية الأولى في الأندلس بعد الخليفة ، ولذلك كان يختار من أعرق الأسر (٤) . وقد كان الأمير عبد الرحمن الداخل أول من أنشأ منصب الحاجب في الأندلس (٥) ، غير ان هذا المنصب لم يكن موجودا بصفة دائمة في عهد الأمارة وكذلك في عهد عبد الرحمن الناصر (٦) ،

---

(١) : المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢١٦ (نقلا عن ابن سعيد) .

(٢) : ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٠

3- LEVI-PROVENCAL.L'ESPAGNE MUSULMANE,T.III,P.18

(٤) : ابن خلدون : نفس المصدر ، ص ٢٠٠

(٥) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦٨٤- ٦٨٥

(٦) : لقد ظلت الحجابة شاغرة بعض الوقت في عهد عبد الرحمن الثاني ، كما الغيت في عهد الأمير عبد الله (ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٥١) . كما ان عبد الرحمن الناصر لم يعين أحدا في الحجابة بعد موت حاجبه موسى بن أحمد بن حدير في شهر صفر سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٠م ، وقد ظل هذا المنصب شاغرا حتى نهاية حكمه (ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٣٣ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢١٨) .

الاّ انه بتولي الحكم المستنصر الخلافة عاد منصب الحجابة ليظل موجودا حتى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس .(١)

ومن أشهر الحجاب في الدولة الأموية في الأندلس ، عيسى ابن شهيد حاجب الأمير عبد الرحمن الثاني ، والحاجب موسى بن أحمد بن حدير حاجب الخليفة عبد الرحمن الثالث ،وجعفر بن عثمان المصحفي حاجب الحكم المستنصر الذى كان يجمع في يده أمور الدولة كلها ، ومحمد ابن أبي عامر حاجب الخليفة هشام المؤيد بالله ،والذى استبد بالسلطة لنفسه باسم الحجابة ، وأخذ يعين من يثق بهم في المناصب الادارية للدولة .(٢)

كما قام محمد بن أبي عامر بعد ان استبد بحكم الأندلس بتعيين ابنه عبد الملك في منصب الحجابة والقيادة العليا ، وتلقب هو بالمنصور، كما خوطب بالملك الكريم سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م ،(٣) ثم ولي ابنه عبد الملك حكم الأندلس بعد موته . وقد تلقب عبد الملك في سنة ٣٩٧ هـ بالحاجب المظفر سيف الدولة . ثم ولي الحجابة من بعده في الدولة العامرية أخوه عبد الرحمن ، ولكنه سار على عكس سياسة أبيه المنصور وأخيه عبد الملك اللذين كانا قد حجرا على الخليفة هشام المؤيد بالله ومنعاه من الخروج من قصره . اذ تقرب عبد الرحمن من الخليفة هشام وصار يخرجه من قصره في موكب ويسير في ركابه ليرضيه ، وبذلك نجح عبد الرحمن في ان يستصدر من الخليفة مرسوما بأن يدعى بالحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة ، وان يستصدر منه ايضا مرسوما بتعيينه وليا

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٢ ،ص ٢١٨
(٢) : ابن بسام : الذخيرة ،ق ٤ ،م ١ ،ص ٤٤ - ابن سعيد : المغرب ،جـ ١ ،ص ١٩٩
(٣) : ابن عذارى : نفس المصدر ،جـ ٢ ،ص ٢٩٤ - ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،ص ٨٩
ـ عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٦٨٥- ٦٨٦

للعهد من بعده (١) . وبعد ذلك قام عبد الرحمن بتعيين ابنه الطفل عبد العزيز في منصب الحجابة ، الا ان الدولة العامرية في عهده انهارت وذلك لسوء سياسته في أدارة شئون البلاد ، وغضب المروانيين عليه بسبب توليه ولاية العهد ، فقام محمد بن هشام بن عبد الجبار من المروانيين بالاطاحة بالدولة العامرية وقتل عبد الرحمن بن المنصور (٢) .

وكان الحاجب حتى قبل استبداد المنصور بن أبي عامر بالسلطة دون الخليفة مجرد أداة لتنفيذ سياسة الخليفة وتحقيق رغباته ، ولم يتميز عن باقي زملائه الوزراء الا بقرب منزلته من الخليفة ، ومقابلته بين الحين والآخر ، وتمتعه بلقب الحاجب بالاضافة الى لقب الوزير (٣) . كما كان للخليفة حق تعيينه وأقالته متى أراد ، اذ كان يخضع الحاجب للخليفة خضوعا مباشرا ، كذلك كان الحال في عصر الامارة (٤) ولذلك لم يكن الحاجب يملك سلطة تعيين الوزراء أو أقالتهم من مناصبهم ، بل كانت هذه السلطة بيد الخليفة نفسه (٥) .

ويمكن القول ان الحاجب حتى نهاية خلافة عبد الرحمن الناصر كان أشبه بوزير تنفيذ في الدولة العباسية ، الا ان سلطة الحاجب اتسعت في عهد الحكم المستنصر وبالذات في شخص الحاجب

---

(١) : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٨٩ ، ٩٠
— ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ١٧ ، ٣٨ ، ٤٠ - ٤١
(٢) : ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ - ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٣ ، ص
(٣) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٥٨
— ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٨
(٤) : ابن الابار : نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٣٣ ، ٢٥٣
— ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ١٨٢
(٥) : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٦٠
— ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ١٦٥

جعفر المصحفي ، فقد أزدادت سلطات الحاجب جعفر المصحفي بانتقال جميع سلطات الخليفة اليه بالتدريج ، (١) وعلى وجه التخصيص خلال السنتين الأخيرتين من خلافته ، حيث كان يعاني الحكم المستنصر من المرض حتى وفاته سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٧م . (٢)

ولما أخذ الحاجب المنصور بن أبي عامر يعمل على الأستبداد بالسلطة دون الخليفة هشام المؤيد بالله وحجبه عن الخاصة والعامة ومنع الناس من الاتصال به ، أخذ يعين في مناصب الدولة أنصاره ومن يثق بهم بعد ان عزل أنصار الخليفة الحكم المستنصر من مناصبهم ، وفي ذلك يقول ابن حيان (ان الحاجب المنصور بن أبي عامر غير دولة الحكم المستنصر ، وسلخ رجالها برجاله ، وعفى رسومها بما أوضح من رسومه ، وأسقط رجال الحكم من سائر الطبقات والكتاب والقضاة والحكام والعمال وأصحاب السيوف والاقلام ، ومزقهم وأقام بازائهم من تخريجه واصطناعة رجالا سدوا مكانهم ومحو ذكرهم) ، (٣) واستبد المنصور بالسلطة الكاملة في الدولة دون الخليفة هشام المؤيد بالله متمثلا في ذلك أمراء بني بويه المستبدين بالسلطة دون الخليفة العباسي (٤) ، الا ان المنصور لم يسلك مسلكهم في انزال الاهانة والاساءة والعزل بالخليفة الشرعي . وبذلك أصبح يمارس جميع سلطات الخليفة

---

(١) : ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ - ٢٠٣
— ابن سعيد : المغرب ، ص ١٨٦
(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٩
— ابن خاقان : مطمح الانفس ، ص ٤ - المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٤٠٢
(٣) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٤٤ (نقلا عن ابن حيان) .
— ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ ١ ص ١٩٩ (نقلا عن عذارى) .
(٤) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٦١
— ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٠٠
: عن استبداد الحاجب المنصور بالسلطة دون الخليفة هشام المؤيد
انظر الباب الأول .

بدلا عنه بالاستثناء ، الا انه لم يخلع أسم الحجابة عن نفسه (١) .

كما قام المنصور ببناء مدينة الزاهرة استكمالا لمظاهر الملك واتخاذها مقر لملكه ، ونقل اليها كافة دواوين الدولة ، ورتب فيها قصورا لوزرائه ، ثم عطل قصر الخلافة بقرطبة وحجر الخليفة هشام فيه ، وأمر بأن لا يسمح بالدخول عليه دون أذنه ، وجعل عليه حرسا من رجال الشرطة ممن يثق بهم وذلك بعد ان أشاع انه قد فوض اليه تدبير شئون الدولة ، وتخلى له عن ممارسة أعمال الخلافة ليتفرغ لعبادة ربه (٢) .

وعلى الرغم من حجر الحاجب المنصور على الخليفة هشام المؤيد بالله واستبداده بكافة شئون الدولة على النحو الذى أشرنا اليه ، الا انه ترك له شارات الخلافة ، أى ظلت السكة تضرب بأسمه وظل يدعى له فوق المنابر (٣) . الا انه بجانب أسم الخليفة هشام المؤيد بالله على وجه العملة ، فقد سك المنصور أسمه بحكم توليه الحجابة منذ ١٣ شعبان سنة ٣٦٧ هـ ، وكان هذا قد أصبح تقليدا جرى العمل به منذ عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر . فقد كان يسك على وجه العملة أسم الخليفة وبجانبه أسم الحاجب (٤) . كما سك أسمه على العملة بوصفه حاجبا

---

(١) : عن معاملة البويهيين للخلفاء العباسيين أنظر / محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية فى المشرق منذ ظهور الاتراك حتى منتصف القرن الخامس الهجرى ، ص ٥٣ - ٥٦ — أحمد امين : ظهر الاسلام ، جـ ١ ، ص ٥١

(٢) : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٦٢ — الحميرى : الروض المعطار ، ص ٨١ - ٨٢
— ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٥ — ٢٧٦
— المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٥٧٨

(٣) : ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٩٧ — ابن عذارى : نفس المصدر جـ ٢ ، ص ٢٧٦
— ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ - الحميرى : نفس المصدر ، ص ٨٢
-GEORGE C.MILES:OP.cit,PP 66-70
-HENRI LAVOIX:OP.cit.,PP.66-73

وقد سك ابنه عبد الملك اسمه على السكة بصفته حاجبا بجانب اسم الخليفة هشام المؤيد بالله - أنظر :

-GEORGE C.MILES:OP.cit.,P.69
-HENRI LAVOIX:OP.cit.,p.74,86-91

بجانب أسم الخليفة ، فقد نقش أسمه أيضا مع أسم الخليفة على الطرز . وهذا يفسر قول ابن خلدون والمقرى من انه " كتب أسمه فى السكة والطرز " . (١)

الجيش والأسطول :-

كان الجيش هو عماد الأستقرار السياسى فى الأندلس ، وقد ظلت الدولة الأموية قوية بقوة الجيش الأندلسى الذى أخذت قوته تزداد منذ عهد عبد الرحمن الناصر (٢) أمتدادا بعصر الحكم المستنصر والمنصور بن أبى عامر وابنه عبد الملك بن المنصور وكان المنصور بن أبى عامر الذى لم تر الأندلس مجاهدا فذا مثله ، قد كرس جهوده ومواهبه فى بناء قوتها وعظمتها وسحق أعدائها وتحقيق أمنها ورخائها ، فبلغت الأندلس فى عصره أوج مجدها وشهرتها فى التأثير السياسى والعسكرى فى شئون أوربا وأفريقيه المجاورة لبلاده ما لم تبلغه الأندلس من قبل ولا من بعد المنصور ، وكان المنصور ابن أبى عامر منذ ان تولى مقاليد حكم الأندلس قد أدرك انه يجب لتحقيق سلام الأندلس وأمنها

---

(١) : ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١١٨ — المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢١٦

(٢) : اضطر عبد الرحمن الناصر إلى الأستعانة بالعناصر الأجنبية فى الجيش لكى يوازن بها العرب من ناحية وأهل الأندلس من ناحية أخرى حتى يضمن ولاء الجميع له ، وحتى لا يطغى عنصر على آخر . فقد أكثر عبد الرحمن الناصر من الصقالبة فى الجيش لكى يوازن بينهم وبين العرب والأندلسيين . غير ان عبد الرحمن الناصر بعمله هذا لم يقض على النظام القبلى فى الجيش ، وكلما فعله انه أوجد نظاما للجيش الدائم الذى كان يرابض بصفة دائمة فى قرطبة ، والذى كان يتكون أساسا من الصقالبة الذين أكثر منهم . وقد أخلص الصقالبة لعبد الرحمن الناصر ، فنالوا على يده أرفع المناصب وأعلاها . (أنظر لين بول : قصة العرب فى أسبانيا ، ص ٩٧) .

وردع الممالك النصرانية عن عدوانها المستمر على ثغور الأندلس قبل حكمه ان تكون للأندلس قوة عسكرية عظيمة تكفي لإرهاب عدوها وأعزاز دينها .

وأول ما قام به المنصور من أصلاح ، هو تنظيم الجيش الأندلسي وتقويته وتزويده بأفضل المحاربين ، فأهتم بأمداده بعناصر كثيرة من قبائل البربر لدرجة انهم أصبحوا القوة الضاربة في جيشه ، وخاصة بعد ان قام بتسريح معظم الصقالبة من جيشه . كما ان القبائل البربرية بالعدوة المغربية قد سارعت بدخول الأندلس والأنضمام الى جيش المنصور بعد ان بلغها جهاده ضد نصارى الأسبان في الشمال (١) .

كما اهتم المنصور بتنظيم الجيش تنظيما عسكريا جديدا يحقق الوحدة والتجانس بين طوائفه ويقضي على العصبية القبلية التي كانت سائدة بين هذه الطوائف . فقد كان الجيش الأسلامي في الأندلس قبل المنصور يتكون من نظامين :

١ - نظام عسكري دائم منظم ينزل العاصمة ويتقاضى أفراده عطاءا ثابتا ويمثله فرقة الحرس النظامية المعروفة بأسم الصقالبة .

٢ - نظام أقطاعي عسكري وتمثله القبائل العربية والبربرية التي وزعت على الاقاليم والمدن الأندلسية بعد الفتح العربي ، وأبيح لها حق استغلالها وجباية عطائها من أموالها في مقابل المساهمة في حروب الدولة كما هو معروف في النظام الأقطاعي الأسلامي .

---

(١) : الأمير عبد الله : مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٦
— ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٧٩
— عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٥٦٩

ولكن المنصور أبان حكمه رأى ان هذا النظام كفيل بخلق الحزازات بين عناصر الجيش وقواده ، فقام بتغيير هذا النظام بنظام آخر جديد يجعل الجيش كله في وحدة نظامية متماسكة خاضعة لقيادته . فقام بالغاء القبلية في تنظيم الجيش ، (١) كما الغى النظام الاقطاعي العسكري بجيث أصبح الجيش كله جيشا نظاميا دائما يتكون من فرق متعددة كل فرقة تتألف من جميع هذه العناصر المختلفة كالعرب والبربر والصقالبة ، وكان كل جندي من هؤلاء يتقاضى مرتبا شهريا من الدولة حسب رتبته العسكرية وذلك بدلا من استغلال الاقطاع له كما كان سابقا . ولكي يحد المنصور من سلطة العناصر العربية في الجيش فقد أخر زعماء العرب عن مناصبهم في الجيش وقام بتقديم البربر عليهم . وقد أفاد هذا النظام الجديد في بادئ الأمر في أزالة العصبية القبلية بين فرق الجيش ، كما تمكن المنصور بهذا النظام الجديد من ان يفرض نفوذه وسلطانه على الجيش . ومن جهة ثانية فقد أعطى هذا الجيش الموحد حبه وولاءه للمنصور الذي استطاع به ان يحرز انتصاراته الحربية في غزواته المستمرة على بلاد النصارى في الشمال الأسباني . (٢)

وكان المنصور يحث المسلمين عامة على الجهاد والغزو معه ،

---

(١) : المقري : (نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٩٣) - واليك ما ذكره المقري في هذا الصدد " كان عرب الاندلس يتميزون بالقبائل والعشائر والبطون والافخاذ الى ان قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطة الاندلس ، ويقصد بذلك تشتيتهم وقطع أنخامهم وتعصبهم في الاعتزاء ، وقدم القواد على الأجناد فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيلة فانحسمت مادة الفتن والاعتزاء بالاندلس "

(٢) : البرطوشي : سراج الملوك ، ص ١٠٠ - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٦٨
- الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٧ عنان : المرجع السابق ، ص ٥٣١
- أحمد العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٠ - ٢٦١

وقد حدث ذات مرة ان اشتكى اليه بعض أهل الأندلس ممن كان يغزو معه من كثرة غزواتهم معه ، وان تلك الغزوات أشغلتهم عن عمارة الأرض ، فوافقهم المنصور على البقاء في الأندلس ليتفرغوا في عمارة أرضهم على ان يعطوا من أموالهم كل عام ما يعينه على نفقات الجند أثناء قيامهم بالغزوات ، فوافقوه عن رضى منهم في دفع ما يخصص عليهم ليتمكن من صرف نفقات الجند وما يتطلبه الغزو .(١)

وكان المنصور قد شرع في تنظيم جيشه لسببين : الأول وطني ، وهو ان يكون من الأندلس مملكة أسلامية من أقوى الممالك في أوربا . والسبب الثاني شخصي بحت يرمي الى اذلال منافسيه وخصومه في الدولة .

وكان المنصور يعتمد اعتمادا كليا على الجيش الذي يقوده للغزو من عاصمة الأندلس ، ثم يلحق به جيش الثغور الأندلسية وينضم اليه ، فيكون بهذه الجيوش جيشا واحدا تحت قيادته ويغزو به بلاد النصارى .(٢) ويقول ابن الخطيب عن عدد جيوش المنصور بن أبي عامر " كان عدد جميع الأجناد العامريين من الفرسان خاصة من سائر الطبقات والأحرار وجميعهم مرتزقون في الديوان ، يقام لهم بالحملان والحلية والسلاح والمنازل والنفقة والعلوفة على مراتب مختلفة اثني عشر الف فارس ومائة زيادة " .(٣) وقد أزداد عدد هذا الجيش بمن ضمه المنصور اليه من أعداد كبيرة من البربر ، حيث كان عدد الفرسان في بعض غزواته ستة وأربعين الف فارس ، هذا عدا مأتين من الفرسان كانوا مكلفين بمهمات معينه . وأما عدد جيشه من المشاة فكان يتضاعف من غزوة لأخرى وقد يعد المائة الف رجل

---

(١) : الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٦ - ١٧
(٢) : انيس النصولي : الدولة الأموية في قرطبة ، جـ ١ ، ص ١٣٤
(٣) : ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٩٩

أو يزيد (١) كما ورد انه في أحد الأيام قام المنصور باستعراض جيشه بظاهر قرطبة ، فكان عدد الفرسان ما يقرب من مأتي الف والمشاه ستمائة الف ، واذا كان هذا الرقم الأخير فيه الكثير من المبالغة ، الا انه يدل في نفس الوقت على مدى ما وصل اليه جيش المنصور من كثرة في العدد لم تتحقق في أية فترة من فترات التاريخ الأندلسي (٢).

وبعد موت المنصور بن أبي عامر ، تابع ابنه عبد الملك المظفر سياسة ابيه في تدعيم الجيش والمحافظه على قوته ، وأكثر من استخدام البربر في جيشه الذين كانت لهم منزلة رفيعه لديه . ومن البربر الذين أكرمهم عبد الملك المظفر ، زاوى بن زيري بن مناد الصنهاجي (٣).

وكما حدث تطوير في تنظيم الجيش فقد حدث ايضا تطور ملموس في الأسطول البحري الأسلامي في الأندلس . فقد أنشئت مدينة المرية في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر الذي أمر ببنائها سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ، واسم المريه مشتق من وظيفتها أو من الغرض الذي أنشئت من أجله ، اذ كانت في الأصل مرأى ومحرسا بحريا لمدينة بجاية القريبة منها والتي لا تبعد عنها أكثر من ستة أميال شمالا ، وكانت عدة مدن على الساحل الأندلسي تقوم بحراسة البلاد ويتم أعداد الأسطول الأسلامي منها (٤).

وكانت طبيعة بلاد الأندلس تحتم عليها ان تصبح الدولة فيها دولة بحرية حيث أنها تطل على البحر المتوسط من الشرق والجنوب ، كما تطل على المحيط الأطلسي من الغرب والجنوب ، وايضا تسيطر على الحوض الغربي للبحر المتوسط ،

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦٨٦- ٦٨٨
(٢) : ابن الخطيب : المصدر السابق ، ق ٢ ، ص ٨٦ ، ٩٩
— المقرى : نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٣١٦
(٣) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨
(٤) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الأسلامية ، ص ١٧ - ١٩

كما انهـا همـزة الوصـل بين قارتـى أوربـا وأفريقيـة . ولذلك قـام الأمويـون بأنشـاء أسطـول بحـرى قوى فـى عدة مـدن ساحليـة فى الأندلس ، حيث كان لـه دور عظيـم فـى صـد غارات الفيكينج (النورمان) . وقد بلـغ الأسطـول الأندلسـى أوج مجـده فـى عهـد عبد الرحمـن الناصـر . كمـا احتفظ بقوتـه فى عهـد الحكـم المستنصـر وابنـه هشـام المؤيد باللـه ، وذلك لأن المنصـور قام بتقويتـه ليواصـل مهماتـه البحريـة فـى المحيط الأطلسـى . وبهـذا الأسطـول الذى دعمه المنصـور تمكـن مـن صـد الممالك النصرانيـة حين أعـادوا الاغـارة على السواحـل الأندلسية الغربيـة سنة ٣٩٠ هـ / ٩٧١م . (١)

وكانت مدينة المريـة منذ عهـد عبد الرحمـن الناصـر قاعدة الأسطـول البحـرى الأسلامـى حيث جمعت فيهـا دور صناعـة السفـن . وفى هذه المدينـة جهـزت السفن الأسلاميـة التى كونت البحريـة النظاميـة للأسطـول الأسلامـى ، وكان عدد سفن الأسطـول فى عهـده مأتى سفينة حربيـة ، وبعد ذلك تطور الأسطول البحـرى الأسلامـى وزاد عدد سفنـه فى عهـد الحكـم المستنصـر الى ستمائة سفينة حربيـة ، (٢) ثـم أضـاف المنصـور الـى هـذا الأسطـول وحدات حربيـة جديدة . (٣) وقد وصف الشاعـر ابن دراج القسطلـى الأسطول البحـرى الذى أنشأه المنصـور بن أبى عامـر بقولـه :

تحمل منه بحـرا من القنـا ... يروع بها أمواجـه ويهـول

بكل حملات الشراع كأنهـا ... قد حملت أسد الحقائـق غيـل

اذا سابقت شأو الريـاح ... تحيلت خيولا مـدى فرسانهن خيول (٤)

---

(١) : ابن حيان : المقتبس / تحقيق الحجى ، ص ٢٣-٢٤

(٢) : الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٨٣- ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٩٥

(٣) : على حسنى الخربطلى : الأسطول الأسلامى فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ١١٥ - ١١٨ — مصطفى الشكعه : الأدب الأندلسى ، ص ٤٧٣-٤٧٤

(٤) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الأسلامية ، ص ٤٨

وقد قام المنصور باستخدام بعض وحدات الأسطول في حملاته على قطلونية وجليقية سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٥م ، وايضا استخدم المنصور أسطوله البحرى الذى أنشأه بقصر أبى دامس من ساحل غرب الأندلس في حملته الثامنة والأربعين سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧م على مدينة شنت ياقب أكبر مزارات الممالك المسيحية وذلك بعد ان قام بتجهيز ذلك الأسطول بالعدة اللازمة . (١)

ولكن قوة هذا الجيش وقوة الأسطول البحرى الأسلامى في الأندلس ككل ضعفت بعد موت المنصور وابنه عبد الملك ، حيث لم يستطع عبد الرحمن بن المنصور الذى تولى مقاليد الدولة العامرية بعد موت أخيه عبد الملك دفع مرتبات الجند ، كما لم ينهج سياسة أبيه وأخيه الحكيمة في حكم البلاد ، فكثر في عهده شغب الجند ودب الفساد بينهم . هذا أضافة الى أهمال عبد الرحمن القيام بواجبات الحكم ، الأمر الذى أدى في النهاية الى زوال تلك الدولة في عهده ومقتله أثر الأنقلاب الذى قام به محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموى . (٢)

الوزارة :-

كانت حكومة الأندلس في عصر الولاة تكون هيئة أدارية محلية قوامها الوالى وقادة الجيش ، ولم تكن هناك مناصب وزارية بالمعنى المعروف ، اذ لم يكن الوالى سوى حاكم موقت لأدارة أقليم ، وكان الوالى في معظم

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩٠ - ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٦٧

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٣٠١ ، جـ ٣ ، ص ٣٧
- ابن الخطيب : المصدر السابق ، قـ ٢ ، ص ٨١ ، ٨٩ .
- احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨

الأوقات هو القائد الأعلى للجيش ، ولم تظهر المناصب الوزارية الاّ فى بداية عصر الأمارة بالأندلس ، منذ ان قامت الدولة الأموية فيها على يد موٴسسها عبد الرحمن الداخل ، ولكنه لم يعين له وزيرا دائما ، وانما عين نفرا من الأشياخ للموٴازرة والمشورة ، ثم تطور هذا النظام وأصبح يطلق على هوٴلاء الأشياخ لقب وزير . وفى هذا يقول المقرى : " أما قاعدة الوزارة فى الأندلس فأنها كانت فى مدة بنى أمية مشتركة فى جماعة يعينهم صاحب الدولة للاعانة والمشورة ويخصهم بالمجالسة " . (١)

ويعتبر الأمير عبد الرحمن الأوسط أول من جعل لهوٴلاء الوزراء مجلسا خاصا فى قصره ينتظمون فيه ، ويذهبون اليه كل يوم ويجلسون فيه على مقاعد خاصة لكل منهم ، ولم يعد عملهم مقصورا على المشاورة بل أصبح يبحث معهم الرأى فيما يبرمه من أحكامه ، وعليهم تنفيذ أمره ونهيه . (٢)

وفيما بعد لم يقتصر أمر الوزراء على مشاورة الأمير لهم وتنفيذ أمره ونهيه ، فقد قسمت خطة الوزارة الى مجموعة من الخطط (الوزارات) وأصبح كل وزير ينظر فيما يتعلق بشئون خطته وتنفيذ أمر الخليفة فيما يصدر اليه كل فى حدود اختصاصه . ومن بين هوٴلاء كان الخليفة يختار أحدهم ليتولى الحجابة وليكون رسولا بينه وبين باقى الوزراء ، وفى هذا الصدد يقول ابن خلدون "وأما دولة بنى أمية بالأندلس ، فأبقوا أسم الوزير فى مدلوله أول الدولة ، ثم قسموا خطته أصنافا ، وأفردوا لكل صنف وزير ، فجعلوا لحسبان المال وزيرا ، وللترسيل وزيرا ، وللنظر فى حوائج المتظلمين وزيرا ، وللنظر فى أحوال أهل الثغور

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٢١٦ - عنان : المرجع السابق ، ص ٦٨٤

(٢) : ابن حيان : المقتبس / تحقيق د . مكى ، ص ١٦٨

— ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٥

وزيـــرا ، وجعـــل لهـــم بيت يد رســون فيـــه علـــى فرش منضـــدة لهـــم ، وينفـــذون أمـــر السلطـــان هناك كل فيما جعـــل لـــه ،وأفـــرد للتردد بينهـــم وبين الخليفـــة واحـــد منهـــم ارتفع عنهـــم بمباشـــرة السلطـــان فـــي كل وقـــت فارتفع مجلســـه عن مجالسهـــم وخصـــوه بأســـم الحاجب ، ولم يزل الشأن هـــذا الـــى آخـــر دولتهـــم ، فارتفعت خطة الحاجـــب علـــى سائـــر الخطط" (١) ويمكـــن القـــول بأن نظـــام الوزارة فـــي الأنـدلس يمكـــن تشبيهـــه بمجلس الوزراء فـــي عصرنا الحاضـــر.

الا"انـــه بالرغـــم من ان المنصـــور بعد ان استبد بالسلطـــة أصبح هـــو الـــذى يعين الوزراء ويقيلهـــم ، الا" ان مكانـــة الوزراء فـــي عهـــده قـــد ارتفعـــت عمـــا كانت عليـــه من قبـــل . فنرى ان الوزيـــر أحمد بن سعيد بن حـــزم قد استخلفه المنصـــور بن أبـــي عامـــر لتدبير شئون البلاد فـــي أوقـــات معينـــة خلال غزواتـــه علـــى الممالك النصرانيـــة . وايضـــا الوزيـــر عيســـى بن سعيد فوض اليـــه الحاجـــب عبد الملك المظفـــر بن المنصـــور تدبير شئون الدولـــة العامريـــة وقدمـــه على سائـــر رجـــال الدولـــة العامريـــة . (٢)

وكان المنصـــور بن أبـــي عامـــر قـــد لقبه الخليفـــة هشام المؤيد باللـــه فـــي بدايـــة خلافته بلقب ذي الوزارتين ، كمـــا منح هـــذا اللقب للقائـــد الأعلى غالـــب، وايضـــا لقب عبد الملك المظفـــر ابان حكمـــه علـــى الأنـدلس ابنـــه عبد العزيز بـــذى الوزارتـــين . (٣)

---

(١) : ابن خلدون : المقدمة ،ص ١٩٩

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ،جـ ٣ ،ص ٢٤، ٣٧
— ابن الابار: اعتاب الكتاب ،ص ١٩١

(٣) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ،ص ٢٦٥ ، ٢٦٧ ،جـ ٣ ،ص ١٦، ١٧
— ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ق ٢ ،ص ٨٨

القضـــاء والخطط المتصلـــه بـــه :-

وكانت خطة القضـــاء فى الأندلس من أعظـم الخطط عند الخاصـة والعامة ، وذلك لصلتهـــا بأمـور الدين ، كمـــا كان منصب القاضـى يعلـو أى منصب آخـــر فـى الدولـة ، وهـــى أحدى الأعمـدة الهامـة التى يقوم عليهـــا نظام الحكـــم فـــى الأندلس فـــى عصـــر بنى أميـة . وكانت أهمية القضـــاء تساوى أهمية الثغـــر الأعلـــى بسرقسطـــه ، وكأهميـــة أمارة الأسطـــول البحـرى الأسلامـــى فى مدينـــة المريـــة .(١) ومن أهميـــة القضـــاء زمن الأمويين فـــى الأندلس ان الخليفـــة أو الحاكم لـــو توجـــه عليـــه حكـــم أجبره الشرع بالمثـــول أمـــام القاضـــى .(٢)

ويقـــال للقاضـــى ، قاضـــى القضـــاة ، وقاضـــى الجماعـــة ، وكان يقيـــم فـــى حاضـرة الدولـــة . ويشترط فـــى القاضـــى ان يكـــون متبحرا فـــى الفقـــه الأسلامـــى ومشهـــودا لـــه بالنزاهـــة والأستقامـــة ، وان يكـــون عربيـا خالصـــا ومـــع ذلك فقـــد تقلـــد القضـــاء فـــى الأندلس الموالـــى والمولدون والبربـــر(٣) ، وكـــان القضـــاء فـــى الأندلس علـــى مذهـــب الأمـــام مالك بن أنس منـــذ عصـــر هشـــام ابن عبد الرحمـن الداخـــل ، وكان قبـــل ذلك علـــى مذهـــب الأوزاعـــى(٤) .

وقـد اهتـم المنصـور بن أبـى عامـر خلال حكمـه علـى الأندلس بشئـون القضـــاء ، وأظهـــر الشـــدة فـــى تنفيذ الشـــرع والعـــدل ولو كـــان ضـــد أولاده أو كبـار رجـــال دولته . مثال على ذلك قضـة محمـد فصّـــاد المنصـــور وخادمـــه وأمينه

---

(١) : عبد الحميد العبادى : صور وبحوث من التاريخ الأسلامى ،ص ٦٤ ، طبعة القاهرة ٣ :
(٢) : المقرى : نفح الطيب ،جـ ٢ ،ص ٢١٧
(٣) : شكيب أرسلان : الحلل السندسية ،جـ ١ ، ص ٢٥٢
(٤) : عنان : تاريخ العرب فى اسبانيا ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ (طبعة أولـى سنة ١٩٢٤ (م)

على سره ، حيث احتاجه المنصور يوما الى الفصد ، وكان محمد هذا محبوسا في السجن لحيف ظهر منه على امرأته ، فأمر المنصور باخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن يظل معه الى ان يفرغ من عمله في الفصد ثم يعيده الى سجنه ، وقد ظن الفاصد ان صلته بالمنصور سوف تحميه من العقوبة ، فقطع المنصور عليه ذلك وقال له : (لا يا محمد انه القاضي وهو في عدله ، ولو أخذ في الحق ما أطلقت الأمتناع منه ، عد الى محبسك ، وأعترف بالحق فهو الذي يطلقك) (١) .

وفي عصر الدولة العامرية نبغ كثير من القضاة ممن كانت لهم شهرة في العدل والشدة في الحق ، أمثال القاضي أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب ، وهو قاضي الجماعة في قرطبة . وكان فقيها ، توفي سنة ٣٨١ هـ ، وله كتاب في الفقه سماه " الخصال " وكان في أوائل عصر الدولة العامرية (٢) .

والقاضي عبد الله بن محمد بن يحيى بن زكريا المعروف بابن برطال ، والذي كان خال المنصور بن أبي عامر . وكان من بيت غنى بالثروة ، ومشهورا بصلاحه ، ووقورا حليما ، تولى قضاء قرطبة بعد ابن زرب واستمر فيها حتى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م . وقد عزله المنصور بن أبي عامر عن القضاء وذلك لكبر سنه ، وفي سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م ولاه المنصور خطة الوزارتين ، وقد توفي سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٤ م (٣) .

---

(١) : أحمد العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٦٢

(٢) : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢١٤

(٣) : ابن سعيد : نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢١٥

وكذلك القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن ذكوان (١) وهو من شيوخ أهل العلم ، مذكور بالفضل ، ومن أهل بيت فهيتم بالعلم ورياسة القضاء يتردد فيهم . قلده المنصور بن أبي عامر بعد ابن برطال القضاء ، واتصلت رئاسته في القضاء الى قيام الفتنة ، وقد سعى عليه الوزير عيسى بن القطاع فعزل ثم رد اليها ، وعلت منزلته في عصر عبد الملك المظفر بن المنصور ، توفي يوم الأحد ٢٩ رجب سنة ٤١٣ هـ (٢) .

والقاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن فليس ، الذي ولي القضاء بين مدتي أبي العباس بن ذكوان ، وهو من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين ، حافظا للحديث وعلله ، وكان مشهورا بالصلابة في الحق ، وكانت وفاته في صدر الفتنة يوم الثلاثاء ١٥ ذي القعدة سنة ٤٠٢ هـ (٣) .

وايضا القاضي خلف بن يامن ، وهو من أهل مدينة سالم وقاضيها ، وهو الذي قبض على طرف كم ثوب القائد غالب قائد الثغر الأعلى حينما أراد قتل المنصور بن أبي عامر فحقد عليه غالب وقتله سنة ٣٦٩ هـ (٤) .

والقاضي أبو بكر بن يحيى بن وافد ، وقد جرت له خطوب طويلة مع المنصور بن أبي عامر ، كانت سبب نزوع نفس الخليفة هشام المؤيد بالله اليه وتوليته القضاء بعد ابن ذكوان ، وكان فقيها عالما ، حافظا ، عادلا ، وكان من أعلام الشورى في قرطبة ، توفي سنة

---

(١) : الناس في الاندلس ينسبون بني ذكوان الى برابر فحص البلوط الذي هو من نواحي قرطبة ، وبني ذكوان يزعمون انهم من بني سليم من موالي بني أمية . (ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦

(٢) : ابن سعيد : نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢١٥ - ٢١٦

(٣) : ابن سعيد : المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧

(٤) : ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، جـ ١ ، ص ٢٩٣

٤٠٤ هـ (١) .

والقاضي أحمد بن حكم بن محمد العاملي ، ويكنى أبا عمر ، وهو من أهل قرطبة ويعرف بأبن اللبان ، ولي قضاء مورور وقرمونة هو وأخوه يحيى من أهل العلم ، توفي سنة ٣٩٠ هـ (٢) .

والقاضي عبد الله بن عبد الرحمن بن الحجاف المعافري ، وهو فقيه محدث من أهل بيت قضاء وعلم ، وهو من أهل بلنسية من أعمال شرق الأندلس ، وقد قال عنه أبو محمد علي بن أحمد انه روى الحديث عنه وانه أفضل قاض رآه ، مات قرابة سنة ٤٠٠ هـ (٣) .

والقاضي أبو مروان القرشي المعيطي ، وهو فقيه مشهور في الدولة العامرية ، وقد جمع من أقاويل الأمام مالك بن أنس وروايات أصحابه في كتاب ، اجتمع على جمعه مع الفقيه أبو عمر أحمد بن عبد الله المعروف بأبن المكوى بأمر المنصور بن أبي عامر (٤) .

والقاضي عبد الله بن أبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأموي المعروف بالأصيلي أبو محمد ، وهو من كبار أصحاب الحديث والفقه ، رحل لطلب العلم الى القيروان ومصر ومكة المكرمة وبغداد والكوفة ، وكان الحكم المستنصر قد طلبه من العراق ، فلما وصل المرية مات الحكم ، وظل حائرا ، ثم سار الى قرطبة

---

(١) : ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٥- ١٥٦
(٢) : ابن الابار: التكملة لكتاب الصلة ، جـ ١ ، ص ١٥- ١٦
(٣) : الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١٦٢
(٤) : الضبي : بغية الملتمس ، ص ٥٢٩

وبقى فيها حتى عرف المنصور بن أبى عامر مكانته فى العلم فقد مه الى الشورى ، ثم ولاه قضاء سرقسطة ، توفى سنة ٣٩٢ هـ أثر موت المنصور ابن أبى عامر .(١)

وكان كثير من القضاة يرفضون مناصب القضاء حين تعرض عليهم ، وربما كان السبب فى رفضهم اما انهم يعتقدون ان من فى القضاء أحسن منهم لهذا المنصب ،أو انهم غير راضين عن الحاكم . فلقاضى أبو عيسى أحمد بن عبد الملك رفض القضاء مع ان المنصور بن أبى عامر عرض عليه ذلك المنصب مرتين بأمر الخليفة هشام المؤيد بالله .(٢) وكان بعض القضاة يقبلون مناصب القضاء بعد ضغط من كبار رجال الدولة.(٣)

وقد برز من القضاة كثير منهم فى قيادة الجيوش الأسلامية بالأندلس . فقد كان يعقد للقاضى على جند بلده المنضم للجيش الأسلامى ، مثل القاضى الحسن بن عبد الله الخرافى قاضى ريّة فى عهد المنصور بن أبى عامر . وهذا يدل على الدور الهام للقضاة فى الغزو وذلك لرفع الروح المعنوية للجيش وأعلاء كلمة الجهاد فى سبيل الله .(٤)

ومن صلاحيات القاضى بتفويض من الخليفة أو حاكم الدولة كالمنصور بن أبى عامر ، أمامة صلاة الجمعة التى كانت تؤدى فى المسجد ، كذلك صلاة العيدين الفطر والأضحى . كما كان من عمل القاضى ممارسة

---

(١) : الضبى : بغية الملتمس ،ص ٣٤٠ - ٣٤١
(٢) : النباهى : المرقبة العليا ، ص ١٢
(٣) : ابن سعيد : المغرب ،جـ ١ ،ص ١٥٩
(٤) : النباهى : نفس المصدر ،ص ٥٣ - ٥٤ ، ٥٩ - ٦٠

ارتقاب الأهلة كالقاضي محمد بن يبقى بن زرب في دولة المنصور بن أبي عامر ، حيث يحدد أول يوم في صوم شهر رمضان وآخره .(١)

ومن الخطط القضائية الأخرى ، خطة الرد . واختص صاحب الرد انه كان يحكم فيما استرابه الحكام ورد وه عن أنفسهم اضافة الى ان لصاحب الرد الحق في الاطلاع على رعايا الكور والوقوف على أحوالهم . ومن الذين تقلدوا هذه الخطة عبد الملك بن منذر بن سعيد البلوطي الذي قتله المنصور بن أبي عامر ، اذ اتهمه مع جماعة من الفقهاء والقضاة بالتآمر عليه سرا ومبايعة عبد الرحمن ابن عبد الله بن الناصر .(٢)

كما يتصل بخطة القضاء خمسة خطط أخرى ، وهي التي كان يجري على يد أصحابها الأحكام ، وهي خطط : المظالم ، والحسبة ، والمدينة ، والسوق ، والشرطة .(٣) وكانت خطة الشرطة قد قسمت في عهد عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٧ هـ الى ثلاثة مراتب : الشرطة العليا ، والشرطة الوسطى ، والشرطة الصغرى . وفي عهد المنصور بن أبي عامر تطورت تلك الخطط بما يلائم الوضع الأمني للبلاد .(٤)

---

(١) : النباهي : المرقبة العليا ، ص ٧٨

(٢) : ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، رقم ٨٢١
— ابن حزم : طوق الحمامة ، ص ٤٢ (وخطة الرد تشبه في وقتنا الحاضر هيئة التمييز)

(٣) : النباهي : نفس المصدر ، ص ٥

(٤) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦٨٥- ٦٨٦

الرخـــاء الاقتصـــادى والازدهار الاجتماعـــى :-

يرجـــع الـــى الأمـــراء الامويين وضـــع أساس النظـــام المالـــى للأندلـــس، كمـــا يرجـــع اليهـــم استغلال موارد البـــلاد وثرواتهـــا الزراعيـــة والمعدنية استغـلالا جيـــدا ، فضـــلا عـــن تنظـــيم جبايـــة المكوس علـــى التجـــارة الداخليـــة والخارجية . وقـــد بلغت الأندلس شأوا كبيرا من الرخـــاء الاقتصـــادى والازدهـــار الاجتماعـــــى فـــى عهـــد الأمير عبد الرحمـــن الأوســـط.(١)

وقـــد ازداد هـــذا الرخـــاء الاقتصـــادى وهـذا الازدهـــار الاجتماعـــى فـــى الأندلس أكثر من ذى قبـــل فـــى عهـــد الرحمـــن الناصـــر ويحافظ بعد ان تمكن من توحيـــد البلاد وتلقـــب بالخلافـــه .

واذا مـــا تتبعنـــا مقـــدار الجبايـــة فـــى الأندلس منذ عهـــد الأمـــــير عبد الرحمـــن الأوســـط حـــتى عهـــد المنصـــور بن أبـــى عامـــر لأدركنـــا مدى مـــا كانت عليـــه الأندلس فـــى عهـــد الدولـــة العامريـــة من رخـــاء اقتصـــادى وأزدهـــار أجتماعـــى . فقـــد كانت الجبايـــة فـــى الأندلس فـــى عصـــر الولاة نحـــو ثلثمائـــة الف دينـــار كـــل سنة ، وكـــان علـــى كل مدينـــة من مـــدن الأندلس مال معلـــوم يوزع جـــزء منه علـــى الجند ، وينفـــق منه ايضـــا جزء علـى ما تتطلبـــه احتياجـــات البـــلاد ، والباقـــى كان يدخـــر لحوادث الأيـــام . وفـــى عهـــد الحكـــم الأول بلغت الجبايـــة ستمائـــة الف دينـــار . وفـــى عصـــر الأمـــير عبد الرحمـــن الأوســـط بلغت الجبايـــة مليـــون دينـــار فـــى السنه .(٢)

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٦٨٩ - ٦٩٠
— ليفى بروفنسال : حضارة العرب فى الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، ص ٥٣ - ٥٤
(٢) : شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، جـ ١ ، ص ١٨٥

وازدادت الجباية في عهد عبد الرحمن الناصر أكثر من ذي قبل لدرجة ان المقري يذكر انه عند ما توفي عبد الرحمن الناصر كان في خزائنه من الأموال خمسة آلاف الف الف .(١) ويبدو ان هذا المبلغ كان من الدراهم وليس من الدنانير لأن ابن حوقل يذكر لنا انه خلف من الأموال في خزائنه ما يقرب من العشرين مليون دينار .(٢) هذا عدا ما صرفه من الأموال الطائلة في الغزوات ، وفي النفقة على مختلف المنشئات الباذخة التي أقامها ، بمدينة الزهراء الملوكية ، مما يدل على ضخامة الموارد المالية للأندلس في عهده .(٣)

وفي عصر المنصور بن أبي عامر حققت موارد الدخل في الأندلس زيادة عظيمة ، حيث وصل محصل الجباية في عهده أربعة آلاف آلاف دينار سوى رسوم المواريث بقرطبة وكور الأندلس ، وسوى مال السبي والمغانم . وقيل ان المنصور رغب مرة أن يتعرف على مقدار ما يدخل قرطبة من جهاتها من احمال الحطب في اليوم الواحد ، فوكل باحصاء ذلك بعض ثقاته ، فعدوا له راصدين بسائر مداخل الطرق المؤدية الى قرطبة ، وكتب كل واحد منهم ما أحصاه ، ورفعوا جميعه الى المنصور ، فكان مجموع ما أحصوه في ذلك اليوم ستة آلاف وستمائة حمل حطب على اختلافها .(٤)

وقد زاد أزدهار الحالة الاقتصادية في الأندلس في عهد المنصور ابن أبي عامر نتيجة لكثرة غزواته وانتصاراته فيها ورجوعه منها محملا بالغنائم والأموال والسبي ، اضافة الى عنايته بالزراعة والصناعة والتجارة .

---

(١) : المقري : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٣٧٩
(٢) : ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١١٢
(٣) : عنان : المرجع السابق ، ص ٦٩٠
(٤) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٩٨ ، ١٠٤

ولذلك توفر المال لدى عامة الناس وخاصتهم في الأندلس . وليس أدل على هذا الرخاء الذي تمتعت به الأندلس في عهد المنصور بن ابي عامر ان الناس في أيامه تغالوا فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور ترغيبا في زواجهن ، وذلك لرخص بنات الروم ، فكان أهل الأندلس يرغبون في تجهيز بناتهم بالملابس والحلي والذهب ، ولولا ذلك لما تزوج بعضهن. وحكي انه نودي على ابنة عظيم من عظماء الروم بقرطبة ، فكانت ذات حسن وجمال فلم تساو أكثر من عشرين دينارا عامرية . هذا وقد ازدهر المجتمع الأندلسي وبانت عليه معالم الثراء والبذخ في عهد المنصور بن ابي عامر بسبب كثرة غزوات المنصور وما تمخضت عنه من كثرة الغنائم والأموال والسبي . وفي هذا يقول ابن عذاري انه عقب وفاة المنصور بن ابي عامر خرج الناس صائحين : (مات الجلاب ، مات الجلاب) والجلاب كلمة كانت تطلق على بائع الدواب أو على النخاس بائع الرقيق ، ولكنها أطلقت هنا بمعنى مجازي مستحب يراد به مدح المنصور كقائد عظيم غمرهم بالسبايا عقب عودته من غزواته العديدة .(١)

ومن اخبار الازدهار الاقتصادي والترف الاجتماعي في الاندلس على عهد المنصور ابن ابي عامر ، انه لما قدم اليه مبعوث الامبراطور البيزنطي بازيل الثاني (٢) ليطلع على احوال المسلمين وقوتهم امرا ان يغرس في بركة عظيمة ذات أميال نيلوفر ، ثم أمر بأربعة قناطير من الذهب وأربعة قناطير من الفضة ، فسكت قطعا صغارا على قدر ما تسع النيلوفرة ، ثم ملأ بها جميع النيلوفر الذي كان بالبركة ، وأرسل

---

(١) : عبد الواحد المراكشي : المعجب / تحقيق محمد سعيد العريان ، ص ٨٤
ـــ احمد العبادي : المرجع السابق ، ص ٢٥٠

(٢) : احمد العبادي : المرجع السابق ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦

السلى مبعوث ملك الروم فحضر بين يدى المنصور قبل طلوع الفجر فى مجلسه فى الزاهرة حيث كان يشرف على موضع البركة . فلما اقترب طلوع الشمس ، جاء الف من الصقالبة عليهم أقبية من الذهب والفضة ومناطق ذهب وفضة ، وبيد خمسمائة منهم أطباق الذهب ، وبيد الخمسمائة الآخرين أطباق فضة ، فتعجب مبعوث ملك الروم من حسن صورهم ، وجمال شارتهم ، فحين أشرقت الشمس ظهر النيلوفر من البركة ، فبادروا لأخذ الذهب وجاؤا به فوضعوه بين يد المنصور حتى صار كوما بيده ، فتعجب الرومى من ذلك ، وطلب من المنصور المهادنة . وعاد المبعوث الرومى الى بلاده ، وقال لملكه : " لا تعاد هؤلاء المسلمين ، فانى رأيت الأرض تخدمهم بكنوزها" . وقد استمر هذا الازدهار الاقتصادى فى الأندلس فى عصر الدولة العامرية حتى نهاية عبد الملك المظفر بن المنصور ، ثم انحسر وتقلص فى عهد أخيه عبد الرحمن بن المنصور ، الذى زالت دولة العامريين بمقتله .(١)

ومما يدل على أستمرار الرخاء الاقتصادى فى عهد عبد الملك المظفر بن المنصور انه قام فى بداية حكمه للأندلس باسقاط سدس الجباية فى جميع أقطار الأندلس ، فنال بذلك محبة الناس على مختلف مراتبهم ، وكانت الأندلس فى عهده قد بلغت درجة كبيرة من الرخاء والازدهار الاقتصادى والترف الاجتماعى ، حيث تنافس الناس فى الزخارف والترف وزينة اللباس .(٢) وكان أبوه المنصور قبله فى بداية خلافة هشام المؤيد بالله فى سنة ٣٦٦ هـ قد نسب اليه اسقاط ضريبة الزيتون بقرطبة ، وكانت الناس فى ذلك

---

(١) : المقرى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٨٥

(٢) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، جـ ١ ، ص ٥٩

الوقت مستكرهة تلك الضريبة .(١)

كان المجتمع الأندلسي يضم أجناسا من البشر ، ذوى عقائد عديدة وعادات مختلفة . وهذا المجتمع يتكون من العرب والبربر الذين ساهموا في فتح هذه البلاد بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير ، ومن المولدين والمستعربين (النصارى) واليهود . وكان عرب الأندلس من القبائل المضرية واليمنية ، وكذلك البربر كانوا ينتمون الى قبائل مختلفة .(٢) وهناك طبقة اجتماعية أخرى أخذت تلعب دورا هاما في حياة الأندلس السياسية والأجتماعية ، ولا سيما في قرطبة وهم الموالي المنحدرون من اصل أجنبي ويسميهم العرب بالصقالبة المجلوبين من الأرض الممتدة بين القسطنطينية وبلاد المجر . وقد أزدادت مكانة الصقالبة في المجتمع الأندلسي في عهد عبد الرحمن الناصر حيث بلغوا ما يقرب عن ١٣٧٥٠ صقلبيا ، وتقلدوا مناصب كبيرة في الدولة في عهده وفي عهد ابنه الحكم المستنصر لدرجة انه أصبح يعتمد عليهم اعتمادا كليا . هذا ويرجع دخولهم في خدمة الدولة منذ عصر الحكم الربضي . وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر قد استكثر عددهم واعتمد عليهم في قيادة الجيش وذلك ليحد من الأعتماد على القبائل العربية في الجيش .(٣)

ولكن المنصور بن أبي عامر في بداية حكمه للأندلس قلل من أهمية الصقالبة بأن نفى الكثير منهم خارج البلاد ، وسرحهم من مناصبهم .

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩

(٢) : عن التكوين الأجتماعي في الأندلس ، انظر / السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١١٩ - ١٣٣ — مصطفى الشكعه : الأدب الأندلسي ص ٢١ — جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص ٣٥ - ٣٦

(٣) : جودت الركابي : نفس المرجع ، ص ٣٨ - ٤٠

كما أدخل في الجيش الأندلسي طبقة جديدة هي طبقة البربر الذين اعتمد عليهم في غزواته ، وقد أزداد عدد البربر في الأندلس في عهد المنصوربن أبي عامر وفي عهد ابنه عبد الملك الذى زاد من استجلاب البربر وتشجعيهم على الهجرة من العدوة المغربية الى الأندلس لالحاقهم بالجيش العامرى ، فأصبحوا يشكلون طبقة كبيرة فى المجتمع الأندلسي لها مكانتها في السياسة والمجتمع الأندلسي . (١)

ويقول ابن غالب في رسالته " فرحة الأنفس" والتى ذكرها المقرى في وصف المجتمع الأندلسي ، حيث وصف لنا الأندلسي رجلا مهتما بلباسه وطعامه ، محبا للهو والغناء والموسيقى ، : حسن التدبير ، محبا للعلوم ، ويستطرد ابن غالب في وصفه لأهل الأندلس بقوله : " أهل الأندلس عرب في الأنساب والعزة والأنفة وعلو الهمم.وفصاحة الألسن ، وطيب النفوس، واباء الضيم ، وقلة احتمال الذل ، والسماحة بما في أيديهم ، والنزاهة عن الخضوع وأيمان الدنايا ، هنديون في أفراط عنايتهم بالعلوم وحسهم فيها وضبطهم لها وروايتهم ، بغداديون في نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائهم ولطافة أذهانهم ، وحدة أفكارهم ، ونفوذ خواطرهم . يونانيون في استنباطهم للحياة ، ومعاناتهم لضروب الفراسات ، وأختيارهم لأجناس الفواكه ، وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسين البساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر ، فهم أحكم الناس لأسباب الفلاحة " . (٢)

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص ٥١٤ - ٥١٥

(٢) : المقرى : نفح الطيب ،جـ ٢ ، ص ٧٦٣

الحيـــــــاة العلميـــــــــه :-

لبث الأندلس عقب الفتح الأسلامى لعده رد حـــا من الزمـــن بعيدا عـــــن أن يكـــون مهـــدا لنشـــوء الحركـــة الفكريـــة . ذلك أنـــه خلال عصر الولايـــة لم تكـــن الأمـــور قـــد استقرت بعـــد ، كمـــا لم تترك مشاغـــل الغـــزو وأشتداد العصبيـــات القبليـــه وكثرة تغـــير الولاة واضطراب الأحـــوال الداخليـــة مجالا كبيرا لأشتغـــــال الأندلسيين بالأدب.. هـــذا ويمكننـــا ان نرجـــع الحركـــة الفكريـــة الأندلسية الى عصر عبد الرحمـــن الداخـــل (صقـــر قريش) المتوفـــى سنة ١٧٢ هـ ، فقد كان أول شخصية بارزة ظهـــرت فـــى ميدان الفكـــر والأدب والشعـــر ، ولذلك يمكـــن أن يعتبر رائـــد النهضـــة العلميـــة والأدبيـــة الـــتى تفتحـــت فيما بعـــد ، وأزدهـــرت فى عهد خلفاءه .

لقـــد كان عبد الرحمـــن الداخـــل فوق براعتـــه الأدبيـــة ، عالما بالشريعة الأسلاميـــة . وكان ولـــده هشـــام المتوفـــى سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م مبرزا فى الحديـــث والفقـــه ، وفـــى عصـــر هـــذا الأمير ظهـــرت طلائـــع النهضـــة الأولـــى فى ميـــدان الفكـــر والأدب والتى كـــان يغلب عليهـــا الطابـــع الدينى فى بدايـــة الأمـــر . فقـــد رحـــل فـــى عهـــد عبد الرحمـــن الداخـــل جماعـــة من فقهـــاء الأندلس الى المشـــرق ودرســـوا فـــى المدينـــة المنـــورة وقـــد أدى ذلك الـــى ذيـــوع مذهب الأمام مالك فـــى الأندلس منذ عهـــد ابنـــه هشـــام .

وفـــى عهـــد الحكـــم بن هشـــام أتخذت الحركـــة الفكريـــة طابعـــــا أوســـع ، وظهـــرت طوالـــع النزعـــة الأدبيـــة الى جانب العلوم الدينيـــة ، وظهـــر الأدبـــاء والكتـــاب والشعـــراء الـــى جانب الفقهـــاء والمحدثين . وكان الحكم بن هشام

نفسه فى مقدمة شعراء عصره وأدبائه ، وقد بلغ الشعر فى عصره ذروته على يد شاعرين كبيرين هما العلامة عباس بن فرناس ، ويحيى الغزالى الحيانى . وكان الأول بالاضافة الى شاعريته عالما بالفلسفة والفلك والكيماء الصناعية والموسيقى كما كانت له مخترعات علمية وهو أول من حاول اختراع طريقة لطيران الانسان . كما كان عالما بالفلسفة والفلك .

وفى عهد عبد الرحمن بن الحكم بلغت الحركة الفكرية فى الأندلس أولى ذروتها ، ففى ميدان الكتابة أحتشد فى بلاطه عدة من أكابر الكتاب المشهورين ، كما كان هو نفسه يتمتع بالمواهب الأدبية والشعرية (١) .

وكان من أبرز الظواهر الأدبية فى عصر الخلافة الأموية أنتشار اللغة العربية وآدابها بين طائفة المستعربين أى النصارى المعاهدين ، ونبوغ الكثير منهم فيها ، وبلوغهم مرتبة البراعة فى كتابتها . كما ظهر شاعر من أعظم شعراء الأندلس وهو الفقيه أبو عمر بن عبد ربه (٢٤٦-٣٢٨هـ) صاحب كتاب (العقد الفريد) الذى يعتبر من أعظم آثار الأدب الأندلسى . ويعتبر العقد الفريد بطابعه المشرقى على نقيض كتاب (الذخيرة) لابن بسام الشنترى المتوفى سنة ٥٤٢ هـ ، والذى يعتبر بمحتوياته وروحه مثلا ساطعا للأدب الأندلسى . وكان عصر عبد الرحمن الناصر من المع عصور الدولة الأموية فى الأندلس ، فقد زهت فيه العلوم والآداب وظهرت فيه جمهرة من أكابر الشعراء والعلماء.(٢)

كما ظهر فى عهده وفى عهد ابنه الحكم ثم فى عهد المنصور

---

(١) : عنان : الخلافة الأموية والدولة العامرية ،ص ٦٩٤ - ٦٩٦
— على حسنى الخربطلى : الاسلام فى حوض البحر المتوسط ،ص ١٣٦ - ١٣٧- ١٣٩

(٢) : عنان : نفس المرجع، ص ٦٩٥ ، ٦٩٦
— محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ، جـ ١ ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦

ابن أبي عامر أعلام المؤرخين الذين وضعوا أسس الرواية الأندلسية ، أولهم أحمد بن محمد بن موسى الرازى المتوفى سنة ٣٤٤ هـ ومن تصانيفه " أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم " وكتاب " الاستيعاب فى أنساب أهل الأندلس" وكتاب " صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان فيها " . وقد كانت رواية الرازى مستسقى خصبا لمؤرخى الأندلس وفى مقدمتهم عميد هم ابن حيان ، وابن القوطية الذى كتب تاريخه المسمى " تاريخ افتتاح الأندلس" ، وأحمد بن موسى العروى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ والذى الف كتابا عنوانه" تاريخ الأندلس" ، وحسين بن عاصم ، وهو من أهل العلم والأدب ، وله كتاب " المآثر العامرية " فى سيرة المنصور بن أبي عامر وغزواته وأوقاتها .

ومن أعلام الأدباء الذين ظهروا فى هذه الفترة محمد بن عبد الله بن يحيى بن أبي عامر ، وهو من أهل الأدب ومن أبناء البيت العامرى أمراء الأندلس ، وعبد الله بن محمد بن مسلمه ، وهو أديب وناقد من نقاد الشعر ، وكان رئيسا جليلا فى دولة المنصور بن أبي عامر ، وكان له ديوان يجتمع فيه الأدباء والشعراء ، والوزير أبو مروان عبد الملك بن يحيى بن أبي عامر ، وهو من أهل الأدب والشعر ، وهو ابن أخى المنصور ابن أبي عامر ، وكذلك الوزير أبو عمر بن حزم كاتب المنصور ، وكانوا واسع الأدب والمعرفة . (١)

وفى ميدان الشعر ظهر الوزير جعفر بن عثمان المصحفى ، الذى تولى الحجابة للحكم المستنصر ، وتوفى فى عهد المنصور بن أبي عامر فى سجن الزهراء سنة ٣٧٢هـ . وفى عصر الحكم المستنصر أزدهرت

---

(١) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢٦٧
— الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٦٦ ، ٢٢٤

النهضة الفكرية نظرا لأن الحكم المستنصر كان أديبا وعالما ومشجعا للعلم والأدب ، بل كان رائدا للحركة الفكرية في عصره ، التي كان من أبرز ظواهرها جامعة قرطبة العظيمة ، وأحتشاد أكابر الأساتذة بين عقودها ، وأنشاء المكتبة الأموية الكبرى في قرطبة ، والتي بذل الحكم المستنصر في أنشائها من الجهد والمال ما لم يسمع بمثله حتى بلغت محتوياتها زهاء أربعمائة الف مجلد من مختلف أصناف العلوم والفنون . كما كثرت في عهده المكتبات العامة والخاصة ، واحتشد حول بلاط الحكم المستنصر كبار العلماء والأدباء والشعراء وفي مقدمتهم الحافظ أبو بكر معاوية القرشي ، وأبو علي القالي .(١)

وقد كان الأندلسيون شغوفين بطلب العلم يقرأون ليعلموا ويتعلموا ، فالعالم منهم بارع لانهم يطلبون ذلك العلم بباعث من أنفسهم ، ويحمل البعض منهم ان يترك عمله الذي يستفيد منه ، وينفق ما عنده حتى يتعلم . وكل العلوم لها عندهم اعتناء الاّ علم الفلسفة والتنجيم التي لا حظ لها الاّ عند خواصهم ولكنهم لا يتظاهرون بها خوفا من العامة اذ كان العامة يطلقون على من يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أسم زنديق ، وكانوا يزجرون من تعلمها ويعاقبونه ،.(٢)

---

(١) : عنان : المرجع السابق ، ص ٧٠٠ - ٧٠١

(٢) : محمد كرد علي : الأسلام والحضارة العربية ،جـ ١ ، ص ٢٤٥- ٢٤٦

— جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص ٢١

— على الرغم من كراهية الأندلسيين للفلسفة وأتهام من يشتغل بها وبالتنجيم بالزندقة فانه ينسب الى الامير عبد الرحمن الاوسط ادخال الفلسفة الى الاندلس ، فقد كان يبعث رجاله الى المشرق للبحث عن كتب الفلسفة وتصانيف الفكر اليوناني والهندي والفارسي (انظر ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ،ص ٦٣) .

وقد أتاح الصلح الذى تم بين المسلمين فى عهد الحكم المستنصر والنصارى فى شمال أسبانيا أن يخصص الحكم المستنصر معظم أوقاته فى جمع الكتب . فقد كان يبعث برجاله الى المشرق الأسلامى لشراء المخطوطات النادرة ، والكتب الجيدة عند وراقى القاهرة ، ود مشق وبغداد والقيروان وفاس وأحضارها لقرطبة ، وكان الحكم نفسه يقوم بالتعليق على بعض الكتب ، أضافة الى تشجيعه للرحلات التى يقوم بها بعض علماء الأندلس فى طلب الحديث الشريف من منبعه فى المشرق الأسلامى فى مكه المكرمه والمدينة المنورة وغيرها . (١)

ولا شك ان حضارة الأندلس كانت أصولها من المشرق الأسلامى ، الا ان هذه الحضارة تمت فى الأندلس وتطورت فى تلك الأرض الخصبة وتوفر لها فى الأندلس على يد علمائه وأدبائه وشعرائه من الأضافات والخصائص الذاتيه ما جعلها تتسم بطابعها الأندلسى . (٢)

وقد كانت قرطبة حاضرة الخلافة الأندلسية ، أعظم مركز للدراسات الدينيه والعلمية والأدبية فى الأندلس ، كما أضحت جامعتها أى جامعة قرطبة الشهيرة منذ عهد الحكم المستنصر وعهد المنصور بن أبى عامر من أعظم الجامعات الأسلامية . ففى عهد الدولة العامرية برز الكثير من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء ، وكان للتشجيع والرعاية التى حظوا بها من قبل المنصور بن

---

(١) : جودت الركابى : فى الأدب الأندلسى ، ص ٢١
— شكيب أرسلان : الحلل السندسية ، ج ٢ ، ص ٢٥٤
— لين بول : قصة العرب فى اسبانيا ، ص ١٣٩- ١٤٠
(٢) : عباس العقاد : أثر العرب فى الحضارة الاوربية ، ص ١١٦
— عبد الرحمن الحجى : أندلسيات ، ص ١٥٦- ١٥٩

أبي عامر ، ومن بعده ابنه عبد الملك ، أكبر الأثر في أثراء الحياة العلمية في الأندلس في هذه الفترة .(١) وفي الصفحات التالية أحاول أبراز هذه الاضافات في ميداني الدراسات الأسلامية والأدبية خاصة .

الدراسات الأسلامية :-

لقد أسهم العلماء والفقهاء الأندلسيون بجهود كبيرة في تفسير القرآن الكريم وتدريسه وفي الشروح الفقهية ، كما قاموا بدور كبير في تعليم الأندلسيين الشريعة الأسلامية وفي حثهم على عمل الخير ولذلك عظمت منزلة الفقهاء والعلماء في الأندلس .(٢) كما حرص كل أمير وخليفة في الأندلس في مختلف الأزمنة على احترام العلماء والفقهاء وأجلالهم ، ووضعهم في الموضع الذي يليق بهم ، وكان معظم أمراء الأندلس على مستوى من الثقافة الدينية تسمح لهم بمجالسة الفقهاء والعلماء الذين كانوا في العادة زينة مجالسهم . وكانت أهم العلوم التي يقبل عليها الأندلسيون قراءة القرآن الكريم وتفسيره ، والفقه والحديث ، وعلم أصول الدين والقراءات والنحو وعلوم اللغة العربية .(٣)

كان المنصور بن أبي عامر منال الأعجاب والتقدير من قبل رجال الدين في الأندلس ، وذلك لما يقوم به من جهاد كبير ضد الممالك النصرانية في شمال الأندلس . ومع ذلك كان المنصور بن أبي عامر يخافهم ، ويميل الى مهادنتهم

---

(١) : عنان : تراجم أسلامية ، ص ٢٧١
— عثمان الكعاك : الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، ص ٤
— علي أدهم : منصور الأندلس ، ص ١٣٨ - ١٣٩
(٢) : ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ، ص ٥٥
(٣) : مصطفى الشكعه : الأدب الأندلسي ، ص ٧٢ - ٩٧

نظـرا لما يتمتعـون بـه من قـوة الكلمـة والتأثير لدى عامة المسلمين فـي الاندلس . فكثيرا ما قامت بين الفقهـاء وبعـض أمـراء الأندلس مثـل الحكـم بن هشـام وعبد الرحمن الأوسـط مصـادمـات ، غير ان المنصـور بن ابى عامـر حـرص على اقامـة علاقـة متكافئـة مع الفقهـاء ، فهـو من جانبـه لم يحاول التقليـل من نفـوذهـم ومكانتهم ، الاّ انـه فـي الوقـت نفسـه لم يتح لهـم الفرصـة للتدخـل في شئون الحكم . فقـد كـان يضعهـم موضـع التقدير والاحترام ، وذلك يعـود الى تربيتـه الاسلامية والـى المنابـع التي تشـرب منهـا ثقافتـه وعلومـه الاسلامية على أيدى علماء وفقهاء قرطبة .(١)

وعند ما كانت تحدث مجادلـة بين الفقهـاء والفلاسفـة ، كان المنصـور ابن ابـى عامـر يسانـد فيهـا الفقهـاء لينـال رضائهـم . وعلـى الرغـم مـن ذلك فقـد اتهـم بعـض الفقهـاء المنصـور بالزندقـة والوهـن لتساهلـه فـي تشجيـع الفلاسفـة ، ممـا اضطـره الـى استدعـاء الفقهـاء ورجـال الدين مـن امثـال ابن زبيـدى وغيره الى مكتبـة الحكـم المستنصـر ، وامرهـم باخراج كتب الفلسفة المؤلفـة فـي علـم المنطـق والتنجيـم والتي عارضـوه في بقائهـا ، فأمر باحراقهـا . وليس ثمـة شـك في ان المنصـور كان يهمـه استرضـاء الفقهـاء والعلمـاء لكـي لا يكـونوا حجـة عليـه فـي قتلـه لمنافسيـه ومعارضيـه فـي الحكـم .(٢)

---

(١) : ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٦٨
— لين بول : قصة العرب في اسبانيا ، ص ١٤٧ - ١٤٩

(٢) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية في اسبانيا ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩
— انيس النصولى : الدولة الاموية في قرطبـة ، ص ١٣١ - ١٣٢

وقد زخر عهد المنصور بن أبي عامر وعهد ابنه عبد الملك بكوكبة كبيرة من أعلام الاعلام والفقهاء . فمن أعلام الحديث ، أحمد بن موسى ابن ينق ، ويكنى أبا بكر ، وكان رجلا صالحا ثقة في روايته . ويقال انه توفي في شهر ذى القعدة سنة ٣٧٩ هـ .(١) والفقيه عبد الله بن يونس ، وهو من أهل طليطلة ،ويكنى أبا محمد ،وكان من أهل العلم والرواية والتبتل والعبادة والاجتهاد ، كما كان من أهل الادب واللغة العربية ، لحقته سعاية عند المنصور بن أبي عامر - في صدر أيامه - من قبل عامل بلدة لانقباضه عنه ،فاسكنه المنصور في قرطبة ،وكان منطويا على نفسه ، توفي سنة ٣٧٥ هـ .(٢) والفقيه أحمد بن عبد الله بن محمد بن شريعة اللخمي ، ويعرف بابن البامي ، وهو من أهل اشبيلية ، ويكنى أبا عمر ، وكان من أهل العلم عارفا بالحديث ووجوهه . وأمام مشهور نشأ في العلم ومات عليه ، ويقول الخولاني " لم ترعين مثله في الحديث" ، تونفي ليلة الجمعه ، ودفن يوم الجمعه في الحادي عشر من المحرم سنة ٣٩٦ هـ . وكذلك الفقيه أحمد بن خلف بن فرتون المديوني ، من أهل مدينة الفرج ، ويكنى أبا عمر رحل الى الشرق ، وروى عن الكثير من الفقهاء ، توفي في سنة ٣٩٧ هـ . والفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القاهر بن عبد الملك العبسي ، من أهل اشبيليه ، يكنى أبا عمر ، رحل الى المشرق وعاد الى الاندلس ، وله مؤلف في الفقه سماه " الاقتصاد" وله تأليف في الزهد سماه " الاستبصار" ، توفي سنة ٣٧٩ هـ . وايضا الفقيه أحمد بن أبان سيد صاحب الشرطة بقرطبة ، ويكنى أبا القاسم ، روى عن أبي على البغدادى وغيره ، وحدث بكتاب الكامل عن سعيد بن جابر ، توفي سنة ٣٨٢ هـ . والعالم أحمد

---

(١) : ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١، ص ١٣

(٢) : ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، جـ ٢ ،ص ٢٨١ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥

ابن محمد بن داود التجيبي ، وهو من أهل طليطلة ، ويكنى أبا القاسم ، توفي سنة ٣٨٣ هـ . والفقيه احمد بن محمد بن سليمان ابن خديج الأنصاري ، وهو من أهل قرطبة ، ويكنى أبا عمر ، وكان راويه للحديث داريا للفقه ، كثيرا لتلاوة القرآن ، شديد الانقباض عن الناس ، وكان لا يأكل اللحم ولا يسيغه ، الا ان يكون لحم الحوت ، توفي سنة ٣٩٠ هـ . (١)

كما برز في عهد المنصور بن أبي عامر وفي عهد ابنه عبد الملك عدد كبير من أعلام القضاة فمن أشهرهم أبو بكر محمد بن أسحاق ابن سليم ، وكان بصيرا بالاختلاف ، عالما بالحديث ، ضابطا لما رواه ، متعرفا في النحو واللغة ، حسن الخطابة ، وكان قاضي الجماعة بقرطبة ، توفي يوم الثلاثاء في شهر جمادى الأولى سنة ٣٦٧هـ . كذلك القاضي أبو بكر محمد بن يبق بن زرب ، وهو قاضي الجماعة بقرطبة ، كان فقيها توفي سنة ٣٨١ هـ ، وله كتاب في الفقه سماه " الخصال " وكان ذلك في أوائل عصر الدولة العامرية . وايضا القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن زكريا المعروف بأبن برطال ، وقال عنه ابن حيان في كتاب القضاة انه خال المنصور بن أبي عامر ، وكان من بيت غنى بالثروة ، وكان مشهورا بصلاحه ، ووقورا حليما ، تولى قضاء قرطبة بعد ابن زرب الى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١م ، ثم عزله المنصور بن أبي عامر عن القضاء لكبر سنه . وفي سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م ولاه المنصور خطة الوزارتين ، وتوفي سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٠٤ م . وكذلك القاضي أبو العباس أحمد بن ذكوان ، وهو

---

(١) : ابن بشكوال : الصلة ، جـ ١ ، ص ١٢ - ١٣
- ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، جـ ٢ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٥

من شيوخ أهل العلم ، مذكور بالفضل ، ومن بيت فيهم علم ورياسة والقضاء يتردد فيهم ، قلده المنصور بن أبي عامر القضاء بعد خاله واتصلت ولايته في القضاء الى قيام الفتنة . وقد عزل عن القضاء في عهد عبد الملك بن المنصور وذلك لوشاية من الوزير ابن القطاع الا انه عاد اليها مرة أخرى ، ورفعت منزلته في عهد عبد الملك ، وتوفي يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر رجب سنة ٤١٣ هـ . والقاضي أبو المطرف عبد الرحمن بن فطيس ، ولي القضاء بين مدتي أبي العباس بن ذكوان ، وهو من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين ، حافظا للحديث وعلله ، وكان مشهورا بالصلابة في الحق ، وكانت وفاته في صدر الفتنة ، فدفن يوم الثلاثاء الخامس عشر من شهر ذي القعدة سنة ٤٠٢ هـ . والقاضي أبو عمر بن سعيد بن ابراهيم الهمداني المعروف بابن الهندي ، ذكره ابن بشكوال في كتاب الأعلام انه روى عن ابي علي صاحب كتاب الامالي ، وكان حافظا للفقه وأخبار أهل الأندلس.(١) والقاضي خلف بن يامين ، وهو من أهل مدينة سالم وقاضيها ، وهو الذي قبض على طرف كم ثوب القائد غالب قائد الثغر الأعلى حينما أراد قتل المنصور بن أبي عامر ، فحقد عليه غالب وقتله سنة ٣٦٩ هـ ،(٢) والقاضي أبو بكر يحيى بن وافد ، وقد جرت له خطوب طويلة مع المنصور بن أبي عامر ، وكانت سبب نزوع نفس هشام المؤيد ، وتوليته القضاء بعد ابن ذكوان ،

---

(١) : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ،ص ٢١٤ ، ٢١٦ - ٢١٧

(٢) : ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ،جـ ١ ،ص ٢٩٣

وكان فقيهـا عالمـا ، حافظـا ،عـادلا ،نزيهـا ، وكـان من أعـلام الشورى فـي قرطبـة ، توفـي سنة ٤٠٤ هـ .(١) والقاضـي أحمـد بن حكيـم بن محمـد العامـلـي ، ويكنى أبـا عمـر ، وهـو من أهـل قرطبـة ، ويعـرف بابـن اللبان ، ولـي قضـاء مورة وقرمونـة ، وهـو وأخـوه يحيى بن حكيـم من أهـل العلـم ، توفـي سنة ٣٩٠ هـ ،(٢) وكذلك القاضـي عبد اللـه بن عبد الرحمـن بن الحجاف المعافـري ، وهـو فقيـه محدث من أهـل بيت قضـاء وعلـم ، وهـو من أهـل بلنسية من أعمـال شرق الأندلس ، وقـد قـال عنـه أبو محمد علي بن أحمد انـه روى الحديث عنـه ، وانـه أفضـل قاضـي رآه ، مـات قرابـة سنة ٤٠٠ هـ .(٣) والقاضي ابو مـروان القرشـي المعيطـي ، وهـو فقيـه مشهـور فـي الدولة العامريـة ، وقـد جمـع مـن أقاويـل الأئمـام مالك بن أنس وروايـات أصحابـه كتابـا اجتمـع علـى جمعـه مع الفقيـه أبو عمـر أحمـد بن عبد الملك المعـروف بابـن المكوى ، وذلك بأمر المنصـور بن أبـي عامـر .(٤) والقاضـي عبد اللـه بن أبراهيـم بن محمـد بن عبد اللـه بن جعفـر الأمـوى المعـروف بالأصيلـي أبو محمـد ، وهو مـن كبـار أصحـاب الحديث والفقـه ، رحـل لطلـب العلـم الـى القيروان ومصـر ومكـه المكرمه وبغـداد والكوفـة ، وكـان الحكـم المستنصـر قـد طلبـه من العـراق ، وعنـد وصولـه الـى مدينـة المريـة مـات الحكـم ، وظـل حائـرا ،ثـم سـار الـى قرطبـة وبقـي فيهـا ،حـتى عـرف المنصـور بن أبي عامـر مكانتـه فـي العلـم

---

(١) : ابن سعيد : نفس المصدر ، جـ ١ ،ص ١٥٥ - ١٥٦

(٢) : ابن الابـار : نفس المصدر ،جـ ١ ، ص ١٥ - ١٦

(٣) : الحميدى : جـذوة المقتبس ،ص ٢٦٢

(٤) : الضبى : بغيـة الملتمس ،ص ٥٢٩

فقدمه الى الشورى ، ثم ولاه قضاء سرقسطة . توفى سنة ٣٩٢ هـ أثر موت المنصور بن أبي عامر (١)

ا لدراسات الأدبيه :-

كانت العربية لغة الأندلس بها تجرى المكاتبات والمراسلات ، وكان الأمراء والخلفاء فى الأندلس ورجال الدولة يتنافسون فى دراستها وأجادتها ويقربون من يحسن اللغة العربية وقواعدها وآدابها ، ويعملون على حسن أختيار كتابهم (٢) وقد ظهر عدد كبير من النحويين فى عهد المنصور بن أبي عامر . فمنهم النحوى ابو بكر محمد بن الحسين الزبيدى الأشبيلى صاحب كتاب " الواضح " وهو الذى اختصر كتاب العين للخليل بن أحمد ، وكان مع ذلك مشهورا فى الأدب والشعر. (٣) وكذلك النحوى محمد ابن خطاب الأزدى ، وهو من أهل قرطبة ، قال الحميدى فيه : انه كان يختلف اليه فى علم العربية أولاد الأكابر ، وله مع ذلك شعر مأثور ، وكان على قيد الحياة قبل سنة ٤٠٠ هـ (٤) . وايضا محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوى ، وهو من أهل قرطبة ، وصاحب التاريخ فى الدولة العامرية ، ويكنى أبا الوليد ، وكان حافظا فى اللغة مشاركا فى الأدب، ومن أعلم الناس بالكتب وعللها . والنحوى محمد بن مبارك ، وكان مولى المنصور ابن أبي عامر ، من أهل سرقسطة ، ويكنى أبا عبد الله ويعرف بابن الخباز ، وكان حافظا للغة بليغا فى الأدب ، وله مؤلفات . وايضا الحسن بن الوليد أبو القاسم ، وكان أماما فى اللغة العربية ، وأستاذاً

---

(١) : الضبى : نفس المصدر ، ص ٣٤٠ - ٣٤١
(٢) : جودت الركابي : فى الأدب الأندلسى ، ص ٦٤
— عبد العزيز عتيق : الأدب العربى فى الأندلس ، ص ٨٩
(٣) : ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦
(٤) : ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ ، ٣٨٤
— على أدهم : منصور الأندلس ، ص ١٧٨

فى الأدب ، له فى الأدب مؤلفات ، وله كتاب يشتمل على مسائل من النحو أعترض فيها على ابن جعفر أحمد بن محمد النحاس النحوى وقد ذكرها أبو جعفر فى كتابه المعروف بـ" الكافى ".والنحوى محمد بن الطايف ، كان من أهل البلاغة والأدب ، ذكره أبو عامر ابن شهيد ، وكان فى عصر المنصور بن أبى عامر.(١)

الشعراء ومجالس المنصور الأدبية :-

وبلغت الآداب والعلوم العربية فى الدولة الأسلامية بالأندلس المثل الأعلى لآداب أمة وعلومها ، وذلك لتشجيع حكام الأندلس للأدباء والشعراء ، ففى الأندلس وصل الأدب والشعر الغاية فى الأبداع والرونق ، والتى لم يصلها فى دولة أسلامية أخرى . وقد أضاف شعراء الأندلس وأدباؤها بلاغة المشرق الأسلامى فى شعرهم وآدابهم ، وذلك ان الأندلسيين يرون عرب المشرق المثل الأعلى لشعرهم وأدبهم ، ويجدونهم منبع علومهم وفنونهم ، وأضاف ذلك الى أدبهم أسمى ضروب الرقة والأفتنان فى صنوف الأستعارة والتشبيه والتعبير عن الأحساس والمشاعر ووصف الأشياء والآلام والمسرات وتقلبات الحياة فى المدح والهجاء والفخر والرثاء . وكان لطبيعة بلاد الأندلس وسمو حضارتهم وما ترتب على ذلك من رقة أمزجتهم وسلامة أذواقهم أن ظهر شعرهم وأدبهم فى أروع كمال . وكان نبوغ الأمراء والخاصة من رجال الدولة فى الأدب والشعر أمرا عاديا ،

---

(١) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ٨٣ ، ٢٦٧
ـ الحميدى : نفس المصدر ، ص ١٩٤

و ذلك لولع معظم المجتمع الأندلسي بالأدب والشعر ، حيث ان طبيعة وجمال بلاد الأندلس قد أثر في أحاسيسهم . ويذكر ان بعض السوقه كانوا ينظمون الشعر باللغة العربية الفصحى وذلك لمجالستهم الشعراء في جلساتهم الشعرية .(١) وقد أثرت الطبيعة فيهم فجاء شعرهم خلابا بمعانيه وتصويره ، كأنه على نمط آخر من شعر المشارقة ، أحتفظ بجميع ضوابط الشعر وأصوله . وقد منح الله الأندلس طبيعة فاتنة ، فكانت أغنى بقاع المسلمين منظرا وأوفرها جمالا ، فجاء شعرهم شعرا صادقا من أعماق القلوب يتميز بدقة الشعور والعواطف وبدقة وصفها في أسلوب بديع ممزوج بالخيال الواسع .(٢)

ومن خصائص شعر الطبيعة في الأندلس انه يتعلق ببيئتهم وتفضيلها عن غيرها من البيئات ، ويصف طبيعة الأندلس كما أبدعها الله في الحقول والرياض ، والأنهار ، والجبال ، والسماء ، والنجوم ، ويصفها ايضا كما صورها الفن مجلوة في القصور والمساجد والبرك والأحواض وأكمل بها أحاسيسهم بجمال الطبيعة .(٣)

وقد نظم شعراء الأندلس الشعر في مختلف الأغراض ، ولم يشذوا بوجه عام عن القواعد والأساليب التي اتبعها المشارقه في أشعارهم ، فكان شعرهم في المدح ، والرثاء ، والهجاء ، والزهد ، والتصوف ، والحماس ، والوصف .(٤)

---

(١) : جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص ٥٩ - ٦٠ ، ٧٥
— عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، ص ٨٨ - ٨٩
(٢) : محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ، جـ ١ ، ص ٤٥
— جودت الركابي : نفس المرجع ، ص ٣٠ ، ٦٠ ، ٧٥
(٣) : مصطفى الشكعه : الأدب الأندلسي ، ص ١٣٠ ، ١٣٦
(٤) : جودت الركابي : نفس المرجع ، ص ١٤ - ١٥ ، ١١٨ - ١٢٢

ولهم ايضا شعر في الزجل يعالج الوصف والفخر والزهد والرثاء والمديح ، وقد ظهر الشعر الزجلي بلغة دارجة أي بتكرار القافية دون الالتزام بالاعراب . (١)

أما فن الموشحات فقد ظهر في الأندلس ، وحدد له الشعر وزنه وحرره من قيود الشعر التقليدي وقوالب الأوزان وضبط القافية ، وهو فن من فنون الشعر أتخذ قوالب في نطاق تعدد الأوزان الشعرية . وكانت الموشحات تنال أعجاب الاندلسيين وذلك لسلاستها وسهولة تناولها وقرب طريقها . وقد سمى هذا الفن بالموشح لما فيه من ترصيع وتزيين وتناظر وضعه . (٢)

وكان الخليفة الحكم المستنصر نفسه يحب مجالسة الأدباء والشعراء وذلك لحبه وتمكنه من العلوم الشرعية وتحقيق الأنساب ، كما كان أديبا ينظم الشعر . ثم كان الانقلاب العظيم في مصاير الخلافة الأموية ، وتغلب محمد بن أبي عامر أو الحاجب المنصور بن أبي عامر على الدولة في الأندلس . ومن حسن الطالع ان المنصور كان عالما متمكنا من الشريعة والأدب بارعا في النثر والنظم ، وكان يتصدر مجالس العلماء والأدباء ، حتى انه خلال الغزو كان يصطحب معه طائفة من الشعراء ينظمون في مجلسه خلال السير . (٣)

كما وضع المنصور بن أبي عامر ديوانا ينظم أسماء الشعراء وينزلهم فيه حسب مراتبهم في الشعر ، وكانت الصلات والأعطيات المرسومة

---

(١) : عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ٢٥٤-٢٥٥
- مصطفى الشكعه : المرجع السابق ، ص ٤٤٧ ، ٤٥٠
(٢) : عباس أحسان : تاريخ الأدب الأندلسي ، ص ٢١٧
- جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٥
(٣) : الحميدي : جدوة المقتبس ، ص ٧٨ - عباس أحسان : نفس المرجع ، ص ٧٨

لهم ، تقدر حسب مراتبهم المذكورة ومواهبهم الشعرية . وقد أوكل أمر هذا الديوان والاشراف عليه الى الأديب عبد الله بن محمد بن سلمة الذى كان على جانب كبير من الأدب والمعرفة بالشعر وفنونه ، فكانت على يده تخرج عطايا الشعراء ، وبنظره ينزلون منازلهم فى الديوان . (١)

وكان من أعظم شعراء الأندلس فى عصر المنصور بن أبى عامر ومن جلسائه فى مجالس الأدب / الشاعر أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلى وكان ابن دراج القسطلى كاتبا بليغا من كتاب ديوان الانشاء وشاعرا لامعا ، وقد نبغ فى ميدان الشعر نبوغا جعله عمدة شعراء عصره . وكان من شعراء المنصور المقربين له ، وله فيه مدائح رائعة ومن حسن كتبايات ابن دراج النثرية الرائعة وصفه لفتح المنصور لشنت ياقب وقد أبدع فى وصفه وحاز على سرور المنصور وأعجابه . ولما توفى المنصور بن أبى عامر سنة ٣٩٢ هـ ، تجول ابن دراج فى أنحاء الأندلس ، ومدح بعض أمراء الطوائف . وقد قال العلامة ابن حزم فى حقه : انه لم يكن بالأندلس أشعر من ابن دراج ، وتوفى ابن دراج سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م . (٢) ومن الشعراء المقربين للمنصور بن أبى عامر الشاعر أبو العلاء صاعد بن حسن البغدادى المتوفى سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ، وكان قد قدم من المشرق الى الأندلس فى أوائل عصر المنصور بن أبى عامر ، وكان أبو العلاء صاعد عالما باللغة والأدب والتواريخ ، فقربه المنصور وعطف عليه ، وجمع له صاعد كتابا سماه " الفصوص فى الأدب والأشعار والأخبار " فأمر له المنصور بخمسة آلاف دينار ، وأمر ان يقرأه على الناس

---

(١) : الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٧٥
— ليفى بروفنسال : حضارة العرب فى الأندلس ، ص ٦٥

(٢) : الحميدى : نفس المصدر ، ص ١١٠ - ١١١ ، ١١٢
— الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٥٨ - ١٦٠
— عبد العزيز عتيق : الادب العربى فى الاندلس ، ص ٨٩ - ٩٠ .

بمسجد الزاهرة .[١] ومن المقربين ايضا للمنصور بن أبي عامر ، عبد الرحمن بن فطيس قاضي الجماعة بقرطبة ، وكان من أئمة المحدثين وكبارهم ، وله مشاركة في مختلف العلوم والسير وكان يحضر بعض المجالس الأدبية لدى المنصور بن أبي عامر .[٢]

وكان المنصور يفتتح مجلسه للشعراء والأدباء ، وكان له في الأسبوع مجلس يجتمع بهم للمذاكرة والمناظرة في مختلف العلوم ، ويستأنس برأيهم وكان هؤلاء يتحدثون عن المنصور وتدينه وورعه وعدله وفيضه وبره ، ويقولون عنه بكل محمدة .[٣] ويحكى ان أبا محمد الباجي الراوية دخل على المنصور يوما ، وقال له " اصلحك الله ياحجب ، وحفظك ووفقك وأحسن عونك " فرد عليه المنصور بن أبي عامر وقال له " كيف انت اليوم وحالك " فقال له بخير ما كنت به . واستمرت المناظرة بينهما وأخذ يلوم المنصور ، فقال له المنصور : يافقيه هكذا صاحب الدنيا لابد أن يخلط خيرا بشر ، ويأتي معروفا ومنكرا ، والله يثوب على من يشاء برحمته .[٤]

ومن المناظرات بين المنصور بن أبي عامر والشعراء تلك التي وقعت بينه وبين الشاعر أبو العلاء صاعد بن حسن الربعي اللغوي . فقد حدث انه دخل على المنصور يوما في مجلس أنس ، وقد كان تقدم ، فاتخذ قميصا من رقاع الخرائط التي وصلت اليه فيها صلاته ، ولبسه تحت ثيابه ، فلما خلا المجلس ، وجد أبو العلا فرصة لما أراد ، وتجرد وبقي في القميص المتخذ من الخرائط ، فقال له المنصور ، ما هذا ؟ فقال له أبو العلاء :

---

(١) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٥٨
(٢) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، ص جـ ١ ، ص ٢٢
— عنان : المرجع السابق ، ص ٧٠٣ - ٧٠٥
(٣) : البتنوني : رحلة الاندلس ، ص ٦٩ - ٧٠
(٤) : ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤

هذا رقاع صلات مولانا أتخذناها شعارا فمكى ، وأخذ يذكر محاسن المنصور عليه ، فأعجب المنصور منه ، وقال له : لك عندى مزيد من العطاء . وكان قد حظى عنده عند ما الف له كتاب " الفصوص" وهذا الكتاب على نحو النوادر لأبى على القالى .(١) وقيل ان ابى العلاء صاعدا دخل على المنصور فى يوم مطير وعليه ثياب جدد فمشى على حاشية الصهريج ، وذلك لازدحام من حضر فى مجلس المنصور، فزلق وسقط فى الماء ، فضحك المنصور بن أبى عامر وأمر باخراجه ، فلما نظر اليه المنصور أمر بخلع ثيابه ، وقربه من مجلسه ، ثم قال له : ياأبا العلاء هل قلت فى سقطتك شيئا ، فأجاب صاعدا بقوله :

شيئان كانا فى الزمان غريبة ضرط ابن وهب ثم زلقة صاعد

فأستبرد المنصور ما أتى به . وكان الكاتب أبو مروان الجزيرى حاضرا ، فقال له ياأبا العلاء ، هلاّ قلت :

سرورى بغرتك المشرقة ودیمة راحتك المغدقة

ثنانى نشوان حتى هويت فى لجة البركة المطبقة

لئن ظل عبدك فيها الغريق فجودك من قبل ذا اغرقه

فقال له المنصور : لله درك ياابا مروان ، قسناك بأهل العراق ففضلتهم ، فبمن تقاس بعد ؟ فعينه يومئذ للشرطة .(٢)

وكان ابو العلاء كثيرا ما يستغرب له الألفاظ ويسأل عنها فيجيب فيها بأسرع جواب على نحو ما يحكى عن ابى الزاهد ، ولو ان أبا العلاء

---

(١) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ٦٩ - ٧٠

(٢) : ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ،ق ٢ ،م ١ ،ص ٢٣ — عبد العزيز عتيق : الادب العربى فى الاندلس ، ص ٨٧ - ٨٨

كان كثير المزاح لما حمل على التصديق ، وقد ظهر صدقه في بعض ما قال . ومما يحكى عنه انه دخل على المنصور بن أبى عامر وفي يديه كتابه ورد عليه من عامل له في بعض البلاد اسمه مبرمان ابن بريد ، يذكر فيه القلب والتربيل وهما عندهم من معاناة الأرض قبل زرعها ، فقال له أبا العلاء ، فأجابه أبا العلاء لبيك يا مولانا ، قال : هل رأيت فيما وقع اليك من الكتب ، كتاب القوالب والد والب لمبرمان بن بريد ، قال : أى والله يا مولانا رأيت ببغداد فى نسخة لأبى بكر ابن دريد بخط كاكرع النمل فى جوانبها علامات هكذا ، فقال له المنصور: أما تستحى ابا العلاء من هذا الكذب ، هذا كتاب عاملنا ببلد كذا واسمه كذا ويذكر فيه كذا ، الذى تقدم ذكره ، وانما صنعت هذا تجربة لك . فجعل أبو العلاء يحلف انه ما كذب ، وانه أمر وافق . وقال له المنصور مرة أخرى وقد قدم طبق فيه تمر ، ما التمر فى كلام العرب، فقال أبو العلاء : يقال تمر كل الرجال يتمر كلا اذا التف فى كساءه . وسأل مرة أبو عبد الله العاصى النحوى أبا العلاء صاعد فى مجلس المنصور مسائل فى النحو غامضة ، فقصر فيها فلما رآه المنصور بن أبى عامر مقصرا فى جوابه ، قال دعوه فهو من طبقتى فى النحو ، انا أناظره ، قال ثم سألنا أبو العلاء صاعد ، فقال ما معنى قول أمرىء القيس :

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حنساء لشيب مرجل

فقلنا : هذا واضح ، وانما وصف فرسا أشهب عقرت عليه الوحش فتطاير دمها الى صدره فجاء هكذا ، فقال أبو العلاء : سبحان الله نسيتم قوله قبل ذلك فى صنعه :

كميت يـزل اللبـد عن حـال متنـه كما زلت الصفراء بالمتنزل

فانبهتنـا والله كأننـا لم نقـرأ هـذا البيت قـط ، واضطررنـا الى سؤالـه عنـه ، فقـال انمـا عني أحـد وجهين ، امـا انه تغشـى صدره بالعـرق وعرق الخيـل أبيـض ،فجامـع الدم كالشيبى ، وامـا شيئا كانت العـرب تصنعـه ، وهو أنهـا كانت تسـم باللبـن الحـار فـى صدور الخيـل فيمتـط ذلك الشعـر وينبت مكانـه شعـر ابيـض ، فأيـا ما عني من احـد الوجهين فالوصف مستقيـم .(١)

ومـن عجائـب الصـدف ان أبـا العـلاء صاعـد أهـدى الى المنصور ابن أبى عامـر أيلا وسمـاه غرسيـه ، وكـان المنصـور آن ذلك قـد غـذا غرسيـه أحـدى ملوك النصـارى فـى الشمـال الأسبانـى ، وكتب معـه أبياتا شعريـه نقطـف منهـا بعـض الأبيـات :

يامحـرز كل مخـوف وأمـان كـل مشـرد ومعـز كـل مذلـل

عبد جذبت بضبعـه ورفعـت من مقداره أهدى اليك بأيـل

سميتـه غرسيه وبعثـه فـى حبلـه ليصبح فيه تفاؤلى

فقضـى فى سابـق علـم اللـه سبحانـه وتعالـى ، ان ملك الـروم غرسيه بن شانجة أشـره المنصـور فـى ذلك اليـوم الذى بعـث فيـه بالأيـل وسمـاه بأسمـه علىالتفـاؤل .(٢)

وفـى يوم من الأيـام قدم أبو العـلاء صاعـد علـى المنصـور فلمـا وصـل اليـه وجـد عودا بين يديـه ، فقـال لـه المنصـور : قـد تواتـر الخبر وتحدث عنك البشـر انك فـرد فـى علـم الموسيقـى ، وقـد أردت غير مرة الانبسـاط معـك سـرا ، فشـق الأمـر علـى أبـى العـلاء ، ولـم يجـد مخرجـا لطلب المنصور ،

---

(١) : الضبى : المصدر السابق ، ص ٣٢١ - ٣٢٢

(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ٨١ ، ٨٣

فأخذ العود وجس أوتاره وسوى تسوية أطربت المنصور بن أبى عامر، ثم أخذ أبو العلاء ينشده بيتى مجنون بنى عامر :

أبى القلب إلاّ حبها عامرية ... لها كبية عمرو وليس لها عمرو

تكاد يدى تندى اذا مالمستها ... وينبت فى أطرافها الورق الخضر

فغضب المنصور لتوهمه عرض أبياته ، فقال له المنصور : ياأبا العلاء ، أبالأخوة عرضت ام بالأبناء ؟ وهذه أشارة رئيس أنف من ان يجاوبه على مغزى ما خاطبه ، فأخرج الجواب على التذكير همة أمام غيور (١)

ومن مناظرات أبى العلاء مع المنصور بن أبى عامر ، ان أبا العلاء رأى فى أحد الأيام كتابا بيد المنصور ، وهذا الكتاب اسمه " النكت " تأليف ابى الفوث الصنعانى ، فأخذ أبو العلاء صاعد يقلب ورقاته ، وقال للمنصور أى والله قرأته بالبلد الفلانى على الشيخ فلان بن فلان ، فأخذ المنصور من يده الكتاب خوفا ان يقرأه ، وقال له : ان كنت قد قرأته كما تزعم ، فعلام يحتوى ؟ فقال : وأبيك لقد بعد عهدى به ، ولا أحفظ الآن منه شيئا ، ولكنه يحتوى على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر ، فقال له المنصور : أبعد الله مثلك فما رأيت أكذب منك ، وأمر بأخراجه من المجلس وان يقذف كتاب " الفصوص " الذى الفه فى النهر . فقال فيه الشاعر أبو عبد الله محمد بن يحيى المعروف بأبن العريف بيتا من الشعر فى مجلس المنصور :

قد غاص فى النهر كتاب الفصوص ... وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك المنصور والحاضرين معه ، فأجاب الشاعر أبو العلاء صاعد مرتجلا لابن العريف :

---

(١) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ١٩- ٢٠

عـــاد الى معدنـــــه انمـــا توجـــد فـــى قعـــر البحار الفصوص (١)

وأد خـــل علـــى المنصـــور بن أبـــى عامـــر ذات يوم وردة فى غير أيامهـــا لـــم تستتم فتح أكمامهـــا والشاعـــر أبو العـــلاء صاعـــد فـــى مجلســـه ، فأنشـــد أبو العـــلاء مرتجـــلا :

أتتـك أبا عامـــر وردة يذكر المسك فى أنفاسهـــا

كعذراء أبصرها مبصـــر فغطت بأكمامها رأسهـــا

فاستحسن المنصـــور ذلك ، وكان الشاعـــر ابن العريف حاضـــرا فى مجلس المنصـــور ، فحســـد صاعـــدا ، وجـــرى الى مناقضتـــه ، فقـــال للمنصـــور بن أبى عامـــر ، ان هذين البيتين لغـــيره ، وقـــد أنشـــدنيها بعـــض البغداديين بمصـــر لنفســـه ، وهمـــا عنشدى علـــى ظهـــر كتاب بخطـــه ، فطلب منـــه المنصـــور ان يـــرى الكتاب ، فخـــرج ابن العـــريف قاصـــدا مجلس ابن بدر ، وكـــان أحســـن وقتـــه بديهـــة ، فوصف له مـــا جـــرى ، فقـــال :

عشوت الى قصـــر عباسيـــة وقـــد جدّل النـــوم حراسهـــا

فالفيتهـــا وهى فى خدرها وقـــد صّرع السكـــر أناسهـــا

فقلت : أسار على هجعة ؟ فقلت ذبلى فرمت كأسهـــا

ومدت يدها الـــى وردة تحاك لك الطيب أنفاسهـــا

كعذراء أبصرها مبصـــرو فغطت بأكمامهـــا رأسهـــا

وقالت : خف الله لا تفضحنى فى ابنة عمك عباسهـــا

فوليت عنها على عفـــة وما خنت ناسى ولا ناسهـــا

---

(١) : المقرى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٧٧- ٧٨
- على أدهم : منصور الاندلس ، ص ١٣٩ - ١٤٠

فعاد ابن العريف بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصرى ودخل على المنصور فلما رآه اشتد غيظا على ابى العلاء صاعد ، وقال غدا امتحنه ، فان فضحه الامتحان لم يبق فى موضع لى فيه سلطان . (١) فلما اصبح اليوم التالى دعاه المنصور ، فحضر ابوالعلاء مجلس المنصور الذى كان يغتص بند ماء المنصور ، فأدخلهم المنصور الى مجلس حفل كان قد اعد فيه طبقا عظيما فيه سقائف مصنوعة من جميع النواويس ، ووضع على السقائف لعب من ياسمين فى شكل جوارى ، وتحت السقائف بركة ماء القى فيها اللآلى مثل الحصباء ، وكان فى البركة حية تسبح ، وامر المنصور باد خال ابى العلاء صاعد ، فلما دخل ، قال له المنصور بن ابى عامر ان هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا واما ان تشقى بالغد عندنا ، لانه قد زعم قوم ان كل ما تأتى به دعوى ، وقد وقعت من ذلك على حقيقة ، وهذا طبق ما توهمت انه احضر بين يدى ملك قبلى فى شكله ، فصفه بجميع ما فيه ، فان وصفته بجميع ما فيه ، علمت صحة ما تذكره . فوصفه ابو العلاء صاعد بجميع ما فيه قائلا :

أبا عامر هل غير جد واك واكف ... وهل غير من عاد اك فى الأرض خائف

يسوق اليك الدهر كل عجيبة ... واعجب ما يلقاه عندك واصف

وشائع نور صاغها ماهر الحيا ... عليها فمنها عبقرى ورفارف

ولما تناهى الحسن فيها تقابلت ... عليها بأنواع الملاهى الوصائف

كمثل الضباء المستكنة كنسا ... تظلها بالياسمين السقائف

وأعجب منها انهن نواظر ... الى بركة ضمت اليها الطرائف

---

(١) : ابن بسام : الذخيرة ، قـ ٤ ، م ١ ، ص ٩

حصاهـا اللالى سابح فى عبابهـا من الرقُش مسموم الشعابين زاحف
ترى ما تشاء فى جنباتهـا من الوحش حتى بينهن السلاحف (١)

فاعجب المنصور منه ، واستغرب له تلك البديهة فى مثل هذا الموضع ، وكتبها المنصور بخطه ، وكان الى ناحية تلك السقائف سفينة فيها جاريه تجدف بمجاديف من ذهب لم يرها صاعد ، فقال له المنصور إلاّ أنك لم تصف هذه الجاريه ، فقال صاعد :

وأعجب منها غادة فى سفينة مكللة تصبو اليها المهايف
اذا راعها موج من الماء تتقى بسكانها ما انذرته العواصف
متى كانت الحسنا ربان مركب تصرف فى يمن يدها المجاذف
فلم ترعينى فى البلاد حديقة تنقلها الى الراحتين المناصف (٢)
ولا غرو أن شاقت معاليك رمضة زهتها أزاهير الربى والزخارف
فأنت أمروء لو رمت نقل متالع ورضوى ذرتها من سلط العواصف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهة فكلنى لها انى لمجدك واصف

وبعد أن سمع المنصور هذه الأبيات الشعرية من أبى العلاء صاعد ، أمر له بالف دينار ومائة ثوب ، ورتب له فى اليوم ثلاثين ديناراً ، اضافة الى الحاقه بديوان مجلس المنصور ، مع زياد الله بن مضر الطبنى وابن العريف وغيرهم من الشعراء والأدباء . (٣)

ومن الشعراء المقربين من المنصور ، الشاعر ابو احمد بن محمد بن العاص بن احمد بن سليمان بن دراج الأندلسى القسطلى (٣٤٧ - ٤٢١ هـ / ٩٥٨ - ١٠٣٠م)

---

(١) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ٣ ،ص ٨٠ - ٨١
(٢) : المناصف (أى الخدم)
(٣) : ابن بسام : الذخيرة ،ق ٢ ،م ١ ،ص ١٠ - ١١

وكان شاعر المنصور وكاتبه وهو معدود في تاريخ الأندلس من جملة الشعراء المجيدين والعلماء المتقدمين . وذكره أبو المنصور الثعالبي في كتابه " يتيمة الدهر" وقال في حقه : (كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام ، وهو أحد فحول الشعراء ، وكان يجيد ما ينظم ويقول) وله طريقة في البلاغة والرسائل تدل على اتساعه وقوته وكان من جلساء المنصور في ديوانه الذي يجمع فيه الشعراء وأثبته في ديوانه . وقد تبوأ ابن دراج القسطلي مكانة رفيعة في بلاط المنصور ، وقد وصف بأنه لم يكن بالأندلس مثله في الشعر . وحدث ذات يوم ان المنصور بن أبي عامر أقره ان يعارض قصيدة ابي نواس الحكمي التي مدح بها الخصيب بن عبد الحميد صاحب الخراج بمصر والتي أولها :

أجارة بيتينا أبوك غيور ... وميسور ما يرجى لديك عسير

فعارضها القسطلي بقصيدة بليغة ، من جملتها :

الم تعلم ان الثواء هو التوى ... وان بيوت العاجزين قبور

تخوفني طول السفار وانه ... لتقبيل كف العامري سفير

وعيني ارد ماء المفاوز آجنا ... الى حيث ماء المكرمات نمير

فان خطيرات المهالك ضمن ... لراكبها ان الجزاء خطير (١)

وايضا من شعراء عصر الدولة العامرية ، الشاعر عبد الملك بن احمد بن شهيد . وكان هذا الشاعر نقطة تحول كبير في تاريخ بني شهيد بعد الجلالة التي كانت لآبائه منذ أيام عبد الرحمن الداخل الى عصر عبد الرحمن الناصر . وكان عبد الملك هذا وزيرا من وزراء المنصور ، وجليسا من جلسائه ، بل كان أقرب هؤلاء اليه ،

---

(١) : الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ١١٠ - ١١١
— ابن خلكان : وفيات الاعيان ، م ١ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، ١٣٨
— ديوان بن دراج : تحقيق محمود مكي ، ص ٥٨ - ٦٨

واكثرهم اجتهادا فى مرضاته [١] . وقد برع فى ميدان الأدب ، فألف كتبا منها " كشف الدك وايضاح الشك " وكذلك " حانوت عطار " وكتاب " التوابع والزوابع " [٢] . وتقلد فى عهد عبد الرحمن الناصر منصب الوزارتين ، وغزا البشكنس فى عهده ، وقد توفى ليلة الأحد ٤ ذى القعدة سنة ٣٩٣ هـ/ ٢٣ سبتمبر سنة ١٠٠٤ م ، وكان فى السبعين من عمره حين حضرته الوفاه.

ومن شعره :

قصرت عن شأوى فعاد يتنى ... اقصر فليس الجهل من شانى

ان كان قد اغناك ما تحتوى ... بخلا فان الجود اغنانى

وكان المنصور كثيرا ما يرتاح لابن شهيد ويوللى الاحسان اليه [٣] .

---

(١) : ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٣٩

(٢) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٥٨ - ١٦٠

(٢) : احمد هيكل : الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط الخلافه ، ص ٣٨١ - ٣٨٣

- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ، ص ٣٤٠

(٣) : انظر ترجمته :

- ابن الابار : نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠
- ابن بسام : الذخيره ، ق ٤ ، م ١ ، ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩
- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤
- المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٥٨٥ - ٥٨٦
- ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ ١ ، ص ١١٦ ، ١١٨ ، ٣٩٩ - ٤٠٠
- على ادهم : المرجع السابق ، ١٤٩

وكذلك الشاعر ابو مروان عبد الملك بن ادريس الجزيري ، وكان كاتب المنصور ووزيرا في دولته ، وهو اديب وشاعر غزير المادة ، معدود في اكابر البلغاء ، وله رسائل واشعار مدونة ، ومن مستحسن مطولاته قصيدة في الادب والسُّنة كتبها الى بنيه ، قال الحميدي : لا اعلم لأحد مثلها في معناها ، انشدناها ابو محمد عبد الله بن عثمان بن مروان القرشي ، عن الكاتب ابي احمد عبد العزيز بن عبد الملك بن ادريس الجزيري ،عن ابيه عبد الملك ، قال فيها :

واعلم بأن العلم ارفع مرتبة ... واجل مكتسب واسنى مفخر

فأسلك سبيل المقتنين له ... تسد ان السيادة تقتنى بالدفتر

تسمو الى ذى العلم ابصار الورى ... وتغضى عن ذى الجهل بل تزدرى (١)

وذكر ابن بسام : انه كان يشبه بمحمد عبد الملك الزيات في البلاغة والعبقرية . عتب عليه المنصور بن عامر وسجنه في مطبق الزاهرة ،

---

(١) : الضبي : بغية الملتمس ، ص ٣٧٥

ـ ابن بسام : الذخيرة ،ق ٤ ،م١ ،ص ٣٢ـ ٣٤

ـ المقرى : نفح الطيب، جـ ١ ، ص ٥٨٦ـ ٥٨٨.

ثم عفا عنه ، وكتب له ، وقد اتبع العفو باحسان :

عجبت من عفو ابن عامر لابد ان تتبعه منّة

فرضي المنصور عنه واعاده الى مكانته عنده . (١)

دخل على المنصور بن ابى عامر ذات ليلة ، وكان القمر فى تلك الليلة يبدو تارة ويخفيه السحاب تارة أخرى ، فقال الجزيرى فى هذه المناسبه :

أرى بدر السماء يلوح حينا فيبدو ثم يلتحف السحابا

وذاك فانه لما تبدى وابصر وجهك استحيا فغابا

مقال لو نمى عنى اليه لراجعنى بتصديقى جوابا (٢)

وحدث ان المنصور صنع صنيعا وذلك لتطهير ابنه عبد الرحمن ، وكان عام قحط ارتفع فيه سعر الدقيق فى قرطبة ، فبلغ ربع الدقيق الى دينارين ، فلما كان يوم ذلك الصنيع ، ظهرت فى السماء سحابة عمت الأفق ، ثم أتى المطر ، فاستبشر الناس ، وسر المنصور ، فقال الجزيرى بهذه المناسبه شعرا :

أما الغمام فشاهد لك انه لا شك صنوك بل أخوك الأوثق

وافى الصنيع فحين تم تمامه فى الصحو انشأ ودقة يتدفق

واظنه يحيك جودا اذ رأى فى اليوم بحرك زاخرا يتفهق

وقد وصف النرجس للمنصور بقوله :

---

(١) : ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٣٢١ - ٣٢٢

(٢) : الحميدى : المصدر السابق ، ص ٢٨٠ - ٢٨١

حيتك ياقمر العلا والمجالس ... أزكى تحيتها عيون النرجس
زهرا تريك بحسنها وبلونها ... زهر النجوم الجاريات الكنس
ملك الهمام العامرى محمد ... للمكرمات وللنهى والأنفس

وله ايضا شعر فى بنفسج العامرية ، فمن تلك الأبيات :

شهدت لنوار البنفسج ألسن ... من لونه الأحوى ومن ايناعه
لمشابه الشعر الأثيث أعاره ... القمر المنير الطلق نور شعاعه
ولربما جمد النجيع من الطلى ... فى صارم المنصور يوم قراعه
فى سيفه قصر لطول نجاده ... وتمام ساعده وفسحه باعه
تلقى الزمان له مطيعا ساميا ... وترى الملوك الشم من أتباعه (١)

واستمر الشاعر عبد الملك الجزيرى فى مدح المنصور الى ان مات المنصور ، ثم مدح ابنه عبد الملك المظفر ، فلما قتل عبد الملك المظفر صهره عيسى بن سعيد القطاع ، اتهمه عبد الملك وسجنه فى برج حصن طرطوش ، ومات فى سجنه سنة ٣٩٤ هـ . (٢)

ومن شعراء المنصور فى مجلسه ، الشاعر وليد بن مسلمة المرادى ابو العباس . وقد رأى وليد بن مسلمة النهر فى أيام زيادته ، فقال مخاطبا المنصور بهذه المناسبة :

أما ترى النهر يامنصور كيف طفا ... وعم من جاور العبرين بالضرر
وأعجب لجودك لم يغن الورى غرقا ... فيه وقد عم البدو والحضر
ما ذاك الا لأن الجود عنصره ... صاف نمير وهذا بين الكدر
والله يبقيك ما غنت مطوقة ... وهزت الريح مخضرا من الشجر (٣)

---

(١) : ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٣١- ٣٤
(٢) : ابن سعيد : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٢٢
(٣) : الضبى : المصدر السابق ، ص ٢٩٦ ، ٤٨٢

ومن شعراء المنصور بن أبي عامر ، الشاعر الأديب أبو بكر عباده بن ماء السماء ، وذكره ابن بسام ، هو عبادة بن عبد الله الأنصاري ، من ذرية سعد بن عبادة ، وقيل له ابن ماء السماء لجد هم الأول ، وهو من قرطبة. وكان من فحول الشعراء في عهده ومن المقدمين في ديوان شعرائه . وقد نسب اليه الأرتقاء بصناعة التواشيح حتى (كأنها لم تسمع بالأندلس الا منه ولا أخذت الا عنه ، واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته) ومما ينسب اليه من شعر في وصف الحاجب المنصور قوله :

لنا حاجب حاز المعالى بأسره ... فأصبح في أخلاقه واحد الخلق

فلا يغترر منه الجهل ببشره ... فمعظم هول الرعد في أثر البرق (١)

وقال الشاعر زياد الله بن علي في كتاب الحمام المؤلف للمنصور بن أبي عامر :

اذكر القلب بالتصابي فحنا ... ساجع في أراكه قد أرنا

اخضلت ريشة السماء بطل ... وأرى الروض مونقا فتغنى

غرد بالسرور فازت يداه ... بحبيب عليه لا يتجنى (٢)

وقال الشاعر محمد بن حسين ، العالم بأخبار الأندلس في مدحه للمنصور ابن أبي عامر :

وكل عدو أنت تهدم عرشه ... وكل فتوح عنك يفتح بابها

وانك من عبد المليك الذي له ... حلى فتح قرطاجنة وانتهابها

جباها ابو مروان جدك قابضا ... بكف تليد طعنها وخرابها (٣)

---

(١) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ١ ، ٧
ـ ابن بشكوال : الصلة ، جـ ٢ ، ص ٤٥٠
ـ الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤
(٢) : الضبي : المصدر السابق ، ص ٢٩٦ ، ٤٨٢
(٣) : ابن عذاري : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦

ومن الشعراء الذين مدحوا المنصور الشاعر ابو عثمان سعيد بن عثمان بن مروان المعروف بالبلينة ، والبلينة حوت كبير يعرف بدابة البحر ، وهو من نبهاء بني مروان في الأندلس . قال في مدحه للمنصور من قصيدة مطولة استحسنها المنصور :

من لي بمن تأبى الجفون لفقده ... في الدهر الا تلتقي أو نلتقي
ريم يروم وما اجترمت جريمة ... قتلي ليتلف من بقائي ما بقي
واذا رماني عن قسي بجفونه ... لم أدر ك من أي الجوانب أتقي

وقيل ان المنصور تذكر هذه القصيدة في يوم السبت ١٢ من شهر رمضان سنة ٣٨١ هـ ، أو ذكرت بين يديه ، وقد كان مدحه بها قديما فأعجبته ، واستحسنها من كان معه في المجلس ، فأمر له المنصور بثلاثمائة دينار . وقيل انه دخل على المنصور في مجلسه ذات يوم فانشده :

مولاي مولاي أما آن أن ... تريحني الأيام من هجركا
وكيف بالهجر وأني به ... ولم أزل اسبح في بحركا (١)

ومن الشعراء البارزين في الخلافة الأموية والدولة العامرية ، الشاعر ابو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ، ويعرف بالطليق من بني امية ، وكان اديبا وشاعرا ، واكثر شعره قاله في أثناء سجنه . وابو عبد الملك مروان في بني امية كأبن المعتز في بني العباس ، ملاحة شعر وحسن تشبيه ، وقيل ان سبب سجنه قتله لأبيه ، فسجن وهو ابن ست عشرة سنه ، ومكث في السجن ست عشرة سنه ، وعاش بعد اطلاقه من السجن ست عشرة سنه ، وكان سجينا في زمن المنصور بن ابي عامر ، ثم اطلق بعد ذلك فسمي بالطليق . (٢)

---

(١) : الضبي : بغية الملتمس ، ص ٣١٠
— ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ١٩٧ - ١٩٨
(٢) : الحميدي : جذوة المقتبس ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣
— ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢

الشعـــراء في عهـد عبد الملك المظفـــــر :-

لـم يبلـغ عبد الملك مبلـغ ابيـه المنصـور في الاهتمـام بالعلـــم والأدب الاّ انـه يحمـد لـه كما يذكـر ابن بسـام انـه (تمسك بمن كـان استخلفـه ابوه من طبقـات اهـل المعرفـه من خطيب وشاعـر ونديـم وشطرنجـي ومعـدّل وتاريخـي وغيرهـم حفظـا لصنائـع والـده وقيامـا برسومـه فقررهـم على مراتبهـم ، ولـم ينقصهـم سـوى الفـوز بخصوصيتـه) (١) .

ولذلك استمـرت الحيـاه العلميـه والأدبيـه فـي عهـد عبد الملك كما كانت فـي عهـد ابيـه ، وقـد ذخـر عهـده بعدد لا بأس به من العلمـاء والأدبـاء والشعـراء (٢) . وكـان عبد الملك شغوفـا بالشعـر ، وخاصـة الشعـر الـذى يصف الأزهـار المسمـاه بالنوريـات ، وكـان يقترح علـى الشعـراء بأن ينظموا الشعـر فـي وصـف الحدائـق والحقـول (٣) .

ومـن أشهـر شعـراء عهـد عبد الملك المظفـر ، الشاعـر سليمـان بن مهـران السرقسطـي ، وهـو اديب وشاعـر مشهـور وكان ينشـد شعـره في مجلس عيسـى بن سعيد القطـاع ، وزيـر عبد الملك المظفـر . ومـن شعـره :

خليلي ما للريح تأتي كأنهـا ... يخالطهـا عند الهبوب خلـوق
أم الريح جاءت من بلاد أحبـتي ... فأحسبها ريح الحبيب تسـوق
سقى الله أرضا حلها الأغيد الذى ... لتذكاره بين الضلوع حريـق (٤)

---

(١) : ابن بسام : الذخيرة ، ق ٤ ، م ١ ، ص ٦٠
(٢) : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٨٤
(٣) : جودت الركابى : في الأدب الأندلسى ، ص ٧٧
(٤) : الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٢١٨

ومن شعراء عبد الملك شاعر ابيه ابى العلاء صاعد بن الحسن اللغوى ، الذى انشد قصيدة أمام عبد الملك بن المنصور بمناسبة عيد الفطر المبارك سنة ٣٩٦ هـ ، قال فيها :

اليك حدوث ناجيسة الركاب ... محملة أمانى كالهضاب
وبعث ملوك أهل الشرق طرا ... بواحدها وسيدها اللباب

وفيها يقول :

الى الله الشكية من شكاة ... رمت ساقى فجل بها مصابى
وأقصانى عن الملك المرجى ... وكنت أرم حالى باقترابى

ومن قصائده فى مدح عبد الملك المظفر :

زمان جديد وضع جديد ... ودنيا تروق ونعمى تزيد
وغيث يصوب وعيش يطيب ... وعز يدوم وعيد يعود
ودهر ينير بعبد المليك ... كشمس الضحى ساعدتها السعود (١)

وايضا الوزير الشاعر عبد الله بن عبد العزيز القرشى المعروف بالحجر ، من اولاد الحكم الربضى وهو من اهل قرطبة ، وهو طليق عبد الملك المظفر ، وكان غزير الأدب وحسن الشعر والخطابه ، وهو أحد رجالات بنى مروان بالأندلس توفى بمدينة لارده وهو راجعا مع عبد الملك المظفر بن المنصور من غزوته الأولى سنة ٣٩٣ هـ (٢)

---

(١) : المراكشى / عبد الواحد : المعجب ، ص ٧٨ - ٧٩
ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ، ص ٢١
(٢) : ابن الابار : التكمله لكتاب الصلة ، جـ ٣ ، ص ٧٨٦

وقد مدح عبد الملك المظفر الشاعر المطرف بن عمر الهشيمي من ولد هشيم بن عبد الملك بن المغيرة بن الوليد بن معاويه بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وهو بليغ في شعره ، ومن قوله في مدح عبد الملك المظفر:

ان المظفر لا يزال مظفرا حكما من الرحمن غير مبدل

تلقاه صدرا كلما قابلته مثل السنان بمحفل وبجحفل

ومن شعراء عهد عبد الملك ، الشاعر ابو عبد الله محمد بن شخيص ، وكان من أهل الأدب المشهورين ، وكان ممن يحضر مجلس عبد الملك المظفر. وقد قال شعرا حسنا في وصف ورد رآه في بستان وانشده امام عبد الملك بن المنصور فاستحسنه وقربه من مجلسه الذى كان يضم كبار الأدباء والشعراء ، مثل أبي حفص احمد بن برد ، الذى ولاه عبد الملك بن المنصور ديوان الانشاء بعد ان قبض على ابى مروان الجزيرى . (١)

ومما يذكر عن عهده ايضا انه وفد على الأندلس في سنة ٣٩٣ هـ العلامة المقرىء مكى بن أبي طالب حموش بن أحمد بن مختار القيس (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ / ٩٦٥ - ١٠٤٥ م) . وقد استقبله عبد الملك بكل ترحيب وتكريم ، ثم عينه للتدريس بجامع الزاهرة حيث تهافت على مجالسه العلميه طلبة العلم ، وطار صيته في الأندلس في علم القراءآت . ومن تصانيف مكى كتاب " الهداية الى بلوغ النهاية" وكتاب تفسير اعراب القرآن ، وكتاب " التنصرة في القراءآت السبع" وكتاب "البيان عن وجوه القراءآت في كتاب التنصرة " (٢)

---

(١) : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، جـ ١ ، ص ٢٠٨

(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ٣ ، ص ١٧٩

وموجز القول فان شعراء الدولة العامرية كثيرون وقد ابدعوا في شعرهم في عهد المنصور بن ابى عامر وفي عهد ولده عبد الملك . اما في عهد عبد الرحمن بن المنصور ، فلم يظهر في بلاطه شعراء يذكرون ، وذلك لقصر فترة حكمه ، ولسوء ادارة حكم البلاد .

كما يتضح من خلال هذه التراجم للعديد من العلماء والفقهاء والادباء والشعراء الذين زخرت بهم الاندلس في عهد الدولة العامرية مدى ما اسهموا به في اثراء الحياة العلمية والادبية . ومن ابرز شعراء الدولة العامرية الشاعر موسى بن الطائف وعبد الله بن الحسين ابو بكر، وكان مرموقا في الدولة العامرية ، والشاعر احمد بن جهور ، والشاعر الكاتب ابن نصير ، والشاعر ابراهيم بن محمد الشرفي ابو اسحاق صاحب الشرطه ، وكان خطيبا في قرطبة في زمن المنصور بن ابى عامر واصله من اشبيليه ، وكذلك الشاعر عبد الرحمن بن ابى الفهد ابو المطرف ، وهو من اهل مدينة البيرة ، وسكن قرطبة ، وكان نجما في البلاغة والشعر ، والشاعر محمد بن اليسع ، والشاعر احمد بن محمد بن عبد الله بن بدر، وقيل ابو مروان ، وهو من اهل بيت وأدب وشعر ورياسة ، وكان أثيرا عند المنصور بن ابى عامر ،وله شعر جميل .(١) ومن أعيان قرطبة وممن كان يحضر مجلس المنصور الشاعر ابو بكر عبد الله بن الحسن ، والشاعر عبد الرحمن بن محمد بن نظام ، والشاعر ابو مضر محمد بن الحسين التميمي ، وقد شكن قرطبة وكان شاعرا عالما بأخبار العرب ، وقد ولي الشرطة في الدولة العامرية ، ومات سنة ٣٩٤ هـ .(٢) كذلك الشاعر أميه بن غالب المورودى والشاعر

---

(١) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ١٤٣ ، ١٥٤ ، ١٧٣ ، ٢١١ ، ٣٢٦ ، ٣٦٩ ، ٣٤٣ ، ٤٥٦ ، ٥٤٠

(٢) : ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ،جـ ١ ،ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٣١٢

الوزير الكاتب ابو المغيرة بن حزم ، وكان ممن يجلس في مجالس المنصور الشعرية (١) وايضا ابراهيم ابن ادريس الحسني ، وهو من أبناء الأدارسة الحسنيين ، واصله من المغرب ، وسكن قرطبة ، وكان أديبا وشاعرا ، وقد نفاه المنصور ، وهو القائل يخاطب المروانيين بقرطبة ، لما رأى غلبة المنصور بن ابى عامر على الخليفة هشام المؤيد بالله ، واستبداده بمقاليد حكم الدولة : فقال في ذلك :

فيما أرى من عجب لمن يتعجب ... جلت مصيبتنا وضاق المذهب

انى لأكذب مقلتى فيما أرى ... حتى أقول غلطت فيما أحسب

أيكون حيا من بنى أمية واحد ... ويسوس هذا الملك هذا الأحدب

ابنى امية اين أقمار الدجى ... منكم وما لوجهها تتغيب (٢)

والشاعر عبد الملك بن أخى نفيل ، وهو شاعر من شعراء الدولة العامرية وفارس من فرسانها ، ويقال عبد بن نفيل ، والصواب انه ابن أخيه ، وايضا الشاعر ابو حفص بن عسقلاجه ، وهو اديب وشاعر من الرؤساء في الدولة العامرية (٣)

---

(١) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ،ص ٦١٧ - ٦١٨

(٢) : ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(٣) : الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ، ٢٨٧ - ٢٨٨

العمـــــــــــــــران :-

وصـف مدينة قرطبـة :-

قرطبـة مدينـة قديمـة البنـاء ولا يعـرف علـى وجـه التحقيـق المـدى التاريخـى لجذورهـا القديمـة ، واغلـب الظـن أنهـا أيبيرية الأصـل استنـادا علـى التماثيـل البرنزيـه الصغـيرة ذات الطابـع الأيبيرى التى أسفـر عنهـا البحـث الأثـرى فـى بقعتهـا (١) . وهـى من أعظـم مدن الأندلس وعليها سـور ضخـم مـن الحجـر ، ويدخـل اليهـا من سبعـة أبواب فـى هذا السور ، ومند أن نقـل والـى الأندلس الحـر بن عبد الرحمـن الثقفـى العاصمـة مـن اشبيليـه الـى قرطبـة فـى أول شهـر رجـب سنة ٩٧ هـ / ٧١٥م ظلت قرطبـة عاصمـة الأندلس حـتى سقوط الخلافـة الأمويـة سنة ٤٢٢ هـ (٢) وكان الأمير عبد الرحمن الداخـل أول من أقـام فيهـا روائـع المنشآت والمبانـى العمرانيـة كقصـر الأمـارة ، والمسجـد الجامـع (٣) .

واتسعت الدور والقصـور فـى قرطبـة علـى عهـد عبد الرحمـن الناصر وابنـه الحكـم المستنصـر . ويروى ان دور قرطبـة فـى عهديهمـا بلـغ عددهـا نحـو مائتى الف دار وهـى دور الأهالـى ، أما دور الوزراء والعمـال والكتاب والأجناد وخاصـة الملك فقـد بلغـت ستين الف دار ، هـذا عـدا الحمامـات والخانـات والدور المخصصـة للضيوف ، والحوانيت الـتى كانت نحـو ثمانين الف حانوت (٤) . وقد بلغت

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، جـ ١ ، ص ١٦-١٧

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٤ ، ٢٥

— السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ٣١

(٣) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الأندلس ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٧

(٤) : شكيب ارسلان : الارتسامات اللطاف ، ص ١٠١

— ليو بولدو توريس بلباس : الابنية الاسبانية الاسلامية . مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريد ، العدد الأول - السنة الأولى ، ص ١٠٨

قرطبة من الاتساع والانبساط درجة كبيرة لدرجة ان عدد أرباضها بلغ لنحو عشرين ربضا منها ما كان يعد بلدة فيها منبر تقام فيها صلاة جمعة. كما قيل ان الطرقات من قرطبة الى جميع هذه الأرباض كانت تضاء ليلا بالقناديل (١).

كما بلغ عدد سكان قرطبة في عصر الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر ما يقرب من نصف مليون نسمة وفقا للأحصائيات التي قام بها المستشرقون. وقد نعمت قرطبة في عهد الحكم المستنصر برخاء وثراء لم تبلغه حاضرة أخرى من قبل ، وقد وصفها مؤرخو العرب وجغرافيوهم أبدع وصف ، وأشادوا بعظمتها وتفوقها على سائر مدن الأندلس (٢).

وفي عهد المنصور بن أبي عامر أحصيت دور قرطبة فبلغت مائتين وثلاثة عشر الف وسبعة وسبعين دارا ، وهي دور الرعية . أما دور الأكابر والوزراء والكتاب والأجناد وخاصة الملك فبلغ عدد ها في عهده ثلاثة وستين الف دار عدا الحمامات التي بلغت تسعمائة حمام ، كما بلغ ايضا عدد الحوانيت ثمانين الف واربعمائة وخمسة وخمسين حانوتا (٣).

ومن أشهر قصور قرطبة ، قصر الكامل ، والمجدد ، والروضة ، والزهر ، والمعشوق ، والمبارك ، والرستك ، والتاج ، والبديع ، وقصر السرور ، والمنيف ، وقصر الناعورة . ومن منتزهات أمراء بني امية ووزرائهم خارج قرطبة ،

---

(١) : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ١٠٣

(٢) : محمد علي حمودة : تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، ص ٢٤٤ - السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، جـ ١ ، ص ٦١

(٣) : المقري : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٧٩ - ٨٠
- السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ١٨٢ - ١٨٣

-ANWAR G.CHEJNE: MUSLIM SPAIN, ITS HISTORY AND CULTURE MINNESOTA. PP.361-365

قصر الرصافة ، قصر ابن عبد المؤمن والقصر الفارسي ،وقصر الحاجب ،والسرداق ، ومنية الزبير ، (١) والمنية العامرية التي تعتبر من المنيات المشهورة في قرطبة منذ آواخر القرن الرابع الهجري ، وقد أسسها المنصور بن أبي عامر في سنة ٣٦٩ هـ ، وأحاطها بالرياض والجنان ، واجرى فيها قناة ملتوية بين بساتينها وزرع الأشجار على ضفتيها .(٢)

وقد بلغ عدد المساجد في قرطبة في عهد عبد الرحمن الداخل اربعمائة وواحدا وتسعين مسجدا ، ثم زادت بعد ذلك كثيرا في عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر ، ثم في عهد المنصور بن أبي عامر فبلغت الفا وستمائة مسجد في قول ، وثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وسبعين مسجدا في قول آخر .(٣) وثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة وثلاثين مسجدا في قول ثالث .(٤) بينما يذكر ابن غالب نقلا عن ابن حيان ان مساجد قرطبة وصلت عند انتهاء كمالها الف وثمانمائة وستة وثلاثين مسجدا ، وأيا ما كان الرقم الصحيح ، فالظاهر ان عددها تجاوز الألف مسجد .(٥)

توسعة المسجد الجامع بقرطبة :-

أورد كل من ابن عذارى والمقري نصا تاريخيا هاما بالنسبة لتاريخ جامع قرطبة نقلاه عن الرازي (ت ٣٤٤ هـ) الذي اقتبسه بدوره عن

---

(١) : علي محمد حموده : المرجع السابق ،ص ٢٤٤
(٢) : السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، جـ ١ ،ص ٢١٣-٢١٤
(٣) : المقري : المصدر السابق ، جـ ٢ ،ص ٧٩
(٤) : المقري : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٧٨
(٥) : السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ١ ،ص ١٨٢ - ١٨٣
- ANWAR G.CHEJME.OP.cit., PP.364-365.

الفقيه محمد بن عيسى . ويقول النص" لما افتتح المسلمون الاندلس ، استدلوا بما فعل ابو عبيده بن الجراح وخالد بن الوليد رضى الله عنهما عن رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، من مشاطرة الروم فى كنائسهم مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحا ، فشاطر المسلمون أعاجم قرطبة فى كنيستهم العظمى التى كانت بداخلها ، وابتنى المسلمون فى ذلك الشطر مسجدا جامعا . وبقى الشطر الثانى بأيدى الروم ، وهدمت عليهم سائر الكنائس . فلما كثر المسلمون بالأندلس ، وعمرت قرطبة ونزلها أمراء العرب بجيوشهم ، ضاق عنهم ذلك المسجد ، وجعلوا يعلقون منه سقائف ، فنال الناس من الضيق مشقه عظيمة .فلما دخل عبد الرحمن بن معاويه الاندلس ، وسكن قرطبة ، نظر فى امر الجامع وتوسيعه واتقان بنائه ، فأحضر اهاجم قرطبة ، وسألهم بيع ما تبقى بايديهم من الكنيسة المذكورة ، واوسع لهم البذل فيه ، وفاء بالعهد الذى صولحوا عليه واباح لهم بناء كنائسهم التى كانت هدمت عليهم فى وقت الفتح بخارج قرطبة ، وخرجوا عن الشطر فأتخذه وادخله فى الجامع الأعظم . وكان شروع عبد الرحمن الداخل فى هدم الكنيسة وبناء الجامع سنة ١٦٩ هـ ،و تم بناؤه واكتملت بلاطاته ، واشتملت اسواره فى سنة ١٧٠ هـ ، فذلك مدة من عام كامل ، فقيل ان النفقه التى انفقها عبد الرحمن الداخل بطول هذه السنه فى بناء المسجد الجامع ثمانين الف دينار ، واشترى موضعه (اذ كان كنيسة) بمائة الف دينار.(١)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٥٨ - ٢٢٩
— المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٩٦ - ٩٧

ومن نص ابن عذارى والمقرى عن نشآة المسجد الجامع بقرطبة تستخلص حقيقتين وهما :-

١ - ان موضع الجامع كانت تشغله كنيسة تعرف بشنت بنجنت اقتسمها المسلمون مع نصارى قرطبة ، واتخذوها مسجدا كانوا يضيفون اليه سقيفة بعد سقيفة كلما ازداد عدد المصلين .

٢ - ان عبد الرحمن الداهل أقام على موضع الكنيسة والمسجد الاول جامعا ، استغرق بناؤه عاما واحدا وفقا لما ذكره ابن عذارى ، وعامين وفقا لما ذكره المقرى (١) حيث ان ابن عذارى ذكر ان عبد الرحمن الداخل شرع في بنائه سنة ١٦٩ هـ واتمه في سنة ١٧٠ هـ والمقرى يذكر ان عبد الرحمن الداخل شرع في بنائه سنة ١٦٨ هـ واتمه في سنة ١٧٠ هـ . (٢) ويذكر ان بيت الصلاة في مسجد عبد الرحمن الداخل كان يشتمل على تسع بلاطات . (٣)

ولم يكتمل بناء المسجد في زمن عبد الرحمن الداخل فأكمله من بعده ابنه هشام ، وزاد فيه مئذنة كان ارتفاعها أربعين ذراعا الى موضع الآذان ، وبنى بآخر المسجد سقائف لصلاة النساء ، وامر ببناء الميضاة بشرقي الجامع . (٤)

واصبح الجامع على هيئته تلك الى ان جاء الى حكم الاندلس الأمير عبد الرحمن الأوسط ، فزاد في المسجد الزيادة المنتظمة بالأرجل

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، جـ ١ ، ص ٢٧١

(٢) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩
ـ المقرى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٦ - ٩٧

(٣) : السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٢٩٢

(٤) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠

(الأعمدة) طولها خمسون ذراعا وعرضها مائة وخمسون ذراعا ، وعدد سواريها ثمانون سارية ، وكان الفراغ منها سنة ٢٣٤ هـ ، وكان قد زاد قبلتها بلاطين جانبيين في سنة ٢١٨ هـ استوسع بهما بيت الصلاة القديم بحيث اصبح مجموع بلاطات المسجد احد عشر بلاطا .(١)

ثم امر الأمير محمد بن عبد الرحمن في سنة ٢٤١ هـ باتقان طرز المسجد ،(٢) وتنميق نقوشه ، وباقامة المقصورة ، وجعل لها ثلاثة ابواب . ثم زاد الامير المنذر بن محمد البيت المعروف ببيت المال في المسجد الجامع ، فوضع فيه الاموال الموقوفة لغياث المسلمين ،وامر بتجديد السقاية واصلاح السقائف . ثم زاد اخوه الامير عبد الله بن محمد ساباطا معقودا على حنايا اوصله به ما بين القصر والجامع من جهة الغرب ، ثم امر بستارة من اخر هذا الساباط الى ان اوصلها بالمحراب ، وفتح الى المقصورة بابا كان يخرج منه الى الصلاة ، وهو اول من اتخذ ذلك من أمراء بني امية في الاندلس .(٣)

ثم زادت توسعة المسجد الجامع في قرطبة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ،اذ قام بتوسيع فناء المسجد ، وبناء مئذنة ضخمة من الحجر سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م ، وذلك بحذاء الجدار الشمالي للجامع، وفي تعديل المسجد وبنيان الوجه للبلاطات ، كما قام بتوسعة صحن الجامع من الجهة الشمالية بما يعادل ٢٤ مترا حيث اصبح اتساعه ٥٤ مترا .(٤)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠
— السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، جـ ١ ، ص ٢٩٢

(٢) : المقصود بكلمة طرز ، الاطار المستطيل البارز الذي يحيط بدائرة العقد أو ما يعرف بالتربيعة . (انظر : السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ،جـ ١ ، ص ٣٠٨

(٣) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ،ص ٢٣٠

(٤) : ابن عذارى : نفس المصدر ،جـ ٢ ،ص ٢٣٠ - ٢٣١
— السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ،جـ ١ ،ص ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥

وفي عهد الحكم المستنصر تضاعف عدد سكان قرطبة ، وضاقت المدينة بمن وفد اليها من بربر العدوة المغربية من زناته ، ولم يعد المسجد يتسع لجموعهم الغفيرة ، فأمر الحكم المستنصر في عام ٣٥١هـ / ٩٦١م بزيادة المسجد من جهة القبلة الى اخر الفضاء مادا بالطول لاحد عشر بلاطا وكان طول الزيادة من الشمال الى الجنوب خمسة وتسعون ذراعا ، وعرضها من الشرق الى الغرب قبل عرض الجامع سواء ، وقطع من هذا ساباط القصر المتخذ لخروج الخليفة الى الصلاة الى جانب المنبر بداخل المقصورة ، وكان الحكم المستنصر قد عهد الى حاجبه جعفر المصحفي مهمة الاشراف على احضار الحجارة من جبال قرطبة ، وبهذه الزيادة كملت محاسن المسجد الجامع واصبح يستوعب جموع المصلين في عهد الحكم المستنصر.(١)

وفي شهر جمادى الثانية من سنة ٣٥٤ هـ اكمل الحكم المستنصر بناء القبة على المحراب ، وكذلك تنزيل الفسيفساء بالمسجد الجامع وواجهة كل من العقدين اللذين يكتنفانه شرقا وغربا ، كما زينت به بطن القبة الوسطى التي تعلو المحراب ، وزين به واجهة المحراب ، وكان ملك الروم قد بعث بالفسيفساء هدية الى الحكم المستنصر ، وتقدر بثلاثمائة وعشرين قنطارا . وفي شهر محرم سنة ٣٥٥ هـ ، امر الحكم بوضع المنبر القديم الى جانب المحراب ، ونصب المقصورة القديمة ، ونصب في قبلة هذه الزيادة مقصورة من الخشب منقوشه من الظاهر والباطن ، مشرفة الذروة ، طولها خمسة وسبعون ذراعا وعرضها اثنان وعشرون ذراعا وعلوها الى الشرفات ثلاثون ذراعا ، وقد فرغ من هذه الزيادة ونصب المقصورة في شهر رجب سنة ٣٥٥ هـ . وفي سنة ٣٥٦ هـ

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ،ص ٢٣٣ - ٢٣٤
ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص ٣٠٩

امر الحكم المستنصر بجلب الماء الى سقيات الجامع والميضاتين اللتين ناحية الجانب الشرقي والغربي ، ماء عذبا جلبه من عين بجبل قرطبة ، خرق له الأرض ، واجراه في قناة من حجر متقنة البناء ، محكمة الهندسه ، أودع جوفها انابيب الرصاص لتحفظه من كل دنس .(١)

وقد ازداد عدد سكان قرطبة في عهد المنصور بن ابى عامر ، وخاصة بعد ان استقدم المنصور أعدادا هائلة من رجال قبائل البربر من العدوة المغربية الى قرطبة ، وذلك لانخراطهم في سلك الجند الأندلسي ، واصبح المسجد الجامع في قرطبة لا يستوعب اعداد المصلين . وفي ذلك يقول ابن عذارى " ولما زاد الناس بقرطبة وانجلب اليها قبائل البربر من العدوة وافريقية ، وتناهى حالها في الجلالة ، وضاقت بهم الأرباض وغيرها ، ضاق المسجد عن حمل الناس ، فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه حيث يتمكن الزيادة لا تصال الجانب الغربي بقصر الخلافة " .(٢) وذكر المقرى نقلا عن ابن بشكوال عن زيادة المنصور ابن ابى عامر في المسجد الجامع بقرطبة بقوله : " ومن أحسن ما عاينه الناس في بنيان هذه الزيادة العامرية ، اعلاج النصارى (الأسرى المسيحيين) مصفدين في الحديد من ارض قشتاله وغيرها ، وهم كانوا يتصرفون في البنيان عوضا عن رجالة المسلمين ، اذلالا للشرك وعزة للاسلام " .(٣)

فشرع المنصور بن ابى عامر في توسعة المسجد الجامع بقرطبة في سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م من الجهة الشرقيه وذلك لتعذر الزيادة فيه من الجهة الغربية بسبب وجود قصر الخليفة المقابل للمسجد الجامع ، وتعذرها من

---

(١) : ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨
— المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٩٢
— السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، جـ ٢ ، ص ٣٤٠ - ٣٤١
(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧
(٣) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٨٤ (نقلا عن ابن بشكوال) .

جهة القبلة لقرب جدار القبلة من الوادى . اما الجهة الشرقية فقد كانت عامرة بالدور والمستغلات ، فاراد المنصور ان ينتزع ملكية هذه الدور من اصحابها ، ويعوضهم عنها بانصافهم ، فكان اول ما قام به المنصور بن ابى عامر تطييب نفوس ارباب الدور الذين اشتريت منهم لتهدم وتقام على ارضها الزيادة الجديدة .(١) فكان يؤتى بصاحب الدار ، الى المنصور ، فيقول له المنصور : " ان هذا الدار التى لك ياهذا اريد ان ابتاعها لجماعة المسلمين من مالهم ومن فيئهم لأزيدها فى جامعهم وموضع صلاتهم ، فشطط واطلب ما شئت " . فاذا ذكر له اقصى الثمن ، امر ان يضاعف له ، وان يشترى له بعد ذلك دارا عوضا منها . وقيل انه اتى اليه بامرأة لها دار بصحن الجامع فيها نخلة ، فقالت : لا اقبل عوضا الا دارا بنخلة . فقال المنصور تبتاع لها دار بنخلة ولو ذهب بيت المال ، فاشتريت لها دار بنخلة وبولغ فى الثمن . وقد استغرقت زيادة المنصور فى بناء المسجد الجامع عامين ونصف عام ، وكان يعمل فيه بنفسه . وقد انتهى من توسعته سنة ٣٨٠هـ .(٢)

وقد اضطر المنصور بن ابى عامر اثناء توسعته المسجد ان يفتح ثغرات كبيرة فى الجدار الشرقى القديم للجامع فى زمن عبد الرحمن الاوسط ليوصل زيادته ببيت الصلاة القديم ، كما هدم ايضا احدى الميضات الأربعة التى بناها الحكم المستنصر وكانت تقع لصق الجدار ، ثم اضاف المنصور بن ابى عامر الى البلاطات الاحدى عشرة القديمة ثمان بلاطات جديده امتدت بطول بيت الصلاة من الصحن حتى جدار القبلة ، فاصبح بيت الصلاة يضم بعد زيادة المنصور تسعة عشر بلاطا . كما اضطر الى هدم الجدار

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨

(٢) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٨٤ - ٨٥

الشرقي القديم الذى يحصر الحد الشرقى للصحن وذلك ليزيد فى اتساعه ويقيم جدارا شرقيا جديدا للمسجد الجامع كله اوصله بالقسم الزائد من جهة القبلة ، وفتح فى هذا الجدار الشرقى الجديد ابوابا اخرى مماثلة للجدار الغربى وعددها سبعة ، وبقيت فى الدعائم المختلفة من السور الشرقى القديم ببيت الصلاة بقايا ابواب من زيادة الحكم المستنصر ، واصبح عدد ابواب المسجد الجامع بعد توسعة المنصور بن ابى عامر احدى وعشرين بابا ، كانت جميعها ملبسه بالنحاس الأصفر ومخرمة تخريما رائعا . وقد راعى المنصور بن ابى عامر فى زيادته ان يعمها الانسجام والتناسق مع بناء المسجد كله ، فواصل زيادته باقامة صفوف من الدعائم الضخمة امتدادا لصفوف الدعائم المختلفة فى بيت الصلاة القديم من جدار القبلة .(١)

وقصد المنصور فى هذه الزيادة المبالغة فى الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ، ولم يقتصر مع هذا عن سائر الزيادات جودة ، ماعدا زيادة الحكم المستنصر . كما اقام المنصور فى صحن المسجد جبا كبيرا ، تعويضا عن الميضات التى تهدمت نتيجة لهذه الزيادة فى التوسعة ، وهو جب مربع الشكل طول الجانب منه ١٤٫٥٠ مترا ، تتوسطه أربع دعائم مصلبة الشكل من الحجارة ، تحمل عقودا نصف دائرية بحيث تقسم الجب الى تسعة اساطين .(٢)

---

(١) : السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨
ـ ليو بولد و توريس بلباس : الابنيه الاسبانيه الاسلاميه مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلاميه بمدريد ، العدد الاول ـ السنه الاولى ، ص ١٠٢

(٢) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧
ـ السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٣٤٩

كما قام المنصور بن ابى عامر باضاءة المسجد الجامع بالشمع زيادة فى الرسم ، وكان عدد سوارى الجامع الحامله لسمائه واللاصقة بمبانيه وقبابه ومناره ، ما بين كبيرة وصغيره ، الف واربعمائة وسبع عشرة سارية ، وعدد ثريات الجامع ، ما بين كبيره وصغيره مائتين وثمانين ثريسة ، وعدد الكؤوس سبعة آلاف واربعمائة وخمسة وعشرين كأسا ، وزنة الشاكسى الرصاص للكؤوس عشرة ارباع أو نحوها ، وزنة ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل فى كل شهر رمضان من ثلاثة ارباع القنطار ، وجميع ما يحتاج اليه الجامع من الزيت فى السنه خمسمائة ربع او نحوها . يصرف منه فى رمضان خاصة نحو نصف العدد . ومما كان يختص برمضان العظيم ثلاثة قناطير من الشمع ، وثلاثة ارباع القنطار من الكتان المقطن لاقامة الشمع المذكور ، والكبير من الشمع يوقد بجانب الامام وزنها من خمسين الى ستين رطلا ، يحرق بعضها بطول الشهر ، ويعم الحرق لجميعها ليلة الختمة ، ويوقد من البخور ليلة الختمة اربع أواق من العنبر الاشهب ، وثمانية أواق من العود الرطب . وقد جند المنصور ابن ابى عامر لخدمة المسجد الجامع بقرطبة أئمة ، ومقرئين ، وأمناء ، وموذنين ، وسدنه ، وموقدين وغيرهم ما يقرب من مائة وتسعة وخمسين شخصا .(١) وقد احضر المنصور بن ابى عامر اثر عودته من حملته على شنت ياقب ، ابواب كنيسة سنتياجو ، ونواقيسها ، حيث استخدمت تلك الأبواب فى سقف الجزء الذى زاد فى توسعة المسجد الجامع ، كما استعمل النواقيس ثريات للمسجد .(٢)

---

(١) : ابن عذارى : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨

(٢) : احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٧

ويعد مسجد جامع قرطبة من اكبر واعظم المساجد في الاندلس ، ومن اعظم المساجد في الاسلام . ولم يكن يفوقه مسجد في السعة ، سوى المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الاقصى ، وربما جامع ابن طولون في مصر ، اذ كان يسع ثمانين الف مصلى يصلون وراء امام واحد . (١)

بناء قنطرة على نهر الوادي الكبير في قرطبة ، واخرى على نهر شنيل في استجة :-

ومن اعمال المنصور بن ابي عامر ايضا بناء قنطرة على نهر الوادى الكبير بقرطبة ، فقد شرع في بنائها سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨م ، وفرغ منها في منتصف سنة ٣٧٩ هـ . وبلغ ماأنفق عليها مائة واربعين الف دينار ، فعظمت بها المنفعة ، وصارت صدرا من مناقبه الجليلة . وقد كانت قطعة ارض لشيخ من العامة ، ولم يكن للقنطرة عدول عنها ، فأمر المنصور امناءه بشرائها من ذلك الشيخ ، فحضر عندهم ، فساوموه بالقطعة ، وعرفوه وجه الحاجة اليها ، وان المنصور لا يريد الا انصافه فيها ، فأخبروا صاحب الأرض بقيمتها ، حيث كان يظن ان قيمتها اقل من عشرة دينانير ذهبا ، حيث كانت عنده أقصى أمنية لثمنها ، فوافق الأمناء على شرائها بهذا المبلغ الزهيد ، واشهدوا عليه في البيع ، ثم اخبروا المنصور بقيمة قطعة الأرض ، فضحك من جهالة صاحبها ، وآنف من غبنه ، وامر ان يعطى لصاحب الأرض عشرة امثال ما طلبه وتدفع له صحاحا ، فقبض الشيخ مائة دينار ذهبا وفرح وشكر المنصور على حسن تقديره . (٢)

وقام المنصور ايضا ببناء قنطرة اخرى في استجة على نهر

---

(١) : شكيب ارسلان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٧

(٢) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٨٨
— محمد لبيب البتنونى : رحلة الاندلس ، ص ٧

شنيل وسط الجبال ، فسهلت الطرق الوعرة والشعاب الصعبة الى جانب تسهيل السبل لسقي الناس .(١)

انشاء مدينة الزاهرة سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٨م :-

بعد ان تولى المنصور بن ابى عامر مقاليد السلطة في الاندلس وحجره على الخليفة هشام المؤيد بالله في قصره ، شعر بقوة مركزه في الدولة ، وخاف على نفسه من الناقمين عليه ، خاصة بعد ان زج بالحاجب جعفر المصحفي في رد هات السجن حتى مات فيه ، وايضا بلغ من خوفه على نفسه ، ان اصبح يخشى الدخول الى قصر الخليفة هشام الذى حجره في قصره . فما كان منه الا ان قام بانشاء مدينة جديدة لتكون حاضرة لملكه ، فبنى مدينة ملوكيه جديدة اسماها الزاهرة ذلك في سنة (٣٦٨ هـ / ٩٧٨م) . وقد اختلف في الموقع الذى تحتله مدينة الزاهرة ، لان البحوث الاثرية الحديثة لم تكشف شيئا عن معالمها ، مثلما فعلت بالنسبه لمدينة الزهراء التي بناها الناصر. ويقول البعض ان مدينة الزاهرة كانت تحتل بسيطا يقع جنوب شرقي قرطبة في منحنى نهر الوادى الكبير ، وهي على بعد اربعة أميال وثلثي ميل من قرطبة . ويقول البعض الآخر انها كانت تحتل بقعة على مقربة من شرقي قرطبة ، وعلى الضفة الجنوبية لنهر الوادى الكبير .(٢)

ويقول ابن عذارى : ان المنصور امر في سنة ٣٦٨ هـ ببناء قصره بالزاهرة والتي سميت هذه المدينة باسم الزاهرة ، وذلك عند ما استفحل امره

---

(١) : احمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٣

(٢) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٥٣٥- ٥٣٦

-JAN READ:OP.cit.,PP.87-88

-ANWAR G.CHEJME :OP.cit.,P.367

واقتد جمره ، ظهر استبداده ، وكثر حساده ، وخاف على نفسه فى الدخول الى قصر السلطان ، وخشى ان يقع فى اشطان . فتوثق لنفسه ، وكشف له ما سترعنه فى أمسه من الاعتزاز عليه ، ورفع الاستناد اليه ، وسما الى ما سمت اليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحله باهله وذويه ، ويضم اليه رياسته ، ويتم به تدبيره وسياسته ، ويجمع فيه فتيانه وغلمانه ، فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالقصور الباهرة ، واقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الأعظم ، وحشد اليها الصناع والفعلة ، وجلب اليها الآلات الجليلة ، وبالغ فى رفع أسوارها ، وثابر على تسوية انجادها واغوارها ، فاتسعت هذه المدينة فى المدة القريبة ، وصارت من الانباء الغريبة ، وبنى معظمها فى عامين" (١) .

وانتقل المنصور الى مدينة الزاهرة فى سنة ٣٧٠ هـ / ٩٨٠م وقد بنى فيها قصرا ملوكيا فخما له ومسجدا كبيرا ، ونقل جهاز دولته اليها لتكون مقرا لحاضرة دولته ، وقام بنقل خزائن الاموال والاسلحة والعتاد الحربى اليها ، وأقطع ما حولها لوزرائه وقادته وأكابر رجال الدولة العامرية ، حيث ابتنوا الدور العظيمة . كما تنافس الناس فى النزول فيها وابتناء القصور فيها ، وقامت فيها عدة مشاريع ، حيث انشئت فيها الشوارع والاسواق الفسيحة ، واتصلت أرباضها بارباض قرطبة والزهراء ، واصبحت تنافس المدينة الخليفية قرطبة والزهراء ، فى الفخامة والرونق ، واحاطها بسور ضخم لحمايتها . واتخذ المنصور له فى مدينة الجديدة الزاهرة حرسا خاصا

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٥
ـ عنان : المرجع السابق ، ص ٥٣٥
ـ السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة [illegible] فى الأندلس ، جـ ١ ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩

من الصقالبه والبربر ، واحاط قصره فيها بالحرس والحاشية يرقبون كل حركه وسكنه في الداخل والخارج ، وعين عليها صاحب الشرطه وندب اليها كل ذى خطه بخطته ، واجلس واليا مسئولا عن شئونها ، وافقرت بذلك مدينة الزهراء الخليفية ، وهجر الوزراء وكبار الأعيان قصر الخليفة في قرطبة ، وذلك بانتقالهم الى الزاهرة حاضرة دولة المنصور بن ابى عامر ، وكتب الى اقطار الاندلس والمغرب بان يحمل الى الزاهرة أموال الجبايات ، وان يقصدها اصحاب المصالح ، وينتابها طلاب الحوائج ، (١)

وعطل المنصور بن ابى عامر بذلك قصر الخلافة بقرطبة وسد بابه ، واشاع ان الخليفة هشام المؤيد بالله فوض اليه النظر فى الملك وتفرغ لعبادة ربه ، وحذر الناس من الذهاب الى قصر الخليفة ، وبث ذلك فى الرعية . (٢)

وبعد ان استقر المنصور بن ابى عامر فى مدينة الزاهرة حاضرة دولته توسعت المدينه مع الايام فى تشييد البناء حتى اكتملت أحسن كمال ، وجاءت فى ابهاء الجمال نقاوة وبناء وسعة فناء ، واعتدال هوى رق أديمه ، ورقته جو أعتل نسيمه ، ونظرة بستان وبهجة للنفوس فيها افتتان (٣) وفيها يقول الشاعر صاعد اللغوى :

ياأيها الملك المنصور من يمن	والمتنبى نسبا غير الذى انتسبا
بغزوة فى قلوب الشرك رائعة	بين المنايا تناغى السمر والقضبا

---

(١) : على محمد حموده : تاريخ الاندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى ، ص ٢٢٩ - ٢٣٠

(٢) : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم فى الاندلس ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣

(٣) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٥٨٢ - ٥٨٣

اما ترى العين تجرى فوق مرمرها ... زهوا فتجرى على احسائها الطربا
اجريتها فطما الزاهى بجريتها ... كما طموت فسدت العجم والعربا
تخال فيه جنود الماء راقلة ... مستلئمات تريك الدرع واليلبا
تحفها من فنون الايك زاهرة ... قد أورقت فضة اذ أثمرت ذهبا
بديعة الملك ما ينفك ناظرها ... يتلو على السمع منها أية عجبا
لا يحسن الدهر ان ينشى لها مثلا ... لو تعنت فيها نفسه طلبا (١)

وذات يوم دخل الشاعر أبو المطرف عمرو بن ابى الحباب على المنصور بن ابى عامر ، وهو فى المنية المعروفه بالعامرية ، وهى من بعض منتزهاته فى قصوره بالزاهرة ، وعلى كل روضه فى هذه المنية ثلاث سوسنات ، اثنتان منها قد تفتحتا ، وواحده لم تفتح . فقال يصف ذلك :

لا يوم كاليوم فى ايامنا الاول ... فى العامرية ذات الماء والظل
هواؤها فى جميع الدهر معتدل ... طيبا وان حل فصل غير معتدل
ما ان يبالى الذى يحتل ساحتها ... بالسعد الا تحل الشمس بالحمل
كأنما غرست ساعة وبدا ... السوسان قدامها فيها على عجل
ابدت ثلاثا من السوسان قائمة ... وما تشكت من الاعياء والكسل
فبعض نوارها بالحسن منفتح ... والبعض منغلق عنهن فى شغل
كأنها راحة ضمت أناملها ... ممدودة ملئت من جودك الخضل
واختها بسطت منها أناملها ... ترجو نداك كما عوّدتها فصل (٢)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٧
(٢) : الضبى : بغية الملتمس ، ص ٥٢٩

وما زالت هـذه المدينـه رائعـة والسعود بلبتهـا متناسقـة ، تراوحهـا الفتوح وتغاديهـا ، وتجلب اليهـا منكسـوة أعاديهـا ، لا تزحف منها رايـة الاّ الـى فتح ، ولا يصدر عنهـا تدبير الاّ الى نجح ، الى ان حـان يومهـا العصيب ، وقبـض لهـا من المكروه أوفـر نصيب ، فتولت فقيـدة ، وخلت من بهجتهـا كل عقيدة . (١)

ويقـول ابن الخطيب فيما يصرفـه المنصـور على قصـره وحاشيته فـي الزاهـرة : وكان الجـارى من اللحـم علـى صقالبـه ابن ابى عامـر وعلى طبقاتهـم فـي الشهـر ، وقسـط الميادقـه سبعـة وعشرين الف رطـل ، والجارى على نسائـه فـي قصـره علـى طبقاتهـن منـه تسعة آلاف رطـل ، سـوى وظيفـة مطبخـه الخاص المقامـه كـل يوم ، فانـه لم يق عليـه . (٢) وكـان المنصـور يزرع كل سنه الف مدى مـن الشعير الصقيـل لدوابـه الخاصـه بـه ، وانـه اذا قدم من غزوة من غزواتـه لا يحـل عن نفسـه حـتى يدعـو صاحب الخيـل فيعلـم مامات منهـا وما عاش ، وصاحب الابنيـة ليطلعـه علـى مبانيـه واسواره وقصوره ودوره . (٣)

ومن تأمـلات المنصـور بن ابى عامـر عن ما سوف يقـع بمدينة الزاهـرة من خـراب ما قالـه ابن حيـان عن ابيـه عن احمـد بن سعيد بن حـزم وزير المنصـور ابن ابى عامـر الأخـص بـه قال : كنـا مـع المنصـور بن ابى عامـر فى يوم صقيل الجو ، فـي الزورق فـي النهـر الذى بين يدى الزاهـرة فى نفـر من وزرائـه ، ومنظـر يفتن بأمامـه ووراءه ، ونحـن علـى موءانسـة قـد امتد طنبهـا ، وارتشف بهـا لعسـر المسـرة ، وانحشـر اليهـا لهـو الدنيـا ولعبهـا ، وهـو يستبدع ذلك النشيـد ، ويتطلـع منهـا الـى المزخـرف والمشيـد ، ويصوب نظـره ويصعده فـي قصـوره المشرقـه ، ومصانعـه المونقـة ، وقـد قيدت الالحـاظ جمـالا ، وجـددت فـي الحيـاة آمـالا . فقـال المنصـور بن ابى عامـر : " دويهـا لك يازاهـرة

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٧
— السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، جـ ١ ، ص ٢٦٠
(٢) : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ١٠٢
(٣) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ٥٨٤ - ٥٨٥

الحسن ، لقد حسن مرآك ، وعبق شذاك ، وراق منظرك ، وفاق مخبرك ، وطاب تربك ، وعذب شربك ، فليت شعري من المريد الذي يعدمك ، ويوهن ركنك ويهدمك ، ويخلي ميدانك ، ويضوي قصبك وافنانك ، فبؤسا له ، اذ لا يروقه حسنك ، فكيف عن تغييرك ، الا تسبيه بهجة منظرك ، فكيف عن محو أثرك " .

قال فاستعظمنا ذلك منه ، وانكرنا ما صدر عنه ، فانفرط الكسل منا في استنكار ما جاء به ، وفاه بأمره وسببه ، فقال المنصور " والله كأنكم لا تعلمون ذلك : نعم سيظهر عليها عدونا في أقرب مدة ، فيهدم هذا كله ويعدمه ، وكأني بحجاتها في هذا النهر " فأخذ نابه طريق التسكين والتهدين ، وعجبنا لما ذكره من ذلك النبأ المبين .(١)

وبعد موت المنصور وابنه عبد الملك المظفر ، تحققت تأملات المنصور في خراب مدينة الزاهرة على عهد ابنه عبد الرحمن بن المنصور الملقب بشنجول الذي قام عليه محمد بن هشام من المروانيين وقتله واستولى على قرطبة وهدم وخرب مدينة الزاهرة حاضرة الدولة العامرية ، وخلع الخليفة هشام المؤيد بالله ، ونصب نفسه لخلافة الاندلس . وبذلك انقرضت الدولة العامرية ،(٢) كقول الحارث بن مضاض الجرهمي :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا اهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود والعواثر(٣)

---

(١) : ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٢ ، ص ٢٩٩

(٢) : علي محمد حموده : تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي ، ص ٢٣٨

(٣) : ابن بطوطه : تحفة النظار في غرائب الامصار ، جـ ١ ، ص ١٦٣

وخربت مدينة الزاهرة ، ومضت كأمس الدابر ، وخلت منها الدسوت الملوكيه العامرية ، واستولى النهب على ما فيها من العدة والذخائر والأموال والأسلحة ، وتلاشى أمرها فلم يرجو لفسادها صلاح ، وصارت قاعا صفصافا ، وأدبلت بأيام الترح عن أيام الفرح والصفا ، وحكى ان بعض ما نهب منها بيع ببغداد وغيرها من المدن المشرقية .(١)

منشآت المنصور العمرانيه فى بقية أنحاء الأندلس :-

ومن منشآت المنصور العمرانيه بناء القصور والمنازل فى الطريق المؤدى الى الجزيرة الخضراء جنوبا والقريب من حدود العدوة المغربية ، وذلك على غرار ما فعله فى الطرق المؤديه الى الثغور الأندلسيه شمالا والمحاذية لبلاد النصارى . وقد عمل المنازل فى الطريق الى مدينة الجزيرة الخضراء فى جنوب الأندلس ، نظرا لاتخاذه هذه الجزيرة قاعدة عسكرية ليشرف منها على العمليات العسكرية فى العدوة المغربية .(٢)

وفى مدينة سالم " الثغر الأوسط " بنى المنصور له قصرا خاصا لأنه اتخذها قاعدة عسكريه يوجه منها الغزوات على بلاد النصارى وقام كذلك بترميم حصونها بعد ان خربت ابان زحف القشتاليين عليها سنة ٣٤٢ هـ . وفى هذه المدينه دفن المنصور بعد موته بعد غزوته الأخيرة على بلاد النصارى .(٣)

---

(١) : المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ٥٨٩ - ٥٩٠

(٢) : احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٥٢
— خليل ابراهيم السمرائى : الثغر الاعلى الاندلسى ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١

(٣) : ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ، ص ٣٥١ - ٣٥٢

ولم تقتصر سياسة المنصور في التعمير والانشاء على بلاد المسلمين فحسب ، بل شملت ايضا بلاد النصارى التي غزاها ، ولا سيما القريبة منها للحدود الاسلامية . وفي هذا الصدد يقول ابن الكردبوس :" لما حضرت المنصور الوفاة بكى ، فقال له حاجبه كوثر الفتى : مم تبكي يا مولاى ؟ لا بكت عيناك . فقال له : مما جنيت على بلاد المسلمين ، فلو قتلوني ومزقوني ما انتصفوا مني . فقال له : وكيف ذلك ؟ وانت أعززت الاسلام وفتحت البلاد ، واذللت الكفر وجعلت النصارى ينقلون التراب من اقصى بلاد الروم الى قرطبة حين بنيت جامعها . فقال له : لما فتحت بلاد الروم ومعاقلهم عمرتها بالأقوات من كل مكان ، وسجنتها بها حتى عادت في غاية الامكان ، ووصلتها ببلاد المسلمين ، فأتصلت العمارة ، وها أنذا وليس في بني من يخلفني ، وسيشغلون باللهو والطرب والشرب (١) فيجيء العدو فيجد بلادا عامرة ، وأقواتا حاضرة ، فيتقوى بها على محاصرتها ، فلا يزال يتغلبها شيئا فشيئا ، ويطويها طيا فطيا حتى يملك أكثر هذه الجزيرة ، ولا يترك فيها الا معاقل يسيرة ، فلو الهمني الله الى تخريب ما تغلبت عليه ، واخلاء ما تملكت ، وجعلت بين بلاد المسلمين وبلاد الروم مسيرة عشرة أيام فيافيا وقفارا ، لا يزالون لو رموا سلوكها حيارى ، فلا يصلون الى بلاد الاسلام الا بعد الجهد والمشقة . فقال له حاجبه كوثر الفتى : انت الى الراحة انشاء الله أقرب ، فتأمر بهذا الذي رأيت . فقال له المنصور ،

---

(١) : هذه الصفات التي ذكرها المنصور بن ابي عامر تنطبق على ابنه عبد الرحمن الملقب (بشنجول) ولا تنطبق على ابنه عبد الملك المظفر الذي خلف اباه المنصور في تدبير شئون الدولة العامرية ، والذي كانت اعماله وسيرته موضع ثناء المؤرخين وذلك لانتهاجه سياسة ابيه الداخلية والخارجية .

هيهات ، حال الجريض (١) دون القريض ، والله لو استرحت وأمرت بما ذكرت لقال الناس مرض ابن ابي عامر فأورثه مرضه جنونا وهوسا تمكن من دماغه فخرب بلاد المسلمين واجلاهم وافقرها " (٢) .

هذه الرواية تبين ان المنصور بن ابي عامر لم يكن مخربا بقدر ما كان معمرا لبلاد الأعداء المتصلة ببلاد المسلمين ، لدرجة انه ندم على سياسته في تعميرها ، وذلك في آخر حياته ، وتمنى لو انه كان قد خرب هذه البلاد وجعلها فاصلا قفرا بين بلاد المسلمين وبلاد الأعداء من النصارى (٣) .

كما اتبع عبد الملك سياسة ابيه المنصور في ادارة شئون الحكم في الدولة العامرية ، الآ ان مدة فترة حكمه الوجيزة ، وهي سبع سنوات ، لم تسمح له خلالها باقامة المنشآت العمرانية في الأندلس ، حيث انه كرس جهوده في ادارة شئون الدولة ، والقيام بغزوات على الممالك النصرانية ، وفي العمل على استقرار الرخاء في الاندلس ، حيث اصبح المجتمع الاندلسي في عهده ينعم بالامن والترف (٤) .

وكذلك اخوه عبد الرحمن بن المنصور الذي تولى حكم الدولة العامرية من بعده ، لم تشهد الاندلس في عهده منشآت عمرانية ، وذلك لقصر مدة حكمه التي لم تتجاوز الستة الأشهر وايضا لخروجه عن نهج سياسة ابيه واخيه عبد الملك في تدبير شئون الدولة العامرية ، الأمر الذي أدى الى مقتله (٥) .

---

(١) : الجريض : ويضرب هذا المثل للشيء الذي فات أوانه .

(٢) : احمد العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٦٤ (نقلا عن ابن الكردبوس)

(٣) : رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص ١٧٢ - ١٧٣

(٤) : ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ق ٢ ، ص ٨٤ - ٨٥
— ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ٢١٢ - ٢١٣

(٥) : عنان : الخلافة الاموية والدولة العامرية ، ص ٦٣٨ - ٦٣٩
— السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ص ٢٦٢
— انيس النصولي : الدولة الاموية في قرطبة ، ص ١٣٣ - ١٣٤

(الخاتمـــــــــــه)

شهـد النصف الثانـي من القـرن الرابـع الهجـرى / العاشـر الميـلادى أحداثـا سياسيه جسيمـة ، وترتب علـى هـذه الأحـداث نتائج خطـيره لـم تقتصـر علـى اسبانيـا الاسلاميـه فحسـب وانمـا عمت آثارهـا اسبانيـا النصرانيـة ايضـا . ذلك انـه ولأول مـرة وعلـى غير المألـوف تولـى الخلافـة الامويـه فـى الاندلس طفـل قاصـر لما يتجـاوز الحاديـة عشـرة من عمـره . حيث أسند الخليفـه الحكـم المستنصـر الخلافـة لابنـه الطفـل هشـام منطلقـا فـى ذلك مـن عاطفته الأبويـة فحسـب. ولقـد كـان هـذا فـى الواقـع أمـرا خطـيرا ، بل وسابقـة خطـيرة فـى الاندلس . وكـان من الممكـن للباحـث ان يستخلـص ما ترتب ويترتب علـى ذلك من نتائـج وردود فعـل . وكـان من اليسـير ايضـا ان يتكهـن الباحـث بخطـل رأى الحكـم المستنصـر وافتقـاره الـى المهـارة والحكنـة السياسية . ذلك لأن كـل الدلائـل والمؤشـرات كانت تؤكـد استحالـة الأستقرار السياسى فـى الاندلس فـى ظـل سلطـه مركزيـة ضعيفـة متمثلـة فـى شخصيـة الطفـل هشـام ، لأن مـن أحـدى خصوصيـات الاندلس ان يكـون حاكمهـا تتـوفـر فيـه كـل مقومـات رجـل الدولـة .

وكانت نتيجـة تولـى الخلافـة الطفـل هشـام هو ما اصـاب البـلاد من وهـن وضعـف وظهـور مراكـز قـوى تتصارع علـى السلطـة وتطمـح فـى الالتفـاف حـول الخليفـه الضعيـف لتتمكـن مـن تولـى

السلطة والنفوذ من خلال دعمها له . وكان ابرز مثل لذلك هو محمد بن ابي عامر المعافري (المنصور) الذى قدر له ان يتصل بالبلاط الاموى فى عهد الخليفه الحكم المستنصر . ثم تدرج سريعا سريعا بفضل ما أوتى من ذكاء وحنكة وتشجيع زوجة الحكم المستنصر السيده صبح له فى تسلم مراكز رفيعة فى الدولة حتى غدا فى اعقاب وفاة الحكم المستنصر الرجل الثانى فى الدولة بعد الحاجب جعفر المصحفى .

ولقد استطاع محمد بن ابى عامر بعد تولى الخلافة هشام المؤيد بالله ان يستأثر بالسلطه شيئا فشيئا حتى عمل على التخلص من مناوئيه ومنافسيه فى البلاط الاموى . وهيأ له الانفراد بالسلطه ان يحجر على الخليفه هشام مبقيا على المظهر الشكلى للخلافة ، بل وغدا الحاكم الفعلى فى الاندلس . ودفعه ذلك الى ان يتلقب بالقاب الملك والسلطان ، كتلقبه بالمنصور والملك الكريم .

وكان نتيجة ذلك ما اصاب الخلافة الاموية على يد المنصور وابنائه من بعده من استبداد بالأمر وزوال هيبة الخلافة ومحور رسومها .

ولقد استخلصت من ذلك كله ان الخلافة الاموية سقطت فعليا

منذ اليوم الذى زالت فيه هيبتها على يد المنصور بن ابى عامر ، فبسبل ان تسقط اسبانيا فى عام ٤٢٢هـ / ١٠٣١ م .

على انى قبل توصلت فى الوقت نفسه الى حقيقة مفادها انه لو لم يقدّر للاندلس وجود رجل كالمنصور ابن ابى عامر على رأس السلطة وقتذاك لكانت الاندلس قد فقدت وحدتها السياسية التى عمل الخليفة عبد الرحمن الناصر على اعادة بنائها وتماسكها بعد جهد كبير . ثم عمد هو ومن بعده ابنه عبد الملك المظفر على تقوية وترسيخ هذه الوحدة .

فالمنصور بن ابى عامر كان له الفضل فى الحفاظ على وحدة وكيان الدولة شامخا ، بل واضفى على هذا الكيان قوة ودفعا لما يتمتع به من خصال وصفات فى رجل الاندلس الناجح .

وفيما يتعلق بالعلاقات بين المسلمين والاسبان فى عهد المنصور بن ابى عامر ، فقد استخلصت العديد من النتائج ، من ذلك :

ان طبيعة العلاقات القائمه بين المسلمين ونصارى الشمال الاسبانى قد تغيرمفهومها الذى كانت عليه فى عهد الاماره فالخلافة حتى عهد الحكم المستنصر . اذ يلاحظ ان طبيعة العلاقات التى كانت تتمثل فى الصراع العسكرى بين المسلمين والنصارى لا تتجاوز اهدافا

محدودة ، وهي رد ود فعل لهجمات نصرانية في الاغلب الاعم أو حربا يبدأها المسلمون للتخويف والارهاب أوردا لخطر محتمل او ما يسمى بالحرب الوقائية حديثا . أما في عهد المنصور بن ابي عامر فقد تغير هذا الصراع وتغيرت بالتالي طبيعة العلاقات مع نصارى الشمال الاسباني ، اذ كان المنصور يهدف بالدرجه الاساسية الى تحطيم دول الشمال النصرانية والقضاء على الوجود السياسي لها ، وهو تحول خطير في طبيعة العلاقات بين المسلمين والنصارى ، اذ لم يدر بخلد أمراء ثم خلفاء بني امية مثل هذا الخاطر - لظروف سياسيه - وانما كانوا يحاربون النصارى للدفاع وصد الغزوات .

اما المنصور بن ابي عامر فقد كان الباديء دائما بالحرب، تساعده اوضاع سياسيه مستقرة وروح قوية في الجهاد وبذلك انتقل بالدولة الاسلاميه من حصن الدفاع الى شن الهجوم على الممالك والامارات النصرانية الاسبانيه .

ورغم كثرة غزوات المنصور بن ابي عامر في عمق اراضي الممالك والامارات النصرانية وانتصاراته فيها . الاّ انني اوضح انه لم يستطع ازالة هذه الممالك والامارات النصرانيه نظرا لعدة اعتبارات داخليه وخارجية .

فلقد كان الوضع السياسي في الدولة يسير على غير مصلحة الدولة العامرية على المستوى البعيد . لان بني اميه لم يغفروا للمنصور اطلاقا استبداده بالسلطه وازالته لهيبة خلافتهم ، حيث كانوا يتمنون الفرصة لاستعادة مجد خلافتهم ، وحقهم الموروث في الخلافة ، وهو ما تحقق بعد سبع سنوات من وفاة المنصور بن ابي عامر وذلك في عهد ابنه الثاني عبد الرحمن .

اما الوضع الخارجي فلم يتح هو الآخر للمنصور فرصة تحقيق طموحاته ، ذلك ان المنصور كان يدخل آنذاك في نزاع مرير مع الفاطميين لبسط السيادة على المغرب . وقد أثر هذا الوضع على حركة الجهاد ضد الممالك النصرانية في الشمال الاسباني ، حيث اضطره هذا النزاع مع الفاطميين ان يحارب على جبهتين ، الاولى في الشمال الاسباني ، والاخرى في المغرب . وكان من الممكن ان يكون للصراع مع نصارى الشمال شأن آخر لو لم يكن هذا النزاع قائما بين الدولة العامرية والخلافة الفاطمية .

ومما حد من طموحاته تلك ، هو ان الممالك النصرانية استشعرت الخطر الاسلامي المحدق بها ، فأنبرت تقيم تحالفا تجمعه وحدة الكلمة بينها ضد حركة الجهاد المتمثلة في غزوات المنصور ابن ابي عامر ، وان لم يكتب لهذا التحالف أي نصر في مواقع حاسمة .

يلاحظ انه رغم كثرة غزوات المنصور لاراضي ممالك الشمال النصراني وتدميرها وتخريبها انّه كان يحرص دائما على تعمير معظم اراضي اعدائه المتصلة ببلاد المسلمين حتى يقال انه ندم على سياسته في تعمير هذه الاماكن . وكان يتمنى لو انه تركها خربة لتكون حدا فاصلا بين المسلمين والنصارى .

وهذا شيء جديد يدل دلالة واضحة على ان المنصور ابن ابي عامر كان ذا عقلية عسكرية فذه يدرك ما : سيحيط بالدولة من بعده .

وفيما يتعلق بممالك اسبانيا النصرانية ، فقد لاحظت انها ركنت دائما الى خطب ود المنصور بن ابي عامر وابنه عبد الملك من بعده ، بل واستعانت به في كثير من المواطن في صراعاتها ضد بعضها البعض ، مما يعني انه لم يكن يحكم تصرفاتها الغيرة الدينية والوطنية دائما ، وانما كانت المصالح الشخصية لملوكها وامرائها هي التي تحكم تصرفاتها غالبا .

وفيما يتعلق بالدولة العامرية ، فقد أوفيتها ما تستحقه من البحث والدراسة . وناقشت في كثير من المواطن سلبياتها وأيجابياتها

كما لم يفتن ان أشير الى ان عهد عبد الملك بن المنصور كان امتدادا لعهد ابيه المنصور. وقد حافظ على كيان الدولة التى اقامها أبوه المنصور بالجهد والعرق قوية متماسكة ، ونفذ كل وصايا ابيه وخاصة ما يتعلق منها بالخلافة والخليفة هشام المؤيد بالله .

وقد ناقشت بشكل خاص سياسة عبد الرحمن بن المنصور عندما أكره الخليفة هشاما على ان يوليه العهد من بعده ، وانحيت باللائمة عليه لخروجه عن سياسة ابيه المنصور واخيه عبد الملك الداعيه الى الخفاظ على المظهر الشكلى للخلافة .

واستنتجت كما استنتج غيرى ان هذا التصرف الخالى من الحنكة والحكمة كان السبب الرئيسى فى سقوط الدولة العامرية وزوال وجودها فى الاندلس .

اما فيما يتعلق بالنواحى الحضارية فقد تتبعت مسيرتها وخطواتها التطوريه على عهد هذه الدولة ، ولاحظت حرص المنصور ابن ابى عامر ، وكذلك ابنه عبد الملك على ترسم خطوات أمراء وخلفاء بنى اميه فى تبنى حركة التقدم الحضارى فى الاندلس بل وفى دفعها فى خطى ثابته قوية نحو الارتقاء بأحوال الاندلس فى كافة الميادين السياسيه والعسكرية والاقتصادية والاجتماعيه والعلميه . ومن ثم فان عهد

المنصور وعهد ابنه عبد الملك يعتبران امتدادا لعصر الخلافة الزاهر .

واذا كان المنصور بن ابي عامر قد استبد بالسلطة دون الخليفة هشام المؤيد بالله ، الا أنه رعى للخلافة حقها فأبقى للخليفة شارات الخلافة من ذكر اسمه في الخطبه ونقش اسمه في السكة والطرز ، كما أوصى ابنه عبد الملك بالابقاء على الخلافة والمحافظة على ما لها من حقوق . الا أنه في الوقت الذى حفظ فيه للخلافة حقوقها وشاراتها فقد شاركها في شارات الملك ومظاهر السلطان فذكر اسمه في الخطبه مع اسم الخليفة ، ونقش اسمه معه في السكة والطرز وتلقب بلقب الملك الكريم وأصبح هو الذى يعين الوزراء ويقيلهم كما بنى مدينة الزاهرة وجعلها مقرا لدولته ونقل اليها الأموال حتى أصبحت تنافس مدينة الزهراء عاصمة الناصر وابنه الحكم والتى لم يمض على بنائها غير وقت قصير . ولا ننسى ايضا اهتمامه الشديد بالجيش والاسطول من حيث كونه عدته الكبرى في الجهاد ، وقد رأينا كيف قضى المنصور حياته غازيا في الممالك الاسبانية النصرانية وانه كان يحمل معه كفنه في كل غزوة يخرج فيها .

اما اهتمامه بالأدب والشعر ، فقد كان المنصور نفسه أديبا ذواقة للشعر ، بل كان يقرض الشعر في أحايين كثيرة . وبلغ اهتمامه

بالشعر والشعراء انه انشأ ديوانا للشعراء سجلهم فيه على قدر منازلهم وقرر لكل منهم عطاء حسب منزلته في الديوان . وقد أصبحت عاصمته الزاهرة مقصدة العلماء والادباء والشعراء ، وبذلك ضاهى بلاطه بلاط عبد الرحمن الناصر وبلاط ابنه الحكم المستنصر ، ومن تتبعنا لما حفل به عهده وعهد ابنه الحكم من تراجم كثيرة للفقهاء والادباء والشعراء : نلمس الى اى مدى تابعت الحركة العلميه مسيرتها في الدولة العامرية بفضل تشجيع المنصور وابنه عبد الملك .

وفي العمران رأيناه يزيد من عمارة جامع قرطبة ، فضلا عن الاهتمام بالمنشآت العمرانية الأخرى وعلى رأسها بناء عاصمته مدينة الزاهرة . وقد بلغت قرطبة في عهده شأوا كبيرا من التقدم الحضارى كما يتضح من وصف المؤرخين لها . وذكر ما تحتويه من منازل للخاصه وللعامه ، وحوانيت ، وحمامات . واما ما تمتعت به الدولة العامرية من رخاء اقتصادى وازدهار اجتماعى فيتضح من ارتفاع مقدار الجباية في الاندلس على عهد المنصور بن ابى عامر ، ومن ازدهار المجتمع الاندلسي في هذه الفتره .

قائمـــــــــــــــة
المصادر والمراجـــــــع والدوريـــــــات

أ ـ المصـــــادر :

ابن الأبـــــار: (ت ٦٥٨ هـ) :

(١) الحلة السيراء ، جزءان ، حققه وعلق على حواشيه حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م .

(٢) التكملة لكتاب الصلة ، جزءان ، نشـــره وصححـــه عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الاسلامية ، مطبعة السعادة ، ١٣٧٥ هـ/١٩٥٥م.

(٣) اعتاب الكتاب ، حققه وعلق عليه وقدم له صالح الأشتر ، طبعة أولـــى ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١م .

ابن أبي دينـــــار: (ت ١١١٠ هـ / ١٦٩٨م) :

(٤) المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، طبعة أولى ، تونس ١٣٨٦ هـ .

ابن الأثـــــير : (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨م) :

(٥) الكامل في التاريخ ، ٩ أجزاء ، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م .

ابن بســـــام : (ت ٥٤٢ هـ) :

(٦) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .
ـ القسم الأول : المجلد الثاني ، نشر وتحقيق لجنة من جامعة القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢م .
ـ القسم الثاني : المجلد الأول ، تحقيق لطفي عبد البديع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مركز تحقيق التراث ، القاهرة ، ١٩٧٥م .
ـ القسم الثالث : المجلد الأول ، نشر وتحقيق لجنة من جامعة القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥م .
ـ القسم الرابع : المجلد الأول ، قام بنسخه عبد الوهاب عزام ، والناشر مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥م .

ابن بشكـــــوال : (ت ٥٧٨ هـ) :

(٧) الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم وفقهائهم وادبائهم ، تحقيق عزت العطار الحسيني ، القاهرة ، مكتب نشر الثقافة الاسلامية ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥م .

(٨) البكـــــري : (ت ٤٨٧ هـ) :

المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك . تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ـ الناشر مكتبة المثنى ببغداد .

ابن بطوطـــــه : (ت ٧٧٩ هـ) :

(٩) تحفة النظـــار فى غرائب الأمصار ، (المعروف برحلة ابن بطوطـــــه) .

ابن حـــــزم : (ت ٤٥٦ هـ) :

(١٠) طـــوق الحمامـــة فى الألفة والأُلّاف ، ضبط هوامشه الطاهر احمد مكـــى ، طبعـة ثانية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٣٩٧٠ هـ / ١٩٧٧م .

الحميـــدى : (٤٨٨ هـ) :

(١١) جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الاندلس ، تحقيق ادارة احياء التراث ، القاهـــــرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمـــة ، ١٩٦٦م .

الحمـــــيرى : (ت . آواخـــر القرن الثامن الهجرى) :

(١٢) صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار ، نشر وتصحيح وتعليق ليفى بروفنســـال ، القاهرة ، مطبعـــة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م .

ابن حوقـــــل : (ت . آواخـــر القرن الرابع الهجرى) :

(١٣) صورة الأرض ، الطبعة الثانية ، ليـــدن ، ١٩٣٨م .

ابن حيـــان :(ت ٤٦٩ هـ) :

(١٤) المقتبس من انباء اهل الاندلس ، تحقيق وتعليق ونشر محمود على مكى ، القاهرة ، منشورات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، لجنة احياء الـــتراث الاسلامـــى ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١م .

ابن خـــاقـــان : (ت ٥٢٨هـ أو ٥٢٩هـ) :

(١٥) مطمح الانفس ومسرح التأنس . فى ملح اهل الاندلس ، مصر ، مطبعـــة دار السعادة ، ١٣١٥ هـ .

ابن الخطيـــب : (ت ٧٧٦هـ) :

(١٦) اعمال الاعلام / القسم الثانى ، حققه وعلق عليه ليفى بروفنسال ، بيروت دار المكشوف ، طبعة ثانية ، ١٩٥٦م .

(١٧) اعمال الاعلام / القسم الثالث ، تحقيق وتعليق ، احمـــد مختار العبادى ومحمد ابراهيم الكتانى ، الدار البيضاء ، نشر وتوزيع دار الكتاب ، ١٩٦٤م .

ابن خلـــدون : (ت ٨٠٨ هـ) :

(١٨) المقدمـــة ، بيروت ، دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٥٨م .

(١٩) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى اخبار العرب والعجم والبربر ومـن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ٧ مجلدات ، بيروت دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٥٨م .

ابن خلكـــان : (ت ٦٨١هـ) :

(٢٠) وفيـــات الاعيـــان وأنبـــاء أهـــل الزمـــان ، جزءان ، تحقيق احسان عباس، بيروت ، دار الثقافـــة ، مطبعـــة الغريب .

ابن دحيـــــه : (ت ٦٣٣هـ) :

(٢١) المطرب من أشعـــار أهـــل المغرب ، تحقيـــق ابراهيم الابيارى وحامد عبد المجيـــد ، مراجعـــة طـــه حسين ، بيروت ، دار العلم للجميع للطباعـــة والنشر والتوزيع ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

ابن دراج القسطلـــى : (ت ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م) :

(٢٢) ديوان ابن دراج ، تحقيق احمد مختار العبادى .

ابن زيـــــرى : عبد الله بن بلقين (ت ، بعد ٤٨٣ هـ) :

(٢٣) مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيرى بغرناطـــة المسماه بكتاب التبيان ، تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٥م .

ابن سعيـــــد : (ت ٦٨٥ هـ) :

(٢٤) المغرب فى حلى المغرب . تحقيق شوقى ضيف فى جزئين منفصلين القســـم الثانى تحت عنوان وشى الطرس فى حلى جزيرة الأندلس ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤م .

السلاوى الناصرى : (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧م) :

(٢٥) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق وتعليق جعفر الناصرى ، ومحمد الناصرى ، ١٠ أجزاء ، الدار البيضاء ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٥٤م .

الضبى : (ت ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢م) :

(٢٦) بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس ، القاهرة ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧م .

الطرطوشى : (ت ٥٢٠ هـ) :

(٢٧) سراج الملوك ، طبعة أولى ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٦ هـ .

ابن عبد ربه : (ت ٣٢٩ هـ) :

(٢٨) العقد الفريد ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

ابن عذارى : (ت ٦٩٥ هـ) :

(٢٩) البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، ٣ أجزاء ، تحقيق ج . س كولان ، وليفى بروفنسال ، بيروت ، دار الثقافة .

العـــذرى : (ت ٤٧٨ هـ) :

(٣٠) نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فـــى غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيـــز الأهوانـــى ، مدريد ، منشورات المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، ١٩٦٥م .

ابن الفرضـــى : (ت ٤٠٣ هـ) :

(٣١) تاريخ علماء الأندلس ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمـة ، ١٩٦٦م . (عن نشرة كوديرا ، مدريد ١٨٩١م) .

القلقشندى : (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م) :

(٣٢) صبح الأعشـــى فى صناعـــة الانشـــاء ، ١٤ جـــزءا .

ابن الكـــردبوس : (ت . آواخر القرن السادس الهجرى) :

(٣٣) الاكتفاء فى اخبار الخلفاء ، تحقيق احمد مختار العبادى ، مجلـــة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، المجلد الثالث عشر ، ١٩٦٥ - ١٩٦٦م .

مجهـــول : (عاش فى القرن الثامن الهجرى) :

(٣٤) نبدة تاريخيه جامعة فى اخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبـــة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر ، نشرة ليفى بروفنسال ، الرباط مطبوعات معهد العلوم المغربية ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م .

المراكشـــى : ابو محمد عبد الواحد بن على التميمى (ت ٦٤٧ هـ) :

(٣٥) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريـــان ، منشورات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، لجنة تحقيق التراث الاسلامـــى ، الكتاب الثالث ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م .

المسعـــودى : (ت ٣٤٦ هـ) :

(٣٦) مروج الذهب ومعادن الجوهـــر فى التاريخ ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ .

المقـــرى : (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١م) :

(٣٧) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بـــن الخطيب ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م .

النباهـــى : (كان حيا سنة ٧٩٣ هـ) :

(٣٨) تاريخ قضاة الأندلس (سماه المرقبة العليا فيمن يستحق القضـاء والفتيـــا) ، تحقيق ليفى بروفنسال ، بيروت المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٣٧م .

ياقـــوت الحموى : (ت ٦٢٦ هـ) :

(٣٩) معجـــم البلـــدان ، ٨ أجـــزاء ، طبعـــة بيروت ، ســـنـــــة ١٩٦٠ م .

ب ـ المراجـــع الحديثـــه والدوريـــات :

ابراهيم بيضـــــــون :

(١) الدولـــة العربيـــة فى اسبانيـــا من الفتح حـــتى سقـــوط الخلافـــة

(٢) (٩٢ - ٤٢٢هـ / ٧١١ - ١٠٣١ م) . بيروت ، دار النهضـــــــــة العربيـــــة ، ١٩٧٨ م .

احســـان عبـــاس :ـ

(٢) تاريخ الأدب الأندلسى ـ عصـــر الطوائف والمرابطين ، سلسلـــة المكتبة الأندلسيـــه رقم ٢٣ ، بيروت ، دار الثقافـــة ، طبعـــة ثانية ، ١٩٧١ .

احمـــد أمين :

(٣) ظهـــر الاســـــلام ، ٩ أجـــزاء .

احمد مختار العباوى :

(٤) فى تاريخ المغرب والاندلس ، الأسكندريـــة للمطبوعـــات مؤسسة الثقافه الجامعية .

(٥) فـــى التاريخ العباســـى والأندلســـى ، بيروت دار النهضـــــــة العربيـــة ، ١٩٧٢ م .

أنيس النصولـــــى :

(٦) الدولـة الأمويـــة فى قرطبـــة ، بغداد ، المطبعـــة العصرية ، ١٩٣٦ م .

جـــودت الركابـــى :

(٧) فى الأدب الأندلســى ، ط ٤ ، القاهــرة ، دار المعـــــارف ، ١٩٧٥م .

جـــواد المرابـــط :

(٨) عبر وعبرات من دمشـــق الأندلس ، بـــيروت ، الدار العربيـــة للطباعـــة والنشـــر والتوزيـــع ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م .

حســـن ابراهيم حســـن :

(٩) تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى ، طبعـــة سادســـه ، القاهـــرة ، [illegible] ١٩٦٢م .

خالـــد الصوفـــى :

(١٠) تاريخ العرب فى اسبانيا - جمهورية بنى جهور (٤٢٢ هـ/١٠٣١-١٠٧٠ م) ، دمشـــق ، المطبعـــة التعاونيـــة ، ١٩٥٩م .

خليـــل ابراهيم السامرائى :

(١١) الثغر الأعلى الأندلسى (دراسة أحواله السياسيه ٩٥-٣١٦هـ / ٧١٤ - ٩٢٨ م) ، بغداد ، مطبعـــة أسعـــد ، ١٩٧٦م .

رجب محمد عبد الحليم :

(١٢) العلاقات بين الأندلس والممالك النصرانية منذ عصر الامارة حـــتى القرن الخامس الهجرى ، رسالة دكتوراه ، مقدمة لكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨١م / لـــم تطبـــع .

السيد عبد العزيز سالم :

(١٣) تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، طبعة أولى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢م .

(١٤) قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس جزءان ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧١م .

(١٥) تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الاندلس طبعة أولى ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٩م .

(١٦) المغرب الكبير ، العصر الاسلامى (الجزء الثانى) ، الأسكندرية الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م .

شكيب ارسلان :

(١٧) الحلل السندسية فى الأخبار الاندلسية ، ٣ أجزاء ، بيروت ، دار مكتبة الحياة .

(١٨) الارتسامات اللطاف فى خاطر الحاج الى اقدس مطاف ، الناشر مكتبة المعارف بالطائف ، طبعة ثانية ، ١٣٩٧ هـ ، صححه وعلق عليه عبد الرازق محمد سعيد حسن كمال .

عباس محمود العقاد :

(١٩) اثر العرب فى الحضارة الأوربية ، طبعة ثانية ، القاهرة ، دار المعارف .

علـــى أدهـــــم :

(٢٠) منصور الأندلس ، سلسلـة اعلام الاسلام ، القاهـــرة ، تحت أشـــراف لجنـــةترجمـــــة دائرة المعارف الاسلامية ، دار احياء الكتب العربية .

على حســـنى الخربطلـــى :

(٢١) الاسلام فى حوض البحر المتوســـط ، بيروت ، دار العلـــم للملايين ، طبعـــة أولـــى ، ١٩٧٠م .

عبد الحميد العبادى :

(٢٢) المجمـــل فى تاريخ الاندلس ، القاهرة ، دار القلم ، طبعة ثانية ، ١٩٦٤م .

علـــى محمد حمـــوده :

(٢٣) تاريخ الاندلس السياســـى والعمرانى والاجتماعـــى ، طبعة أولـــى ، القاهرة ، دار الكتـــاب العربـــى ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧م .

عبد الرحمـــن الحجـــى :

(٢٤) اندلسيـــات ، الطبعـــة الأولـــى ، بيروت ، دار الارشـــاد للطباعـــة والنشـــر والتوزيـــع ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .

عبد العزيز عتيـــق :

(٢٥) الأدب العربـــى فى الاندلس ، الطبعـــة الثانيـــة ، [illegible] ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

عبد المنعم ماجد :

(٢٦) العلاقات بين الشرق والغرب ، بيروت ، مكتبة الجامعة العربية ، ١٩٦٦ م .

عثمان الكعاك :

(٢٧) الحضارة العربية في حوض البحر الأبيض المتوسط ، القاهرة ، مطبعة لجنة البيان المصرى ، ١٩٦٥م .

فليب حتى :

(٢٨) تاريخ العرب ، [illegible] : طبعة رابعة ، [illegible] ١٩٦٥م .

محمد ابراهيم الصيحى :

(٢٩) اثر العرب في الحضارة الأوربية ، القاهرة ، مكتبة الوعى العربى ، ١٩٦٨م .

محمد عبد الله عنان :

(٣٠) دولة الاسلام في الاندلس ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، العصر الأول ـ القسم الثانى ، طبعة رابعة ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

(٣١) تراجم اسلاميه شرقيه وأندلسية ، طبعة ثانية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، [illegible] ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

(٣٢) تاريخ العرب في اسبانيا ، طبعة أولى ، ١٩٢٤م . مطبعة السعادة بمصر .

محمد كرد علي :

(٣٣) الاسلام والحضارة العربية ، جزءان ، طبعة ثالثة ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٨م .

محمد لبيب البتنوني :

(٣٤) رحلة الاندلس ، طبعة ثانية ، مطابع مصر .

مصطفى الشكعة :

(٣٥) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، طبعة ثالثة ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٣م .

ليفي بروفنسال:

(٣٦) حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذوقان قرقوط ، منشورات دار الحياة ، بيروت ، مطبعة النجوى .

لين بول :

(٣٧) قصة العرب في اسبانيا ، ترجمة علي الجارم ، طبعة تاسعة ، دار المعارف بمصر .

٣٨ - * ANWAR G.CHEJNE:MUSLIM SPAIN.ITS HISTORY AND CULTURE, MINNESOTA 1974...

٣٩ - *DOZY:A HISTORY OF THE MOSLEMS IN SPAIN,LONDON 1972.

٤٠ - *JAN READ:THE MOORS IN SPAIN AND PORTUGAL,LONDON 1974.

٤١ - *LAVOIX,H:CATALOGUE DES MONNAIES MUSULMANES DE LA BIBLIOTHEQUE.

٤٢ - *LEVI-PROVENCAL:L'ESPAGNE MUSLIMANE,T.111,PARIS.

٤٣ - *MILLES,G.G.:THE COINAGE OF THE UMAYYADS OF SPAIN,NEW-YORK,1950.....

الدوريـــــات :-

أحمد مختار العبادي

٤٤ - سياسة الفاطميين فى المغرب والأندلس ، مجلة معهد الدراسات الأسلامية بمدريـــد ، المجلد الخامس ، العدد ، ١ ، ٢ ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م .

شـــوقى ضيـــف :-

٤٥ - نقط العروس فى تواريخ الخلفاء لابن حزم ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول (جامعـــة القاهـــرة) ، المجلد الثالث عشر ، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٥٤م .

- عبد الحميد العبـــادى :

٤٦ - صور وبحوث من التاريخ الاسلامى ، مجلة الثقافة بالقاهرة ، العدد ٢٦١ ، ١٩٤٣م.

ليوبولد توريس بلبـــاس :

٤٧ - الابنية الأسبانية الاسلامية ، مجلة المعهـــد المصرى للدراسات الاسلامية بمدريـــد ، العدد الأول ، المجلد الأول ، السنه الأولى ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣م .

محمـــود يوســـــف :

٤٨ - المنصور بن ابى عامر ، مجلة تطوان بالمغرب ، العدد الثالث ، ١٩٥٥ م .

فهـــــرســـــت

الموضـــــوع :	رقـــم الصفحه
مقد مـــــــة :	١ - ١٥
تمهيـــــــد :	١٦ - ٢١
ـ تولى هشـــام المؤيد باللـــه الخلافة وأثر ذلك على الوضع السياســـى فى الدولـــة ،	٢٢ - ٢٧
ـ الوضـــع السياســـى فى الدولة الأموية بعد تولى هشـــام المؤيد باللـــه الخـــلافـــة .	٢٧ - ٢٨
الباب الأول : ظهـــور محمد بن ابى عامـــر واستبداده بالسلطـــة دون الخليفـــة هشـــام المؤيد باللـــه .	٣٠ - ١٠٨
ـ محمد بن ابى عامـــر ووصولـــه الـــى منصـــب الحاجب وتلقبـــه بالمنصـــور وبالملك الكريـــم .	٣٠ - ٤٢
ـ جهـــود المنصـــور بن ابى عامـــر فـــى الاحتفـــاظ بالسلطـــــة .	٤٢ - ٩٢
ـ مـــوت المنصـــور بن ابـــى عامـــــــر	٩٣ - ١٠٠
ـ رأى المؤرخـــين فـــى المنصور بن ابى عامر	١٠٠ - ١٠٨

الباب الثانـــــى :	رقم الصفحه
الأحوال الداخليه للدولة العامرية فى عهد عبد الملك وعبد الرحمـــن ولدى المنصور .	١٠٩ - ١٤٥
- تولى عبد الملك الحجابة واستقرار الأحوال الداخلية فـى عهـــــده .	١١٠ - ١٢٣
- حجابة عبد الرحمـن وزوال الدولة العامرية على عهده	١٢٤ - ١٤٥
الباب الثالـــــث :	
العلاقات الخارجيه للأندلس فى عهد المنصور وفـى عهـــد ولديـــه عبد الملك وعبد الرحمـــن	١٤٦ - ٢٢٥
ـ العلاقات بين الأندلس والمغرب الأقصى	١٤٧ - ١٧١
ـ العلاقات بين الأندلس والممالك الأسبانية النصرانية	١٧٢ - ٢٢٥
الباب الرابـــــع:	
اهـــم مظاهـــر التطور السياسى والحضارى فـــى الدولـــة العامريـــة .	٢٢٦ - ٣١٣
ـ بنـــو عامـــر والخلافـــة الأمويـــة	٢٢٧ - ٢٣٠
ـ الحجـــابـــة	٢٣٠ - ٢٣٦
ـ الجيش والأسطـــــول	٢٣٦ - ٢٤٢
ـ الـــوزارة	٢٤٢ - ٢٤٤

- القضـــاء والخطط المتصلـــة بـــــه ٢٤٥ - ٢٥٠
- الرخـــاء الاقتصـــادى والازدهـــار الاجتماعى ٢٥١ - ٢٥٦
- الحيـــاة العلميـــــة ٢٥٧ - ٢٩٢
- العمـــــران ٢٩٣ - ٣١٣

الخاتمـــــــه : ٣١٤ - ٣٢٢

قائمـــــة المصـــادر والمراجـــع والدوريات : ٣٢٣ - ٣٣٧